



مجلة الأرائك للعلوم والإنسانيات

مجلة علمية دورية محكمة
تصدر عن مركز البحوث والدراسات بجامعة الأرائك الدولية

العدد الثالث
ديسمبر ٢٠٢٣ م

الترقيم الدولي:
(e) 3005-7418 / (p) 2959-99-59

ALARAYIK JOURNAL
FOR SCIENCE AND HUMANITIES

مجلة الأرائك
للعلوم والإنسانيات
تصدر عن مركز البحوث والدراسات بجامعة الأرائك الدولية



ALARAYIK JOURNAL

FOR SCIENCE AND HUMANITIES

Issued by

Alarayik International University

VOLUME III
DECEMBER, 2023

ISSN (e) 3005-7418 / ISSN (p) 2959-99-59

للتواصل:

aiu-edu.iq

info@aiu-iq.net

aiu-iq.net

dealla868@gmail.com



مجلة الأرائك للعلوم والإنسانيات

مجلة علمية دورية محكمة
تصدر عن مركز البحوث والدراسات بجامعة الأرائك الدولية

العدد الثالث
ديسمبر 2023م

الترقيم الدولي:
ISSN (e) 3005-7418
ISSN (p) 2959-90-59



© Alarayik International University,

All Rights reserved. No part or whole of this journal is allowed to be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means, without prior permission of the Copyright owner.

Alarayik Journal For science and humanities
Issued by
Alarayik International University



عنوان المراسلات

البريد الإلكتروني: aiu-iq.net

موقع المجلة: info@aiu-iq.net

EDITORIAL BOAD

Editor in Chief

Prof. Dr. Dhia Khalil Ibrahim
Arabic department
college of arts - university of Baghdad
avphdidk@yahoo.com
+9647702681537

Managing Editor

Prof. Dr. Abdulrahman Rashak Shinjar
Department of history
college of basic education - Almustansiriyah university
Abdulrahmanalmayahy@gmail.com
+9647723543419

Prof. Dr. Abdunaser Abdul Rahman
Department of history
college of basic education - Almustansiriyah university
abdulnasir19615@gmail.com
+9647711595349

Asst. Prof. Dr. Alaa Hussein Khalef
department of quranic sciences
faculty of education for human science - Wasit University
ahusain@uowasit.edu.iq
+9647705876583

Prof. Dr. Huda Abbas Kanber
Department of Quran Sciences and Islamic Education
College of Education Ibn Rushd for Human Sciences - University of Baghdad
huda.abbas@ircoedu.uobaghdad.edu.iq
+9647700797792

Prof. Dr. Alaa Hussain Farj Obaed
College of Islamic science
Department of quranic science
alarayik international university
+9647516006170
dralla868@gmail.com

Asst. Prof. Dr. Waleed Abdul rahman iesmel
department of quranic sciences
faculty of education for human science - Wasit University
+9647713855177
Waleedabd@ouwaist.edu.iq

Prof. Dr. Hayder Taqi Fadheel
department of quranic sciences
faculty of education for human science - Wasit University
+9647734406544
htaqi@uowasit.edu.iq

Prod Dr. Radhi rashid hasan
Associate Dean of Faculty of media
Aliraqia university
Mfrral94@ gmail.com
+9647828424920

Prof.Dr. Muhsen Abboud Kashkool
Dean of College of media, Aliraqia university
Muhsenwatan@gmail.com
+964 771 690 5341

Prof.Dr.salih ahmed alfahdawi
University of Baghdad
College of fine arts
009647727359771
Dr.salih99@gmail.com

Assist. Prof. Dr. Luay Adnan Hasson,
College of Education for Human Sciences
University of baghdad
Email [/luayadnan.geo@gmail.com](mailto:luayadnan.geo@gmail.com)

Dr. Saidur Rahman
Assistant Professor in Arabic
Department of Arabic
Faculty of Humanities and languages
Aliah University, Kolkata-700014
INDIA
Phone Number: 033-23416444
info@aliah.ac.in
www.aliah.ac.in

Assoc. Prof. Dr. Hanik Mahliatussikah
Arabic teaching program, Fakultas Sastra, Universitas Negeri Malang,
Indonesia
hanik.mahliatussikah.fs@um.ac.id
+6281252555374
Scopus ID: 57217091423
WoS Researcher ID/ Publons ID:
AFR- 5096-2022

Ahmad Muhamad Mahrus Alqatiry
Islamic American university in minnesota – singhal branch
ahmedmhrosq@gmail.com
00201093780692
Egypt

Prof. Dr. Ismail Suardi Wekke
STIA Abdul Haris
iswekke@gmail.com
+62 813-1554-0777

SECRETARY:

Bashar Malami Sa'i
PhD candidate, in Arabic literatue, from Department of Arabic literary studies,
Faculty of Arabic and Islamic studies, Usmanu Danfodiyo University Sokoto,
Nigeria.
Email: dansai4you@gmail.com
+2347066542088

كلمة العدد

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين وصبحه الغر الميامين.
وبعد:

يسر مجلة الأرائك للعلوم والإنسانيات أن تقدم إلى القراء الأعزاء عددها الثالث على الصعيد الأكاديمي، يصدره مركز البحوث والدراسات بجامعة الأرائك الدولية. يشكل هذا العدد رافدا ثريا يرسم ملامح مستقبل اللغة العربية في العالم.. ويحتوي على ست عشرة مقالة، تتمحور حول قضايا علمية وإنسانية ودينية ولغوية وثقافية وأدبية وبلاغية وغيرها من العلوم. ونرجو أن يسهم إسهاما فاعلا في تعميق الفكر والثقافة لدى الدارسين.

وأخيرا لا يفوتنا أن نذكر أن هذا الجهد لم يكن ليرى النور لولا تحرك أعضاء هيئة التحرير وعملهم الدؤوب على إنجازه ووضعهم بين أيد القراء الكرام، والله نسأل أن يجزي الجميع جزاء أوفى، ويجعل هذا الجهد إضافة مفيدة في خدمة اللغة العربية وآدابها وثقافتها.

ونذكر الباحثين الكرام والقراء الأعزاء بأن المجلة متوفرة بجميع أعدادها على الموقع الإلكتروني للمجلة: info@aiu-iq.net
ومع اطلالة هذا العدد نحث القراء الكرام والباحثين والأكاديميين الأفاضل على إبداء آرائهم وملاحظاتهم على ما نشر في هذا العدد لأن آراءهم هي سبيلنا الأهم لتطوير عملنا في هذه المجلة الفنية وفي جميع نشاطاتنا العلمية كافة....
والله المستعان وعليه التكلان.

وأخيرا، ننوّه بأن كل ما أبدي في المجلة يعبر عن آراء أصحاب المقالات ولا يعكس بالضرورة رأي المجلة.

وشكرا.

أسرة التحرير

ضوابط النشر

- يشترط في الأبحاث والدراسات المقدمة للنشر في مجلة الأرائك أن تكون مبتكرة ولم يسبق نشرها في أي وسيلة نشر أخرى.
- يكتب عنوان البحث واسم الباحث ولقبه واختصاصه العلمي ومكان عمله على الصفحة الأولى للبحث.
- يجب أن يستهل البحث بصفحة مستقلة تحتوي على ملخص البحث بلغتين؛ العربية والإنجليزية.
- تدرج الكلمات المفتاحية للبحث باللغة العربية وباللغة الانكليزية (keyword) بعد الملخص مباشرة.
- تستقبل البحوث في مجال العلوم والإنسانيات كافة على وفق الضوابط، وترسل للنشر في محرر (وورد Word).
- أن يلتزم الباحث التدقيق في كتابة النص، إذ لا تتحمل المجلة الأخطاء اللغوية والإملائية الواردة في البحث.
- لا ترد البحوث المرسلة إلى المجلة إلى أصحابها، سواء نشرت أم لم تنشر.
- يكون نظام المصادر والمراجع (ABA) حصراً ويكون نوع وحجم الخط (Sakkal 16mujjah) للمتن و14 للهامش ويكون في نهاية البحث بالنظام التلقائي، وبعوث اللغة الإنكليزية (TimesNew Romans) على ألا يتجاوز البحث (20) صفحة وفي حال تجاوز البحث العدد اعلاه يتحمل الباحث أجوراً إضافية.
- ترسل البحوث إلى خبراء مشهود لهم بالمكانة العلمية داخل العراق وخارجه، ويلزم الباحث اجراء كافة التعديلات التي يضعها الخبراء على البحث قبل تزويده بخطاب قبول النشر، وتبقى عملية التحكيم سرية.
- يلزم الباحث دفع مبلغ مائة الف دينار عراقي أو مايعادله بالدولار الأمريكي.
- تكتب المصادر بحسب نظام (شيكاغو) وتنظم بحسب الحروف الهجائية، مع مراعاة الترقيم بالحروف اللاتينية.
- تكتب المصادر والمراجع على وفق الأمثلة الآتية :

- المصدر (كتاب) :
الاسم الاخير للمؤلف، اسم المؤلف، عنوان الكتاب (الترجمة أو التحقيق إن وجدت، الطبعة، مكان النشر: الناشر، تاريخ النشر). رقم الصفحة او الصفحات.
مثل :
- الفراء، أبو بكر يحيى بن زياد، معاني القرآن الكريم، (تحقيق: علي النجار وأحمد يوسف نجاتي ط3، بيروت، عالم الكتب، 1983م) ج3/330.
- المصدر (بحث في مجلة) :
الاسم الاخير للباحث، اسم الباحث، عنوان البحث (عنوان الدورية ، عدد الدورية، تاريخ صدور العدد) رقم الصفحة او الصفحات . مثل :
- كتلو، خالد سليمان محمد، و بحيص، جمال محمد حسن، معوقات البحث التربوي في جامعات جنوب الضفة الغربية كما يقدرها أعضاء هيئة التدريس الجامعي (مجلة العلوم التربوية والنفسية، ع58، س13، 2018) ص/66.
- المصدر (رسالة أو أطروحة جامعية) :
الاسم الاخير للباحث، اسم الباحث . عنوان الرسالة او الاطروحة (اسم الجامعة، الكلية ، القسم ، تاريخ اعدادها) رقم الصفحة او الصفحات . مثل :
- الدليبي، محمود عيدان احمد، الصحابة ومكانتهم عند المسلمين (رسالة ماجستير ، كلية العلوم الاسلامية ، جامعة بغداد ، 1993) ص/94؟
- المصدر (مصدر من الانترنت) :
الاسم الاخير للباحث، اسم الباحث، عنوان البحث (تاريخ البحث، عنوان الموقع) . مثل :
- السعدي، محمد احمد. ثقافة العصر والمناهج التفسيرية, (بحث في شبكة الانترنت، تاريخ الدخول في 12/2/2015, الموقع WWW.Islamcity.com).

محتويات العدد

الصفحة	اسم الباحث	عنوان المقالة	
15-1	أ.د. خالد صالح محمد عوض العزّاني	من عوامل حفظ العربية الهبات والعقوبات	1
16-25	موسى صحابي	فن الرثاء لدى الشاعر زهر الدين المصطفى غدن ساعي: دراسة أدبية تحليلية	2
26-36	أمين أبوبكر	جماليات الإيقاع في ديوان أفرح وأتراح للشاعر عبد الرحمن عمر يغاروا	3
37-51	د. هاشم عمر سليمان	اللغة العربية بين التراث والحداثة	4
52-78	د/ محمد فراج طه علي	التعددية الفكرية في فهم النص القرآني: دراسة تفسيرية	5
79-97	د. مرتضى إبراهيم وعمر صحاب	التكرار الصوتي لدى ابن إسحاق: دراسة أسلوبية لغوية	6
98-118	الدكتور: محمد حامد الديك	جماليّة التوظيف البلاغي لذكر المسند والمسند إليه أحاديث المناقب من صحيح الإمام البخاري" أنموذجا"	7
119-124	محمد منير بلو	معاني "من" و"في" و"عن" في ديوان مجمع الفي ض للشاعر تكرر الباغوي: دراسة نحوية	8
150-125	د.د. رائد أمير عبدالله الراشد	مخطوط لوامع الأنور في سيرة الأبرار - دراسة كوديكولوجيا	9
174-151	موسى صحابي وعقيل علي	الجار والمجرور وإعرابهما في قصيدة بردة المديح- دراسة نحوية	10
202-175	أ.بصير أحمد بن سلطان أحمد نادي	التأليف، أهميته، أنواعه، حقوقه وعناية الإسلام به	11
216-203	د. هادي جوف	وبصمات العارف الرباني المرحوم الشيخ محمد المنصور سه	12
227-217	محمد منصور محب	موقف الشريعة الإسلامية حول الحجر الصحي و أثر التباعد الإجتماعي في زمن الأوبئة	13
253-228	د. عبد الرؤوف مخلص الهروي	مستخرجات من علم المناهج واساليب التعليم الحديثة في كتاب العلم من صحيح البخاري	14
292-254	الدكتور/ مصطفى السيد عطية	دعائم الأداء اللوجيستي للمحكم وأثره في حكم التحكيم	15
15-1	Sadiya Shehu	Foreign Support in the Development of Arabic in Northern Nigeria: The Case of the Kingdom of Saudi Arabia	16

من عوامل حفظ العربية الهبات والعقوبات

إعداد:

أ.د. خالد صالح محمد عوض العزائي

هاتف جوال: 00967777181196

بريد إلكتروني: khaledalazzani1971@gmail.com

أستاذ النحو والصرف واللغة، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة عدن،
رئيس جامعة الخليج العربي للعلوم والتكنولوجيا (اليمن-لحج)، ومدير مركز اللغة العربية للتأهيل
اللغوي والتدريب (سابقاً)، جامعة عدن، اليمن.

ملخص البحث:

مرت اللغة العربية بظروف اعتورتها بعد علو مكانتها، وأخذت تنتقص منها بسبب اختلال
في بعض الأصوات وبعض البنى والتراكيب؛ ولأن العربية كيان الأمة الإسلامية فقد هب
علمائها والغيورون عليها للحفاظ على بهائها وصيانتها مما اعتورها من خلل أو طراً عليها
من لحن. وقد سطر التاريخ مواقف لكل من ذبّ عن العربية من علماء، أو من كان له
سلطة على بلاد المسلمين من الخلفاء والأمراء، فاتخذ من وظيفته وسلطانه سبيلاً
لحفاظ على العربية إما محاسبة لمن أخطأ أو مكافأة لمن أجاد.

فعلى مر التاريخ بدت ظواهر الخطأ واللحن في العربية جليّة، فكان لا بدّ من اتخاذ
إجراءات رادعة، أو عطاءات مكافئة للحد من تلك الظواهر والحفاظ على كيانها من
الانهيار، وهذا الإجراء يحسب للسلطان.

فعرض البحث في طياته بعض الحوادث والعوارض التاريخية في حضرة الخلفاء والأمراء،
وكانت مواقف أولئك أصحاب السلطة-انتصاراً للعربية باتخاذ العقوبات والإلزامات
السلطوية، أو المنح العطاءية من أجل الحدّ من الخطأ وصيانة العربية مما أصابها من
اللحن، أو منح أصحاب الجهود المعتبرة مكافآت جزاء أعمالهم التي تصب في مصلحة
العربية وأبنائها.

واختتم البحث بمجموعة من النتائج والتوصيات تخدم العربية صيانة وحماية.

كلمات مفتاحية: لغة، عربية، سلطة، سلطان، هبات، عقوبات.

Preserving the Arabic language through gifts and punishments'**Abstract:**

The Arabic language went through unfair circumstances after its high status, and it began to detract from it due to an imbalance in some sounds and some structures. And because Arabic is the entity of the Islamic nation, its scholars and zealots rose up against it to preserve its splendor and protect it from any defects or mistake that had occurred to it.

History has written positions for everyone who defended Arabic, and among those who had authority over Muslim countries from the caliphs and princes, so he took his position and authority as a way to preserve Arabic, either as accountability for those who erred or as a reward for those who did good.

Throughout history, the phenomena of error and mistake in Arabic seemed clear, so it was necessary to take deterrent measures to reduce these phenomena and preserve its entity from collapse, and this measure is counting for the Sultan.

The research answered two important questions: Was it possible to suffice with alerting the virtuous scholars to errors and mistake, and relying on people's awareness to remedy that error? Did the authority of the caliphs and princes achieve its goal by limiting the spread of that error?

In the research, the historical method was followed in tracking the phenomena and events in question, and the descriptive approach - besides it - was taken as a way to analyze those phenomena and events.

One of the research tools was a set of historical texts that show part of the keenness of those in power to pay attention to Arabic and to remove the mistake that was attached to it.

The research presented with it some historical incidents and incidents in the presence of the caliphs and princes, and the positions of those - the owners of power - were a victory for the Arab by adopting punishments and authoritarian obligations, or giving gifts in order to reduce the error and preserve the Arabic from the mistake that hit it, or give the owners of the considered efforts rewards for their actions Which is in the interest of the Arabic language and her people.

The research concluded with a set of results and recommendations that serve Arabic language defense and protection.

Keywords: language, Arabic, authority, sultan, gifts, punishments.

المقدمة:

الحمد لله منثنى الخلق من العدم، خلق الإنسان علمه ما لم يعلم، وأشهد أن لا إله إلا الله العلي الأكرم، وأشهد أن محمدًا عبده ونبيه سيد العرب والعجم، صلى الله عليه الطيب العلم، وعلى آله وصحبه أهل السلام والبيان والكرم، أما بعد:

فقد مرت اللغة العربية بظروف متعددة اعتورتها بعد علو مكانتها عند اتساع رقعة البلاد الإسلامية بعد الفتوحات، وأخذت تنتقص منها بسبب اختلال في بعض الأصوات وبعض البنى والتراكيب بسبب اختلاط الألسن؛ ولأن العربية كيان الأمة الإسلامية فقد هبّ علماءها والغيورون عليها للحفاظ على بهائها وصيانتها مما اعتورها من خلل أو طراً عليها من لحن. وقد سطر التاريخ مواقف لكل من ذبّ عن العربية من علماء وأمرء وخلفاء، وكان لكل صنف من أولئك طريقته في درء الخلل وإصلاحه، فكان للعلماء جهد كبير ملموس في الحفاظ على اللغة العربية بوضع القواعد والقوانين المطّردة لانتحاء سمت كلام العرب، فألّفوا المعجمات وكتب اللغة وقتنوا للصرف والنحو وعلوم العربية كافة، ووضعوا لذلك المصنفات والتراث اللغوي العظيم. ومن الصنف الآخر من كان له سلطة على بلاد المسلمين من الخلفاء والأمراء، فاتخذ من وظيفته وسلطانه سبيلاً للحفاظ على العربية إما محاسبة لمن أخطأ أو مكافأة لمن أجاد.

فعلى مر التاريخ بدت ظواهر الخطأ واللحن في العربية جليّة، فكان لا بدّ من اتخاذ إجراءات رادعة للحد من تلك الظواهر والحفاظ على كيانها من الانهيار، وهذا الإجراء يحسب للسلطان.

وقد أجب البحث عن سؤالين مهمين: هل كان بالإمكان الاكتفاء بتنبية الفضلاء من العلماء على الأخطاء واللحن، وخط سبيل التقنين لقواعد العربية، والركون إلى وعي الناس وهمتهم في تدارك ذلك الخطأ بالامثال لتلك القوانين؟ وهل حققت سلطة الخلفاء والأمراء بالعطاء أو العقوبات مرادها بالحدّ من انتشار ذلك الخطأ؟ وقد اتُّبع في البحث المنهج التاريخي في تتبع الظواهر والأحداث محل البحث، واتخذ المنهج الوصفي-إلى جانبه-سبيلاً في تحليل تلك الظواهر والأحداث.

فكان من أدوات البحث مجموعة النصوص التاريخية التي أظهرت جانباً من حرص العلماء وأصحاب السلطة بالاهتمام بالعربية وإزالة اللحن الذي لحق بها. وعرض البحث في طياته بعض الحوادث والعوارض التاريخية في حضرة العلماء على وجه العموم، والخلفاء والأمراء على وجه الخصوص؛ لإظهار جانب التأثير للسلطان في اتخاذ إجراءات من شأنها ردع المخالفين بالقوة ولو كان في خطأ اللسان. وكانت مواقف أولئك-

أصحاب السلطة-انتصاراً للعربية باتخاذ العقوبات والإلزامات السلطوية، أو المنح العطائية من أجل الحدّ من الخطأ وصيانة العربية مما أصابها من اللحن، أو منح أصحاب الجهود المعتبرة مكافآت جزاء أعمالهم التي تصب في مصلحة العربية وأبنائها. وخلص البحث بنتائج وتوصيات تخدم العربية من وجهة نظر الباحث، والله الهادي إلى سواء السبيل.

الدراسة:

لقد استقرأ العلماء أحوال العربية منذ أن كانت في أوج صحتها إلى أن شابهها اللحن، وخلصوا إلى أن اللحن دخلها في عهدها الأول بمخالطة الأعاجم والموالي من عهد النبي-ﷺ فقد قال أبو الطيب اللغوي: "واعلم أن أول ما اختل من كلام العرب وأحوج إلى التعلم الإعراب؛ لأن اللحن ظهر في كلام الموالي والمتعزّين من عهد النبي عليه الصلاة والسلام"^[1].

وإنّ أول رواية تطالعنا في التاريخ الإسلامي عن اللحن ما رواه الحاكم في مستدرکه عن أبي الدرداء-رضي الله عنه- أن النبي-ﷺ- سمع رجلاً قرأ فلحن، فقال رسول الله-ﷺ-: "أرشدوا أحاكم"^[2]. فهذه الرواية المبكرة في تلافي اللحن وعدم السكوت عنه جاءت من أفصح الخلق، ومن قوم كانوا أفصح الناس في ذلك الزمان، وإن دلالة التأكيد على عدم تجاوز اللحن ينبئ بخطر الأمر في بادئ، وأنه لا يسكت عليه ولا يتهاون فيه، وأن الجهود لا بدّ أن تتظافر فيه لإزالته، فأمر الرسول الكريم أصحابه على تولي المهمة، وإرشاد اللاحن إلى موطن الخلل وإصلاحه، فهذا الإرشاد تحصر الأخطاء.

وكان اللحن في بادئ محصوراً معدوداً لا يكاد يذاع؛ حتى ظهر جلياً على أسماع الناس في الحواضر والبوادي، وسجلت أول حالة له في البادية مشاعة، وأول حالة له في الحاضرة مشاعة-كذلك- بما رواه الجاحظ في كتابه البيان والتبيين، فقال: "إن أول لحن سمع بالبادية: هذه عصاتي [بدل عصاي]، وأول لحن سمع بالعراق [يعني الحاضرة]: حيّ على الفلاح [بكسر الياء بدل فتحها]"^[3].

ثم شاع اللحن وتعدى العامة إلى خاصة الناس من كُتّاب الولاية والأمراء والخلفاء؛ حتى كتب كاتب لأبي موسى الأشعري إلى عمر-رضي الله عنه:- "من أبو موسى؛ فكتب إليه عمر: "سلام عليك، أما بعد فاضرب كاتبك^[4] سوطاً واحداً، وأخر عطاءه سنة"^[5].

فهذه الرواية على ما فيها من ظهور الخطأ وشيوعه وتغلغله في أروقة الدواوين، تظهر إجراء سلطويًا في الحزم مع الخطأ، ولا سيما في المراسلات الرسمية، وأن المنتمين إلى السلطة من الولاة والعمال أولى الناس بالتزام الصواب وتجنب الخطأ، فكان الإجراء المتبع أن أمر الخليفة الفاروق بمعاينة الكاتب على لحنه تعزيرًا بضرب سوط، وتأخير عطائه عامًا جزاء لحنه.

ومما روي في معالجة اللحن كذلك من جهة السلطة أن أعرابياً قدم المدينة في خلافة عمر-رضي الله عنه فقال: "من يقرئني شيئاً مما أنزل على محمد؟ فأقرأه رجل سورة براءة [التوبة] بهذا اللحن [بجرّ رسوله]: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ...﴾^[6]، فقال الأعرابي: إن يكن الله بريئاً من رسوله، فأنا أبرأ منه، فبلغ عمر مقالة الأعرابي فدعاه، فقال: يا أمير المؤمنين، إني قدمت المدينة...وقص القصة، فقال عمر: ليس هكذا يا أعرابي، فقال: كيف هي يا أمير المؤمنين؟ فقال: ﴿...أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾، فقال الأعرابي: وأنا أبرأ ممن برئ الله ورسوله منهم. فأمر عمر-رضي الله عنه ألا يُقرئ القرآن إلا عالم باللغة"^[7].

فعمل عمر-رضي الله عنه على أمر كبير بأن ألزم قرّاء القرآن على تعلّم العربية وإتقانها، فلا يتقدم لإمامة الناس إلا حافظ للقرآن عالم بالعربية؛ لئلا يقع في خطأ يترتب عليه إضلال الناس، ولا سيّما في ذلك الزمان؛ لبقاء الفصاحة فيهم إلا قليل منهم كما حصل من القارئ.

واستشرى اللحن حتى لامس السنة الخاصة من العلماء وعلية القوم؛ وبلغ من أمر اللحن-فيما بعد-أن تسرب إلى ألسنة أكثر العلماء، فتساهلوا في أمره، قال ابن فارس: "وقد كان الناس قديماً يجتنبون اللحن فيما يكتبونه أو يقرؤونه اجتنابهم بعض الذنوب، فأما الآن فقد تجوّزوا حتى إن المحدث يحدّث فيلحن والفقيه يؤلف فيلحن فإذا نُبِّها قالوا: ما ندري ما الإعراب؟ وإنما نحن محدّثون وفقهاء، فهما يُسرّان بما يساء

به اللبيب. ولقد كلمت بعض من يذهب بنفسه ويراهما من فقه الشافعي بالرتبة العليا في القياس فقلت له: ما حقيقة القياس ومعناه؟ ومن أي شيء هو؟ فقال: ليس عليّ هذا، وإنما عليّ إقامة الدليل على صحته. فقلّ الآن في رجل يروم إقامة الدليل على صحة شيء لا يعرف معناه، ولا يدري ما هو. ونعوذ بالله من سوء الاختيار"^[8]، فاستشراء اللحن في أشرف من العلماء وعدم اكتراثهم به يبنى بتهاون العامة على وجه غير متوقع؛ حتى أضحووا يعدّون في الناس من لا يلحن، قال الأصمعي: "أربعة لم يلحنوا في جدّ ولا هزل: الشعبي، وعبد الملك بن مروان، والحجاج بن يوسف، وابن القريّة، والحجاج أفصحهم"^[9].

وكان الحجاج من الأمراء الذين يُعدّون من أفصح الناس وكان من الخطباء البلغاء؛ ولحرصه على العربية كان يأنف اللحن، ولا يرتضيه لنفسه ولا من غيره، وكان حريصاً على ستره إن بدا منه، وحريصاً على إبعاد من اطلع عليه، فقد ذكر أنه سأل يحيى بن يعمر الليثي: "أتسمعي ألحن على المنبر؟"، فقال يحيى: "الأمير أفصح الناس إلا أنه لم يكن يروي الشعر" قال: "أتسمعي ألحن حرفاً؟" قال: "نعم، في أي القرآن" قال: "فذاك أشنع؛ وما هو؟" قال تقول: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَأَخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾^[10]. تقرؤها "أحبُّ" بالرفع، فأنف الحجاج أن يطّلع له رجل على لحن، فبعث به إلى خراسان. وكان الحجاج يعجب بفصاحة يحيى بن يعمر، فسأله يوماً: "أخبرني عن عنبسة بن سعيد: أيلحن؟" قال: "كثيراً" قال: "أفأنا ألحن؟" قال: "لحنًا خفيًا" قال: "كيف ذلك؟" قال: تجعل "أَنَّ، إِنَّ، و" "إِنَّ، أَنْ، ونحو ذلك. قال: "لا تساكني ببلد، اخرج"^[11]، وهذا ما يفسر نفيه إلى خراسان، وهذا الإجراء- وإن كان شخصيًا- يُنزّه الطبع عن الوقوع في الخطأ وتلافيه سرًا.

وإن فصاحة المرء قد ترفعه إلى الولايات والغنى، وتزيد شأنه عند أولي الأمر؛ وهذا من طرف السلطان كافٍ في الترغيب والترهيب. وسؤال الحجاج عن لحن بعض الناس ذوي الشأن مشعر باهتمام الحكومة والمجتمع بأمر اللحن، وذلك طبيعي من دولة قامت على العصبية العربية بعد أن رأت اللحن يفسد في الطبقات الرفيعة من الأمراء والحكام وأشرف الناس^[12].

وكان عبد الملك بن مروان يقول: "إن الرجل يسألني الحاجة فتستجيب نفسي له بها، فإذا لحن انصرفت نفسي عنها"^[13]. ومثله قال عمر بن عبد العزيز: "إن الرجل ليكلمني في الحاجة يستوجبه فيلحن فأرده عنها، وكأني أقضم حب الرمان الحامض لبغضي استماع اللحن، ويكلمني آخر في الحاجة لا يستوجبه؛ فيعرب فأجيبه إليها؛ التذاذًا لما أسمع من كلامه"^[14].

وكان عبد العزيز بن مروان يعطي على العربية ويحرم على اللحن، فذكر أنه قدم عليه زوار من أهل المدينة، وأهل مكة من قريش، فجعل يقول للرجل منهم: "من أنت؟، فيقول: من بني فلان، فيقول للكاتب: أعطه مائتي دينار؛ حتى جاءه رجل من بني عبد الدار، فقال: من أنت؟، فقال: من بنو عبد الدار، فقال: تجدها من جائزتك، وقال لكاتبه: أعطه مائة دينار"^[15].

وشاع اللحن في العصر الأموي؛ حتى تطرق إلى البلغاء من الخلفاء والأمراء كعبد الملك والحجاج، والناس يومئذ تتعابير به، وكان مما يسقط الرجل في المجتمع أن يلحن، وقد بلغ استهجان اللحن أن اشتهر القول: "ليس للاحن حرمة"^[16].

ولما أضحى اللحن لا حرمة له كان عمر بن عبد العزيز أشد الناس في استهجان اللحن على ولده وخاصته ورعيته، وربما أدب عليه.^[17]

"إن الخوف على العربية له ما يفرضه من التُّدْر، وأنه تمكن في النفوس حتى تضافرت جهود العلماء وذوي السلطان على صيانة العربية، وأن الحرمان من المال أو العمل مما كان يصيب اللّحانة"^[18].

وكان خاصة القوم لا يطبقون اللحن ولا يجد إلى ألسنتهم طريقًا؛ حتى إذا خافوا على أنفسهم السلطان في أن يستعملهم في أمر وهم عنه راغبون أو يكرهون أميرًا بعينه لظلمه، وهم يعلمون كرهه للحن اتخذوا اللحن مطية؛ لينفر منهم الأمراء فيتركونهم ولا يستعملونهم، فقد بعث الحجاج إلى والي البصرة: "أن اختر لي عشرة ممن عندك، فاختر رجلاً منهم كثير بن أبي كثير، وكان رجلاً عربيًا، قال كثير: فقلت في نفسي: لا أفلت من الحجاج إلا باللحن. فلما أدخلنا عليه دعاني فقال: ما اسمك؟ قلت: كثير، قال: ابن من؟ قلت: ابن أبا كثير، فقال: عليك لعنة الله، وعلى من بعث بك، جنوا في قفاه، فأخرجت"^[19].

وكان المأمون يأخذ عماله باللوم إذا كان في كتبهم إليه لحن، ويعد ذلك استهانة منهم بمقام الخلافة، فقد ذكر ابن قادم النحوي الكوفي قصة في هذا المقام، فقال: "وجه إليّ إسحاق بن إبراهيم المصعبي يومًا فأحضرني، فلم أدِر ما السبب، فلما قريتُ من مجلسه تلقّاني ميمون بن إبراهيم كاتبه على الرسائل وهو على غاية من الهلع والجزع، فقال لي بصوت خفيّ: "إنه إسحاق" ومر غير متلبث ولا متوقف؛ حتى رجع إلى مجلس إسحاق، فراعني ذلك. فلما مثلت بين يديه قال لي: كيف يقال: "وهذا المال مألًا" أو "وهذا المال مال"؟! فعلمت ما أراد ميمون، فقلت له: الوجه: "وهذا المال مال"، ويجوز: "وهذا المال مألًا"، فأقبل إسحاق على ميمون بغلظة وفضاظة، ثم قال: الزم الوجه في كتبك، ودعنا من يجوز ويجوز، ورمى بكتاب في يده، فسألت عن الخبر، فإذا ميمون قد كتب إلى المأمون وهو ببلاد الروم عن إسحاق وذكر مألًا حملة، فكتب: "وهذا المال مألًا" فخط المأمون على الموضوع من الكتاب ووقع بخطه في حاشيته: "تخاطبني بلحن!!" فقامت القيامة على إسحاق.

فكان ميمون بعد ذلك يقول: "ما أدري كيف أشكر ابن قادم، أبقى عليّ روجي ونعمتي!!" قال ثعلب راوي الخبر: "فكان هذا مقدار العلم وعلى حسب ذلك كانت الرغبة في طلبه والحذر من الزلل" قال: "وهذا المال مألًا ليس بشيء، ولكن أحسن ابن قادم في التأتّي لخلاص ميمون"^[20].

ودخل رسول والي الكوفة العباس بن محمد بن موسى على طاهر بن الحسين فقال له: "أخيك أبي موسى يقرأ عليك السلام" قال: "وما أنت منه؟! " قال: "كاتبه الذي يطعمه الخبز"، فأمر تَوًّا بصرف العباس عن الكوفة؛ إذ لم يتخذ كاتبًا يحسن الأداء عنه.^[21] ففي هذه الأخبار كان الخلفاء على حرص شديد بأن تكون الكتابة صحيحة، منتقاة ألفاظها، دقيقة معانيها، لا يشوبها خطأ ولا لحن، وكانت لديهم حساسية مفرطة من اللحن بأن يخاطبوا به، أو أن تقع أعينهم على سواد كتابة منهم إليهم، وهم من الفصاحة بمكان، فلا يحبون أن يكون عمالهم وكتابهم لهم حظ من هذا اللحن، وإن وقعوا فيه وقعت عليهم العقوبة جزاء وفاقًا في عرفهم.

وكانت لملاحظات العلماء والفضلاء في تنبيه الناس على اللحن وتوجيههم بتصويبه، وحرصهم على استقامة ألسن الناس بوضع القواعد وقوانين الصناعة في علم النحو-أثر كبير ومنفعة عالية إلى يومنا هذا، بل إنهم كانوا يعدون العربية أحد ميازين الشريعة إذ لا يفهم التشريع من لا يفقه العربية، ودرجة المرء في فهم الشريعة على قدر فهمه للعربية، قال الشاطبي رحمه الله: "وإذا فرضنا مبتدئاً في فهم العربية فهو مبتدئ في فهم الشريعة، أو متوسطاً فهو متوسط في فهم الشريعة، والمتوسط لم يبلغ درجة النهاية، فإذا انتهى إلى الغاية في العربية كان كذلك في الشريعة، فكان فهمه فيها حجة، كما كان فهم الصحابة وغيرهم من الفصحاء الذين فهموا القرآن حجةً، فمن لم يبلغ شأوه فقد نقصه من فهم الشريعة بمقدار التقصير عنهم، وكل من قصر فهمه لم يكن حجة، ولا كان قوله مقبولاً"^[22].

ولكن هذه التوجيهات والأعمال العظيمة من المؤلفات التي حفظت للناس لغتهم لم تجد طريقاً إلى ألسن الناس تصويباً تصحيحاً على جهة الإلزام، وإنما اختيار واعتياد، وربما وجد اللحن متسعاً لدى الناس لضعف الهمم، والبعد الكبير بينهم وبين المصدر. ولم يكن ذلك بعيداً عما خشيه العلماء في بداية الأمر وكانّ الزمان قد استدار، فقد ذكر ابن خلدون في مقدمته الغرض من تأليف العلماء للمؤلفات ووضع قوانين الصناعة، فقال: "وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأساً ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث على المفهوم فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطّردة شبه الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشباه بالأشباه، مثل: أنّ الفاعل مرفوع، والمفعول منصوب، والمبتدأ مرفوع. ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات، فاصطلحوا على تسميته إعراباً، وتسمية الموجب لذلك التغير عاملاً، وأمثال ذلك. وصارت كلّها اصطلاحات خاصة بهم، فقيّدوها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة"^[23].

ولم يكن التشجيع على اعتياد الفصاحة بالمغريات المادية والعطاءات لدى العلماء متوافقاً حتى يلتزمه الناس، على خلاف ما كان عند الأمراء والخلفاء؛ لذا فإن جهود العلماء في التأليف ووضع القواعد نفع الناس على مر العصور بالعودة إلى معيار منظم

ومستقيم؛ لتصحيح مسار النطق والكتابة العربية، وهذا بحد ذاته عملاً عظيماً قل نظيره فرحمهم الله جميعاً.

وكان العلماء يمتحنون طلاب العلم ممن يروم التلمذ على أيديهم بالعربية ويجعلونها من أساسيات امتحانهم بالشريعة، فقد نقل الذهبي في السير عن أبي العيّن قال: "أُتيت عبد الله بن داود الخريبي فقال: ما جاء بك؟ قلت: الحديث. قال: اذهب فاحفظ القرآن. قلت: قد حفظت القرآن. قال: اقرأ ﴿وَأَنْزَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾^[24]، فقرأت العشر حتى أنفذته. فقال لي: اذهب الآن فتعلم الفرائض. قلت: قد تعلمت الصلْب والجد والكُبر. قال: فأيما أقرب إليك ابن أخيك أو عمك؟ قلت: ابن أخي. قال: ولم؟ قلت: لأن أخي من أبي وعمي من جدي. قال: اذهب الآن، فتعلم العربية. قلت: قد علمتها قبل هذين، قال: فَلِمَ قال عمر-يعني حين طعن-يا لله-يا للمسلمين، لِمَ فتح تلك وكسر هذه؟ قلت: فتح تلك اللام على الدعاء، وكسر هذه على الاستغاثة والاستنصار، فقال: لو حدثت أحداً لحدثتك"^[25].

ويأتي بعد ذلك عمل من يحمل الناس على التزام الطريقة السليمة في الكلام، وهذا لا شك-ليس عمل العلماء، وإنما عمل أصحاب السلطات في كل زمان ومكان، فالمواقف التي ذكرت سلفاً من الأمراء والخلفاء على معاينة الواقعيين في اللحن قولاً وكتابة، أو بذل العطاء لمن حسن قوله وسلمت كتابته، كان له الأثر الظاهر بالتزام الناس القول السديد، وتجنب اللحن على أننا لا نستطيع الجزم بأن الترغيب والترهيب في هذا المجال قد يؤتي أكله على كل الأصعدة، ولكنه أحد الوسائل المهمة الداعمة لجهود العلماء بالزام الناس ترك اللحن، والتزام سمت العرب في كلامها.

وإن السلطان بوضعه التشريعات التي من شأنها حثّ الناس على توخي الحذر من الوقوع باللحن قولاً وكتابة في مجالات الحياة المختلفة-يقلل من وطأة انتشار اللحن الفاحش في مجتمعاتنا العربية، وهذا أمر يحمد عليه الحاكم.

فلا بد من تفعيل قوانين تحمي اللغة العربية من اللحن محافظة على الهوية الإسلامية العربية، وهذه القوانين تكون ملزمة لأفراد الأمة، وتقع على مخالفتها العقوبة، كما حصل في صدر هذه الأمة.

الخاتمة:

لقد طاف بنا البحث على بعض المواقف التاريخية منذ بدء فشو اللحن على السنة العرب؛ بسبب اختلاطهم بالأعاجم عند اتساع حدود الدولة الإسلامية بالفتوحات، ودخول الناس في دين الله، وإقبالهم على تعلم اللغة العربية لغة الدين والتشريع. وظهرت مواقف الاستهجان من ذلك اللحن مبكراً وطفق أهل الغيرة يتخذون مواقف وإجراءات من شأنها الحد من ذلك الخطر الذي يهدد هيبة العربية وكيانها المصون، فكانت مواقف العلماء ظاهرة جليّة وأعمالهم خالصة نقية، وآثارهم إلى يومنا هذا حصينة قوية، وأردفهم بالمواقف الجريئة القوية ثلة من الأمراء والخلفاء اتخذوا من سلطتهم سبيلاً لجزر اللحنين إما عطفاً عليهم بالهبات؛ ترغيباً بالتزام الجادة في قول الصواب، وإما ترهيباً من الوقوع في خطل اللحن، وإما تنكياً على اللحن بإيقاع العقوبة على المسيئين ممن هم تحت سلطتهم.

ولم يكن الخلفاء والأمراء الحريصون على بهاء العربية والخائفون من ذهاب وهجها إلا أصحاب همم عالية ورؤى سديدة، حين عالجوا تلك الزلات بالهبات أو العقوبات، وقد رأوا من أنفسهم أحقية القيام بذلك الواجب من منطلق المسؤولية "كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته"، ورأوا من سلطتهم أنها كفيلة بالحد من ذلك الانتشار في اللحن، الذي يهدد بضياح قدر كبير من رونق العربية، فبادروا بأوليات سن التشريع للحفاظ على اللغة العربية.

وخلص البحث إلى جملة من النتائج والتوصيات منها:

- 1- أظهر البحث أن مواقف العلماء كانت أوسع في حصر اللحن بإرشاد من غير قوة.
- 2- أثبت البحث أن السلطان بسلطته وإجراءاته يستطيع منع كثير من الخطأ.

- 3- أنّ السلطة حماية أكيدة للعربية إذا كان أصحابها ذوي رؤية سديدة، وفي أنفسهم محبة أكيدة في تعزيز مكانة العربية.
- 4- أنّ التشريعات السلطوية-بمحااسبة المسيئين للعربية عمدًا بحزم، أو خطأ بتوجيه-تقلل من الشرّ المستطير المحيط بالعربية.
- 5- أنّ اتخاذ الإجراءات الملزمة-بالمحااسبة، أو المكافأة-ينفع كثيرًا في الحفاظ على العربية.
- 6- سنّ التشريعات والقوانين الملزمة بقوة السلطة تمكّن العربية في مجتمعاتها.
- 7- أنّ القوانين الملزمة بالتصويب في مرافق الدولة من أعلاها إلى أدناها؛ تسهم في تعليم العربية، وتجنبها كثيرًا من الشوائب العالقة بها.
- ويوصي البحث:**
- 1- أن يخص مصحّحًا لغويًا في دواوين الوزارات؛ لتصحيح محاضر الاجتماعات، وأن تعرض عليه المراسلات الصادرة؛ لتجنب الخطأ.
- 2- أن يخص مكتبًا خاصًا بتصحيح اللغوي في إدارة البلديات في المحافظات يُعنى بتصحيح الرُخص الصادرة، والإعلانات العامة في الشوارع، ولوحات المعارض والمحلات، وألا يُصدر رخصةً لها إلا بخلوها من الخطأ، ومحااسبة دور الإعلان عن أخطائها اللغوية عند صناعتها، وعرضها من دون الرجوع إلى الجهة المختصة.
- 3- أن يكون في وزارة الأشغال متخصصًا في التصحيح اللغوي؛ لتجنب الخطأ في اللوحات الإرشادية في كل الشوارع والمباني الحكومية والموانئ والمطارات، فإنها واجهة البلاد العربية.
- 4- أن تكون الجامعات العربية أولى المؤسسات الحكومية بسنّ تشريعات ملزمة بتصحيح في كل المراسلات والمحاضر، وإنشاء مراكز متخصصة لمتابعة تعزيز مكانة العربية في الجامعات والمجتمع.
- والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الهوامش:

- [1] مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ص 18.
- [2] أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين: 288/3، وجاء هذا الخبر بزيادة لفظ "فإنه قد ضلّ" في: الخصائص لابن جني 8/2، وإرشاد الأريب 82/1، وهي زيادة ضعيفة.
- [3] البيان والتبيين للجاحظ 151/2.
- [4] الكاتب كان أبا الحصين بن أبي الحرّ العنبري، ينظر: وفيات الأعيان 99/5، وكان أبو موسى قد استكتبه بعد زياد.
- [5] مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ص 19.
- [6] سورة التوبة، آية: 3.
- [7] نزهة الألباء ص 7، وينظر: الخصائص لابن جني 8/2، ومراتب النحويين ص 18.
- [8] الجامع للخطيب 25/2.
- [9] تاريخ دمشق لابن عساكر 203/34، وينظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي 167/1.
- [10] سورة التوبة، آية: 24.
- [11] تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر 65/4، وطبقات النحويين واللغويين ص 5.
- [12] من تاريخ النحو، سعيد الأفغاني ص 15.
- [13] عيون الأخبار 158/2.
- [14] الأضداد لابن الأنباري ص 245.
- [15] تاريخ دمشق لابن عساكر 161/20.
- [16] ينظر: الأضداد لابن الأنباري ص 245.
- [17] ينظر: إرشاد الأريب 89/1.
- [18] من تاريخ النحو، سعيد الأفغاني ص 15.
- [19] إرشاد الأريب 87/1.
- [20] إنباه الرواة 157/3، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص 153.
- [21] إرشاد الأريب 86/1.
- [22] الموافقات 83/4.
- [23] مقدمة ابن خلدون 754/1.
- [24] سورة يونس، آية: 71.
- [25] سير أعلام النبلاء 351/9.

الهوامش:

المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الكتب المطبوعة:

1. إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء)، لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت 626هـ) تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1414هـ-1993م.
2. الأضداد، لأبي بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن قروة بن قطن بن دعامة الأنباري (ت 328هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1407هـ-1987م.
3. إنباه الرواة على أنباه النحاة، لأبي الحسن جمال الدين علي بن يوسف القفطي (ت 646هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1406هـ-1982م.
4. البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: السابعة، 1418هـ-1998م.
5. تاريخ دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت 571هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، 1415هـ-1995م.
6. تهذيب تاريخ دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت 571هـ)، هذبه ورتبه: عبدالقادر بدران (ت 1346هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ط.)، (د. ت.).
7. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت 463هـ) تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، 1403هـ-1989م.
8. الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلبي (ت 392هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، الطبعة: الأولى، 2006م، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، 1371هـ-1952م.
9. سير أعلام النبلاء، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت 748هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1405هـ-1985م.

10. طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي (ت 379هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعارف، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1984م.
11. عيون الأخبار، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، (د. ط)، 1418هـ.
12. مراتب النحويين لأبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي (ت 310هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، (د. ت)، 1974م.
13. المستدرک على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري المعروف بابن البيع (ت 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1411هـ-1990م.
14. مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت 808هـ)، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، الطبعة: الأولى، 1425هـ-2004م.
15. من تاريخ النحو، لسعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني (ت 1417هـ)، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولى، (د. ت).
16. الموافقات، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت 790هـ) تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفا، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1417هـ-1997م.
17. نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، كمال الدين الأنباري (ت 577هـ) تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة: الثالثة، 1405هـ-1985م.
18. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلکان البرمكي الإربلي (ت 681هـ) تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الجزء: 5، الطبعة: الأولى، 1994م.

فن الرثاء لدى الشاعر زهر الدين المصطفى غدن ساعي: دراسة أدبية تحليلية

إعداد:

موسى صحاي

كلية الشيخ شاغري للتربية، صكتو

المقدمة:

الحمد لله الذي أَمَاتَ وَأَحْيَا القَائِلَ: {هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}¹ والصلاة والسلام على من سن التعزية القائل: (إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب)² وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الرثاء فن هم من فنون الأدب الغنائي وهو للوجدانيات المصبوغة بصبغة الحزن والمؤاساة، فهذه المقالة عبارة عن دراسة أدبية بعنوان (فن الرثاء في قصائد زهر الدين المصطفى غدن ساعي دراسة أدبية تحليلية، اختار الباحث منها قصيدة رائية رثى بها أبا صاحبه محمد نور علي وهو الحاج على غَسَلْ مَدِ.

ولمعالجة هذا الموضوع تناول الباحث النقاط التالية:

- المقدمة
- ترجمة حياة الشاعر
- تعريف الرثاء
- مفهوم الرثاء عند النقاد
- عرض القصيدة
- الدراسة التحليلية
- الخاتمة
- الهوامش والمراجع.

ترجمة حياة الشاعر:

نسبه ومولده:

هو أبو محمد زهر الدين المصطفى بن بحر الدين الملقب (بِطَنْ مَيْتُوكَ) بن أبوبكر.

وأما نسبه من جهة والده فهو زهر الدين المصطفى وولد في عائلة معروفة من أهل العلم في غدن ساعي صكتو حيث كان والده يسكن فيه وهو بيت علم وثقافة³ ولادته:

ولد الشاعر زهر الدين المصطفى غدن ساعي بحي هباري التي في حكومة محلية الشمالية ولاية صكتو نيجيريا في عام 1407هـ الموافق 1986م.⁴ نشأته وتعلمه:

نشأ الشاعر زهر الدين المصطفى في رعاية والديه الكريمين حيث ربياه تربية إسلامية وتنقف ثقافة إسلامية في الدين والعلم والمعاملة كانت حياة زهر الدين مليئة بحب العلم وآمله منذ صغره، وهو يحب الخلوة في بداية تعلمه حتى الآن وكانت أسرة الشاعر أسرة معروفة من أهل العلم والثقافة.⁵

طلب العلم والسعي في تحصيله: بدأ الشاعر تعلمه من الكتاتيب الدهليزية منذ أن كان صغيراً قرأ القرآن الكريم على يد الشيخ المقرئ إبراهيم الشاطبي في مسجد الشيخ عثمان ابن فودي تغمده الله برحمته مع ما يعانيه من شدة المرض وتعلم منه الكتب الأساسية في الدين الإسلامي واللغة العربية من التوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصول الفقه والنحو والصرف والبلاغة والأدب وغيرها من الكتب المتداولة في هذه الناحية الشمالية اتصل الشاعر بالأساتذة آخرين ليتلقى منهم العلم. وممن تلقى منهم الشيخ مالم لادن هباري تعلم منه مؤلفات علماء الجهاد منها أصول الدين، الشيخ عثمان بن فودي،⁶ (ونور الألباب) للشيخ عثمان بن فودي، و(بيان البدع الشيطانية) للشيخ عثمان بن فودي، و(إحياء السنة) للشيخ عثمان بن فودي، و(نجم الإخوان) للشيخ عثمان بن فودي، وغيرها، حفظ عدد من الكتب اللغة مثل: (كتاب لامية الأفعال)، و(مقصورة بن دريد) وألفية بن مالك) وكتاب الحصن الرصين).

و(عقود الجمان) وغير ذلك من كتب اللغة هكذا واصل الشاعر يحضر مجالس العلماء ويأخذ منهم، وكان الأستاذ نور الدين عبد الله ناساعي العم كونه الشاعر حيث دربه على معرفة فنون العربية أمثال نيل الأماني في شرح التهاني للبوسي، و"دالية ابن ناصر"

لليوسي، وكتاب تزيين الورقات بجمع بعض مالي من الأبيات) الأستاذ عبد الله بن فودي، وغيرها من الكتب التي درسها على يد الأستاذ نور الدين عبد الله ناساعي⁷. كان الشاعر على داية تامة وثقافة واسعة بعلوم القرآن وتفسيره وقراءته لازم الشيخ إبراهيم محمد الملقب بالشاطبي وقرأ عنده القرآن الكريم وسمع منه روايات كثيرة وتعلم منه الشاطبية وهداية المريد وصحيح مسلم وتفسير ضياء التأويل، وغير ذلك من الكتب.⁸

ويفهم السامع والقارئ مما سبق ذكره أن الشاعر زهر الدين المصطفى أكمل حفظه لكتاب الله لما بلغ الثامنة عشر من عمره وتمتع بالذكاء وقوة الحفظ منذ الصغر حيث منّ الله عليه بحفظ القرآن في السنة الواحدة على يد معلمه الأستاذ المقرئ إبراهيم الشاطبي، في مسجد الشيخ عثمان فودي، لازم العلماء وعكف على دراسة الكتب عندهم⁹

وألزم نفسه مراجعة الكتب وحفظ بعض الكتب التي تعين الدارس على فهم القواعد، وقد حفظ الشاعر الدالية وبردة المديح، والهمزية للبوصيري ومقصورة بن دريد، وألفية بن مالك والدرة اليتيمة وغيرها من الكتب اللغوية.

وأما مقامات الحريري فقد أتقنها إتقاناً لا يدع للقاري مجالاً للشك ومما يدل على ذلك برنامجه الأسبوعي الذي يقدمه في إذاعة غرّكوفا مع ناصر عباس بابي. وله علماء كثيرة منهم الأستاذ يوسف أبوبكر بكني والأستاذ عمر ياوري والأستاذ بخاري عبد الله ناساعي، والدكتور عبد الله الطاهر المصري، وغيرهم.

طلابه:

تعلم عند الشاعر عدد كبير من الطلاب في صكتو وخارجها ويذكر الباحث منهم من يلي:

- 1- الدكتور علي عبد الله المحاضر في كلية الشيخ شاغاري للتربية صكتو
- 2- الأستاذ أبوبكر يحيى المحاضر في كلية الشيخ شاغاري للتربية صكتو
- 3- الأستاذ زكرياء عمر يابوي المحاضر في كلية الشيخ شاغاري للتربية صكتو
- 4- الأستاذ بخاري عمر البرّوي المحاضر في كلية الشيخ شاغاري للتربية صكتو

- 5- الأستاذ أبوبكر أبي بكر المحاضر في كلية الشيخ شاغار للتربية صكتو، إماما وخطيب في مسجد الجامع لولاية صكتو
- 6- مالم علي أبوبكر أبو عبد الغفار
- 7- مالم محمد الثاني عيسى يز أكيج أكرم
- 8- مالم محمد بشير مراف إمام وخطيب مسجد أم المؤمنين عائشة غدن دهلأ صكتو
- 9- مالم النذير أبوبكر سليما
- 10- مالم مختار أبوبكر مدير مركز التحفيظ وإتقان تلاوة القرآن
- 11- مالم محمد ناصر عثمان مدير معهد عيسى لتحفيظ والدراسات الإسلامية
- 12- مالم حسين محمد مدير القسم الإسلامي في مدرسة إيمان الدولية.
- 13- مالم إبراهيم عثمان أئد أحد التجار المعروفين في ولاية صكتو.
- 14- مالم محمد البشير مغاجي قوفر ترمنيا المحاضر في كلية الشيخ شاغاري للتربية صكتو.
- 15- مالم ساد بلو مي ورنو
- 16- مالم أسامة أبوبكر رئيس قسم القرآن في مركز التحفيظ وإتقان تلاوة القرآن
- 17- مالم محمد ناصر ليمن النائب لجامع السلطان محمد مئطو صكتو¹⁰

مفهوم الرثاء :

الرثاء لغة مؤخوذ من مادة رثى يرثى ورثاية ومرثاة ومرثية¹¹ ويأتي لمعان عدة منها البكاء على الميت وتعدد محاسنه، وتقول رثى يرثيه ومرثية، إذا بكاه بعد موته وعدد محاسنه.¹² وكذلك إذا نظم فيه شعرا كما تطلق ويرادها الضعف والفتور، والرثاية النواحة، ويقال في أمره رثية أي الحمق، والرثية، وجع المفاصل، أو كل ما يمنع من الإنبعاث.¹³

ومن هنا يستنتج أن لفظ (الرثاء) في اللغة يفيد البكاء والتفجع على الميت وإظهار الفزع لفراقه وعد أخلاقه الفاضلة، كما توجي اللفظة إلى الضعف والفتور المصاحب بوجع المفاصل والأعضاء.

وأما مفهوم الرثاء عند النقاد فهو " الشعر الذي يعبر فيه الشاعر عن الحزن واللوعة التي أصابته لغياب عزيز فجع بفقدته بتعدد مناقبه والإشادة بمأثره ، والتوجع عليه ويتردد في الرثاء صوله الموت وسلطان الفناء ويتضمن أبياتا تدعو إلى الإعتبار والزهد و" عد أخلاق الميت الكريمة التي يروع الأعداء¹⁴ وإظهار التفجع والتلهف عليه واستعظام المصيبة فيه إلى أن يذكر الشاعر أحوال المرثي وظروفه بفقدتها، والإشادة بمناقبه وشمائله التي أدركته المنون فيها. ويقول الناقد الدكتور عبد العزيز عتيق في معرض حديثه عن الرثاء، وقد يقال له التأينين أيضا، وإذا كان المدح هو الثناء على الشخص في حياته وإن الرثاء أو التأينين هو الثناء على شخص بعد موته وتعدد مأثره والتعبير عن الفاجعة فيه شعر.¹⁵

وشعر المرثي إنما يقال على الوفاء، فيقضى الشاعر بقوله حقوقا سلفت على السجية إذا كان الشاعر فجع ببعض أهله أمن هم منزلتهم من الأحباب والخلصاء.¹⁶ ومن هذه المنطلق تظهر العلاقة الوطيدة بين مفهوم الرثاء عند اللغويين وعند النقاد إذ أنه يدل على بكاء الميت والتفجع عليه وإظهار اللوعة والحزن لموته وعد خصاله الكريمة، والتعزية لأهل الميت والدعاء له بالرحمة والمغفرة.

وأما أن يقال شعر الرثاء على الرغبة فلا لأن العرب التزموا في ذلك مذهبا واحدا، وهو ذكر ما يدل على أن الميت قد مات، فيجمعون بين التفجع والحسرة والأسف والاستعظام، ثم يذكرون صفات المدح مبللة بالدموع،¹⁷ وفي ذلك يقول قدامة بن جعفر: إنه ليس بين المرثية والمدح فصل إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل على أنه هالك مثل: كان وتولي وقضى نحبه وأشبه ذلك، وهذا ليس يزيد في المعنى ولا ينقض منه لأن تأيين الميت إنما هو بمثل ما كان يمدح به في حياته.¹⁸

الرثاء في العصر الجاهلي:

الشاعر الجاهلي كان يتبع في رثائه المنهج الشعري الجاهلي المعروف أحيانا ويدخل في الرثاء مباشرة أحيانا أخرى، ففي إتباعه المنهج الشعري الجاهل كان يقف على الأطلال وبقياء منزل الحبيب فيبكي ويسائل الأشياء عن حبيه، ثم لكن ينسى ألمه ينتقل إلى الصحراء بالركوب على جمل قوي سريع يشبه حمار الوحش، فيصف ما تقع عليه عيناه، ثم يدخل في الرثاء وهذه طريقة نجدها في قصيدة للنابغة الذبياني في رثائه العماني الفسائي ومستهلها:

دعاك الهوي واستجھلتك المنارل * وكيف تصابي المرء والشيب شامل

وفقت برع الدار، قد غير البلى * معارفها، والساريات الهواطل

والغالب أنه كان يدخل الرثاء مباشرة لحزنه الشديد وللموجات لعاطفية الحادة في نفسه مما كانت تضيق عليه المجال على متابعة المنهج المعروف، فتجري الكلمات في مجرى عاطفي فزين فيسهل رثاء بما يظهر من حزنه، فيزيده ذكر المرثي حزنا على حزنه ودموعا على دموعه، فتطول له الليالي، فيصرخ الشاعر بتفجعه.

وأما أسلوب الشاعر الجاهلي فهو ينتقل بين النداء والاستثناء والتكرار والاستفهام، فيستخدم الشاعر النداء أحيانا ليبين حزنه وألمه كما يراه في قول لبيد حيث يقول:

يا عين هلا بكيت أريد إذا * قمنا وقام الخصوم في كبد

يا عين هلا بكيت أريد إذا * ألوت رياحا الشتاء بالعضد¹⁹

كذلك يأتي النداء لعتاب اللائم وليبيان مكانة المرثي وتعظيمه والمبالغة في شدة ماء صاب الشاعر مثل ما مضى من قول دريد ابن الصمة في رثاء أحيه.

اعاذلتي كل امرء وابن أمه * متاع كزاد الركب المتزود

وربما يستخدم المداء لتهديد القائل كما يخاطب المهلهلا قاتل أخيه قائلًا:

يا أيها الجاني على قمه * جناية ليس لها بالمطيق

فإن إستخدم النداء كما ترى في المثالين السابقين يعطى للشعر حيوية تجر القارئ ليواسي ويشاركه في أحزانه وألمه لإلقاء الوحدة الزمانية بين الشاعر ومخاطبيه للشعور بأن المنادي القارئ، إضافة إلى ما مضى فإن الشاعر يستخدم النداء أحيانا لاستحضار الغائب والتلذذ بذكر المرثي، فيحاطب الميت أو المقتول فكانه حاضر أمامه ويناديه

ويستلذ بتخطبه الأبيات التالية من المهلهل يريد شعورا بصراخ الشاعر حزنا الإستضار
أخيه المقتول وإلتذاذ باسمه حيث يقول:

دعوتك يا كليب لم تجبني * وكيف يجيبني البلد القفاري

أجبني بالكليب خلاك ذم * طنينات النفوس لها لا مزك

أجبني بالكليب خلاك ذم * لقد فجعت بعارسها نزال²⁰

فمناداة الشاعر المرثي مرتين بعد فعلين أمرين يخاطب بها إجابة أخيه مطالبة المسترحم
الملح توضح عاطفته القائرة التي تعلب عليه فخنضع الرائي لها خضوعا لا بد مه، كذلك
يشعر القارئ بأهات الشاعر في قلبه كما ترى في الأبيات التالية:

كليب لأخير في الدنيا ومن فيها * إن أنت خليتها في من يخليه

كليب أي فتى عن ومكرمة * كليب أي فتى عن ومكرمه

إضافة إلى أسلوب النداء فالشاعر يستخدم أسلوب الاستثناء للتأكيد أو الحصر،

فالإثبات بعد النفي في الاستثناء يقرر الصفة أو الموصوف في نفس السامع إلى جانب ما
فيه من التأكيد.

عرض القصيدة:

كربي يكون واجز الضمر * دمعى تبل مفرش السمير

لم يزل القلب أبا الزفير * والكرب والهيم مع الطحير

بكاءنا فليس بالقصير * لهفي وروعي كجوي الأسير

هدم ثياب الحزن الكسير * مبلولة مشقوقة الشطور

لفقد أب الصاحب السجير * مأوي العفاة الصالح المجير

منزل لاضيف على الشرير * منفق ماله على الفقير

لازم صبر سقمه العسير * سلمه يارب من السعير

أخلاقه موهبة القدير * رب العباد الغافر النصير

فاغفرله اللهم بالمنير * منقذ غرقى أحمد النذير

دياره أبدله بالبشير * وأعطه الحور مع الحرير

أساور الفردوس والسرير * ولؤلؤ والكوثر الكثير

نور لدين ربنا الكبير * فلترض حقا بقضا الخير

تؤجر وترغم مارن الضيرير * إرغام أنف المصرع العزيز
أكرم بسيد الورى السفير * قد صار وسط روضه النضير
ناظم هذا عابد الشكور * زهر لدين ربه الغفور

تحليل القصيدة

القصيدة الرثية رثى بها والد أبا صاحبه محمد نور علي الحاج غسل مَد ومدحه فيها بما علم منه من الأخلاق الحميدة وسأل الله رب البرية أن يغفر له جميع خطاياهم ويجعل جنة مثواه. يقول:

كربي يكون واجز الضمر * معي تبل مفرس السمير
لم يزل القلب أبا الزفير * والكرب والهم مع الطحير
بكاء خا فليس بالقصير * لهفرور رعي كجوي الأسير

عبر الشاعر عما يختلج في صدره من الهموم والأحزان كانت الدموع تبل مفرس السمير لتحسره بموت أبا صاحبه محمد نور علي غسل مد وتخيل أن هذا الحز أدى إلى فتور وتوان لتحمل هذه المصيبة لم يزل الشاعر في تصوير عاطفته الجياشة التي تخبر الملقى عن حاله حيث كان عبوس الوجه وحزين القلب فتين من خلال ذلك شعور الشاعر تجاه هذه الكارثة، صور الشاعر عاطفته لما يكابد الزهن، ومهما يكن أمره وهذه الجملة تفيد أن الشاعر يشعر بالألم شديد وهو مغلل بسبب من الأسباب مظهرا أبا سيسه ومشاعره حول هذه المصيبة العظيمة التي فاجعته، تحدث عن هذه المصيبة العظيمة التي فاجعته تحدث عن هذه الأشياء ليشاركه الملقى في قلقه وحزنه لقد زاد وجد الشاعر وتحسره حيث سمع بخبر بأن أبا صاحبه قد غدا محمولا على النعش ماشيا إلى ضريحه، وراح يشكو من هذه المصيبة الأليمة ويعبر عن حزنه العميق باختيار أسلوب الاستغاثة الذي يؤدي دورا مهما في إحياء الأم، وتكرار هذه الأسلوب كأن الشاعر يصح لفرط المصيبة طوال القصيدة. والألم الذي يتغلغل من أعماق روحه المحزونة.

يقول أيضا:

لفقد أب الصاحب السجير * مأوي العفاة الصالخ المجير
منزل الأضيا على السرير * منفق ماله على الفقير
لازم صبر سقمه العسير * سلمه يارب من السعير
أخلاقه موهبة القدير * رب العباد الغافر النصير

أجاد الشاعر في استخدام الجملة الاسمية حيث يتحدث عن صفة ثابتة للمرثي، ولما أراد إثبات هذه الميزة له عبر عنها بالجملة الاسمية المكونة من المبتدأ والخبر فقال "مأي العفاة" منزل الأضياف" حيث وصف أخلاقه وصفاته النبيلة التي كان متمسكا به حياته من الاهتمام، بأعمال الخير ومساعدة الفقراء حتى صار مأوي للعفاة ومنزلا للأضياف ولما أراد إزالة كل شك للقارئ عبر عن هذا المعنى بالجملة الاسمية على دوام المرثي على هذه الخصال الجميل.

فاغفر له اللهم بالمنير * منقذ عرقي أحمد النذير

دياره أبدله بالبشير * وأعط الحور مع الحرير

أساور الفردوس والسيرير * والؤلؤ والكوثر الكثير

نور لـدين ربنا كبير * فلترض حقا بقضا الخير

جاء جناس الناقص بين " المنير والندير" ليبين الشاعر التناسب بين هذين اللفظين، هما أسهم في خدمة المعنى، وقد تناسب لفظ ودلالة هنا، أيضا كسائر قصائده في الرثاء. حيث دعا المولى عز وجل أن يغفر له وتوسل بالمنير منقذ عرقي أحمد النذير أن يبذل دياره وأن يعطيه الحور مع الحرير، وأن أساور الفردوس والسيرير والؤلؤ والكوثر الكثير اختتم بما يثير القلوب ويترك في نفس السامع شعورا والصقة ودعا المولى عز وجل أن يعامل المرثي بما هو أهله ويغفر له الذلات.

ومما أحسنه الشاعر في اختتام هذه القصيدة قوله:

توجر وترغم مارن الضيرير * إرغام أنف المصرع العزيز

أكرم بسيد الوري السخير * قد صار وسط روضة النضير

ناظم هذا عابد الشكور * زهر الـدين ربه الغفور

وجعل الشاعر هذه الأبيات مقطع قصيدته يوصي فيها صاحبه أن يحتسب بهذه المصيبة ويرغم مارن الضمير، إرغام أنف المصرع العزيز، ثم يصرح الشاعر بالسمة زهر لـدين ربه الغفور.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم، تضمنت هذه المقالة قصيدة رائية في قصائد زهر الدين المصطفى غدن ساعي دراسة أدبية تحليلية وتحدث المقالة عن المقدمة وترجمة الشاعر وعرفت الرثاء ومفهومه عند النقاد وعرضت القصيدة، ثم الدراسة النموذجية وتحليلت القصيدة تحليلا أدبية وختمت بالخاتمة الموجزة، ثم الهوامش والمراجع.

الهوامش والمراجع:

- 1- سورة يونس الآية، 56
- 2- مقابلة شخصية مع الشاعر في يوم الاثنين 12-3-2023
- 3- المرجع السابق المرجع السابق
- 4- المرجع السابق
- 5- المرجع السابق
- 6- مقابلة شخصية مع الشاعر في مدرسته يوم الثلاثاء 20-5-2023.
- 7- المرجع السابق،
- 8- زهر الدين المصطفى غِدْنُ سَاعي الأبيات من قصائده المخطوطة توجد عنده.
- 9- أبوداود، سنن أبي داود، 4900
- 10- الجوهري: إسماعيل بن حماد تاريخ اللغة وصحاح العربية تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الرابعة 1457هـ 1987م. دار العلم للملايين بيروت، ص، 52.
- 11- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد "كتاب العين، تحقيق الدكتور مهدي المخدومي، والدكتور إبراهيم السامري، دار الكتبة المجلد الثاني بدون ط، ص: 234
- 12- الجوهري، إسماعيل ابن حماد، مجمع الصحاح، دار المعرفة بيروت الطبعة الثالثة، 2008، ص 390
- 13- إبراهيم مصطفى أحمد الزيات وحامد عبد القادر – محمد النجر، المعجم الوسط، تحقيق مجمع اللغة العربية دار الدعوة، ج 1 ص: 329
- 14- عبد المنعم خفاجي وآخرون، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة بدون تاريخ، ص 131.
- 15- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب الطبعة الأولى، دار الفركي بدون تاريخ. ص 2
- 16- عبد العزيز عتيق الدكتو، النقد الأدبي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت الطبعة الثانية 1391هـ 1972م.
- 17- نفس المرجع والصفحة
- 18- حسن جاد حسن، الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام، ص 137
- 19- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، 146.
- 20- السيد جعفر الحسين، تاريخ الأدب العربي الجاهلي، ص 132.
- 21- ديوان، نفسه ص 58
- 22- السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، ص، 112
- 23- المرجع السابق، ص 317
- 24- المرجع السابق، ص 219
- 25- المرجع السابق، ص 271
- 26- المرجع السابق، ص 272

جماليات الإيقاع في ديوان أفرح وأتراح للشاعر عبد الرحمن عمر بغاراوا

إعداد:

أمين أبوبكر

محاضر بجامعة أليير، نيجيريا

المقدمة

تعد الإيقاع الموسيقي عنصرا من العناصر الجوهرية في تكوين النص الشعري. واهتم به النقاد قديما وحديثا اهتماما بالغاً باعتباره أحد مقومات الشعر الأساسية، وبقي جوهرًا من جواهر الشعر، وفرقا بينها وبين سائر الفنون النثرية وسيبقى كذلك ما بقي الذوق الشعري على فطره¹.

وكان الشاعر عبد الرحمن عمر بغاراوا كغيره من الشعراء المجيدين لأنه أنتج أشعارا رائعة و أجاد في استخدام الأوزان المناسبة للأغراض التي قال فيها أشعاره، كما أحسن في استخدام الموسيقى الداخلية في قصائده الشعرية. ومن أجل هذا، حاول الباحث دراسة جماليات الإيقاع في ديوان الشاعر. اتخذ الباحث لامية الشاعر في المديح لتكون نموذجا لما ذهب إليه.

وتحتوي المقالة على النقاط التالية:

-المقدمة.

-التعريف بالشاعر.

-بناء القصيدة.

-دراسة جماليات الإيقاع لدى الشاعر.

-الخاتمة.

-الهوامش والمراجع.

التعريف بالشاعر

هو عبد الرحمن بن الإمام الخطيب، صاحب التصانيف، رئيس مجلس العلماء النيجيري فرع ولاية صكتو الشيخ عمر، ابن الشيخ الفقيه الزاهد محمد (طن أمو) (ت: ١٩٧٧ م)، ووالدته مريم بلاريا بنت محمد (طن إيليا)²

ولد في عام ١٩٩١م ببغاراوا، لولاية سوكتو، ونشأ الشاعر في بيت علم وصلاح، حيث أخذ من والده واحداً وعشرين فناً من فنون العلم بدءاً بكتاب الله، حيث أقرأه القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، وحفظ على ظهر قلبه عشرين حزباً. ومن بين الكتب التي درسها على والده، كتب اللغة والأدب التي منها: كتاب الزهد لعلي بن الحسين، والبردة للبوصيري، والقصيدة الخمسة للبدماصي، ودالية الشيخ عثمان بن فودي في المديح، وقصيدة الطنطراي في المديح لأحمد بن عبد الرزاق، ومقصورة ابن دريد، وخميس عشرينيات الفزاري لابن المهيب، وغيرها من الكتب الأخرى في مختلف المجالات العلمية. وتعلم أيضاً من بعض الشيوخ من أمثال الشيخ الدكتور محمد ثاني عبد الله جوس، والعلامة اللغوي حسين "قوفر عتيق"³.

وحصل على بعض الشهادات العلمية الأكاديمية، وهي:

-الشهادة الابتدائية في عام/٢٠٠١ م.

-الشهادة الإعدادية في عام/٢٠٠٤ م.

-الشهادة الثانوية في عام/٢٠٠٦ م

-شهادة الدبلوم في اللغة العربية عام/٢٠١٠ م.

-شهادة الليسانس في اللغة العربية عام/٢٠١٢ م.⁴

حصل الشاعر على الثقافة العلمية الواسعة تتجلى في إنتاجاته الأدبية. فقال أشعاراً مختلفة في كثير من الأغراض الشعرية من مدح، وثناء، وهجاء، وفخر، وتهنئة وغيرها، كما ألف أكثر من أربعين كتاباً، وله دواوين في الشعر العربي.

بناء القصيدة:

حسن المطلع:

هذه القصيدة لامية القافية، على بحر الطويل صاغها الشاعر يمدح الرسول ﷺ، وعدد أبياتها ٢١ بيتاً، وتعد من أجمل القصائد التي قالها الشاعر في هذا الديوان.

تأثر الشاعر عبد الرحمن بالشعراء القدامى في افتتاح القصيدة بمقدمة تقليدية وراثية، من حيث الوقوف على الأطلال وسكب الدموع عليها. ومن حيث تقفية الروي منذ الوهلة الأولى.

وتلمس ذلك من قوله:

قفا نبك من ذكرى نبي مبجل * بطيبة، قد طابت برياً القرنفل

فبا لله عوجا بي لمثواه علي * أقض لبانات الفؤاد المقتل⁵

ويشبه هذا البيت بيت أحد فحول الشعراء في العصر الجاهلي حيث استهل قصيدته قائلا:

قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحول⁶

أجاد الشاعر عبد الرحمن في هذا المطلع، لأنه دال على حاله، وتعبير عما في ضميره، ومشعر بغرضه من غير تصريح، فإنه وقف على آثار الديار الشاخصة يبكي ويصيح بأرفع الأصوات، واحمرار العين وانهمار الدموع من الآلام والأحزان التي يعانها لارتحال الحبيب ﷺ، لأنّ الذكريات ترتبط بهذه الطلوع، ذلك ما يثير في نفسه انفعالات قوية عميقة، فصار قلبه شديد الحنين إليها. لذا جرّد مخاطبين يتخاطبهما لعل ذلك يريح نفسه المتعبة من أجل البكاء.

حسن التخلص:

وبعد هذا المطلع الجذاب الذي طرّقه الشاعر من الوقوف على الأطلال وسيلان دولا ب الدموع عليها وإظهار الجزع لما أصابه من بفقد حبيبه ﷺ، وبُعد مزاره، وكل ذلك ليكون ذريعة للشاعر في ذكر أهلها الذين نزحوا عنها، وفارقوها، وليميل إليه القلوب، ويصرف نحوه الوجوه، ويستدعي إصغاء الأسماع إليه.

ولمّا تمكن الشاعر من جذب انتباه السامعين إليه بحسن مطلع قصيدته، انتقل انتقالاً حسناً إلى معنى آخر قائلا:

رسول سرى فوق السماوات سابجا * إلى الله في بحر السنا المتمهل

رسول تخال الشمس تسري مشعة * على وجهه الأسنى وفي كل مفصل

اشتد شوق الشاعر وحنينه في هذه القصيدة إلى حبيبه ﷺ، فوقف عند دياره يستغرب مساكنه، وهذا الشوق والحنين لأنّه هو الهادي المهدي لا يضل صاحبه، ويأمن جاره، إذ همه توطيد الأمن والسلام للأمة، وتحرير الحقوق إلى أصحابها.

حسن المقطع

ولمّا كان الشاعر ذكياً ويقظاً في معرفة أحوال قومه أدرك أنّ خاتمة الكلام أبقى من السمع وألصق بالنفس لقرب العهد به، فشرع في دعاء الخير لهؤلاء الأحبة، قائلا:

فأذكي صلاة ثم أزكي سلامة * عليه كعد الرمل أوقطر مسبل

مع الآل والأصحاب ما قال عاشق * "قفا نيك من ذكرى نبي مبجل⁷

أجاد الشاعر مقطع القصيدة حيث لائم أحوال مجتمعه في تكريمهم الممدوح ﷺ، وليوافق ظروفهم كي يترك أثرا ملموسا في أذهانهم صلى على الرسول ﷺ وأهل بيته الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين.

مفهوم الإيقاع الموسيقي

الإيقاع في اللغة مأخوذ من وقع يقع موقع، يقال: وَقَعَ الشيء مَوْقِعَةً، ووقع الشيء وقوعا سقط وأوقعه غيره.⁸ ومَوْقِعَةُ الطائر بفتح القاف: الموضع الذي يَقَعُ عليه. وميقَعَةُ البازي: الموضع الذي يألفه فيَقَعُ عليه⁹

وأما في الاصطلاح "هو اتفاق الأصوات وتوقيعها في الغناء"¹⁰ و"الجرس اللفظي للكلمات التي انتبه لها العرب في كتاباتهم القديمة"¹¹ وهو "تواتر الحركات النغمية وتكرار الوقوع المطرد للنبرة في الإلقاء وتدفق الكلام المنظوم والمنثور على طريق تألف مختصر"¹² وجماليته أن تكون كلماته المنظومة مرصونة وموزونة بجرسها ومرصوعة بصوتها وتناسب حركاتها وتعبر عن المقام.¹³

و على هذا، فالإيقاع عبارة عن البناء الصوتي للقصيدة.

ويرجع أصل لفظ "الموسيقى" إلى الإغريق وكانوا يطلقون عليها سابقا على الفنون عموما¹⁴ ثم أصبحت تطلق على لغة الألحان فقط، ثم كانت صناعة يبحث بها عن تنظيم الأنغام الناتجة عن اختيار الكلمات والتألف العبارات وأنغام الأوزان والقوافي والحروف¹⁵، وتتمثل الموسيقى في صياغة الشعر العربي في الإيقاع والوزن و وحدة النغمة التي تكرر على نحو ما في تفاعيل البيت من توالي الحركات والسكنات على نحو منتظم في أبيات القصيدة¹⁶ فمثلا فاعلاتن في بحر الخفيف تمثل وحدة النغمة في البيت أي توالي متحرك فساكن ثم متحركين فساكن ثم متحرك فساكن لأن المقصود من التفعيلية مقابلة الحركات والسكنات فيما بنظيراتها في الكلمات في البيت¹⁷

يلاحظ مما سبق عرضه أن الإيقاع أعم من الموسيقى إذ كل نغم يسمى إيقاعا لا العكس.

دراسة جماليات الإيقاع لدى الشاعر

ينقسم الإيقاع الموسيقي عند النقاد إلى الخارجي والداخلي، وقد وظف الشاعر عبد الرحمن بغاراوا كليهما في شعره، كما سيظهر ذلك في التحليل التالي:

أولاً: الموسيقى الخارجية: (الإيقاع الخارجي)

"أما الموسيقى الخارجية فتتخصص في الوزن والقافية، وهما دعامة الموسيقى الخارجية في الشعر العربي، وركنان أساسيان من أركان القصيدة العربية العمودية، لا يمكن أن يقوم بناؤها إلا عليهما، وهما حجر الأساس في موسيقى الخارجية التي يقيمها علم العروض وحده"¹⁸.

والأوزان الشعرية الذي ضمها الشعر العربي تعتبر بحورا دقيقة يغترف منها الشاعر ما يريده بحسب تجربته الشعرية، ليصب فيها فلسفته نحو المتلقي. استطاع الشاعر عبد الرحمن بغاراوا أن يختار لعاطفته وحالته الشعورية أوزانا مناسبة ليعبر بها ما يجول في نفسه من العواطف.

وليست الأوزان كلها على مستوى واحد من حيث الاستخدام إذ من المعاني ما يحتاج إلى نفس طويل فلا تلائمها إلا الأعراب الطويلة كما كان من المعاني ما هو رقيق أو هادئ فيحتاج إلى غير ذلك من الأعراب حسب الذوق.¹⁹ وقد بين أبو العلاء المعري أهمية بحر الطويل قائلا: "والبسيط والطويل ليس في الشعر أشرف منهما وزنا."²⁰

بنى الشاعر بغاراوا قصيدته على بحر الطويل المقبوض ضربه مثل عروضه. ووزنه: فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن * فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن وتبدو للقارئ مهارة هذا الشاعر من حيث استخدامه هذا البحر التام في بناء قصيدته. كما تبدو مهارته أيضا من حيث قلة الزحافات في وزن القصيدة واستعماله. و من أمثلة هذه الزحافات، قوله:

سفير أتى والكون في الجهل غارقا * فأنقذه منه بنور مؤلل

ويتضح ذلك بتقطيع البيت كما يلي:

سفيرن أتاولكو نفلجه لغارقن

ه//ه //ه/ه// ه/ه/ه// ه/ه//

فعول مفاعيلن فعولن مفاعلن

فأنق ذهومنه بنورن مألللى

ه//ه// ه/ه/ //ه/ه/ //ه//

فعول مفاعيلن فعولن مفاعلن

إن تردد الوحدات الصوتية المتشكلة من متحرك وساكن منح جمالا لهيكل البيت، لأن تتابع المقاطع الصوتية الطويلة ونبراتها ينشئ لحنا موسيقيا مطربا في المتلقي، مما يترك أثرا نغميا، لذا استعان الشاعر بوزن الطويل، ليصب فيه مشاعره وفلسفته تجاه المتلقي.

ويلاحظ دخول زحاف القبض على التفعيلتين الأوليين من عجز البيت فأوجب ذلك مد لاميها عند القراءة، أو جعل الفاصلة لهما مما ينتج نغمة موسيقية رائعة تتصل بأذن السامع وتجذب انتباهه إلى فهم المعنى المراد.

أجاد الشاعر في انتقاء هذا الوزن في المديح النبوي، إذ من المعاني ما يحتاج إلى نفس طويل فلا تلائمه إلا الأعراب الطويلة كما كان من المعاني ما هو رقيق أو هادئ فيحتاج إلى غير ذلك من الأعراب حسب الذوق.²¹ وبحر الطويل بحر متسع يتيح للشاعر أن ينظم في شتى الموضوعات التي تحتاج إلى طول النفس؛ لأنه سخي النغم يضم ثمانية وأربعين صوتا، يعطي الشاعر الحرية في التصرف بالتعبير عما يجول في ذهنه بهذا القالب الإيقاعي²²

ثانيا: الإيقاع الموسيقي الداخلي:

والموسيقى الداخلية هي موسيقى خفية ينتجها الشاعر عن طريق اختيار لكلماته. ومن الظواهر الملموسة للموسيقى الداخلية لدى الشاعر التكرار، وهو "تكرار المتكلم اللفظة أو المعنى لتأكيد الوصف أو المدح أو غيرهما، وله الأهمية الكبرى في تأدية المعنى وتأكيد.²³ وهذا التكرار يمنح جرسا نغميا تطرب إليه النفس عند سماعه ولا يتولد عن التكرار الموجود في الوزن والقافية فحسب وإنما يتولد من تكرار الألفاظ والعبارات التي يتخيرها الشاعر ليؤدي وظيفة إيقاعية خاصة في بقية أجزاء القصيدة، فضلا عن الحلاوة في الأسلوب، والسمو في المعاني، والعذوبة في الإنشاد²⁴، فالتكرار "هو تناوب الألفاظ والتراكيب والمعاني" وإعادتها في سياق التعبير بحيث تشكل نغما موسيقيا يقصده الشاعر²⁵.

فترديد اللفظ يحمل معنى معيّنًا يحاول الشاعر التركيز عليه في سياق النظم، لإيصال قوة النغم الإيقاعي إلى السامع فيحظي بانتباهه، ويشد سمعه إلى هذه اللفظة التي كررها الشاعر أكثر من غيرها.

استعمل الشاعر عبد الرحمن البغاروي التكرار وأجاد فيه بحيث يشد من وقع الكلمة في النفس، وفيما يلي شواهد لما ذهب إليه الباحث:

يقول الشاعر:

رسول سرى فوق السماوات سابجا * إلى الله في بحر السنا المتهلل

رسول تخال الشمس تسري مشعة * على وجهه الأسنى وفي كل مفصل

رسول كأن السحب من حركفه * تسح، فما سحساح سحب وهطل.

رسول ترى الأبطال صرعى بجنبه * إذا ما أثاروا النقع في أم قسطل

ويلمس القارئ للأبيات السابقة أنّ الشاعر كرر لفظ "رسول" أكثر من مرة، فأسهم هذا التكرار إسهما في تصوير مدى تلذذه بذكر اسم الرسول ﷺ وغاية شوقه به، فراح يكرره بعناية يتلذذ بسم الرسول ﷺ ذاكرا معجزات الممدوح وصفاته المثالية، فجاء التكرار تعبيراً عن نفسية الشاعر، لأنه يصف تلك المعجزات والصفات بنغم إيقاعي مطرب يستثير أذهان السامعين ليشاركهم في الشعور والوجدان، فتؤجج نفوسهم لوعة لبعد هذا الحبيب ﷺ.

وقد عني الشاعر بالقيمة الصوتية والدلالية في استعمال (رسول)، لأنه هو الأداة الحسية الوحيدة التي يمتلكها الشاعر لبث فلسفته نحو المجتمع.

ولما أضفى جمال الممدوح في نفسية الشاعر جوا ملموسا، بدأ يعدد مناقبه ومعجزاته، والألفاظ المستعملة في الأبيات تدل على رفعة الممدوح ومنزلته عند الشاعر، وتلمس هذا من قوله: "رسول سرى فوق السماوات سابجا" و "إلى الله في بحر السنا المتهلل" و "رسول تخال الشمس تسري مشعة على وجهه الأسنى وفي كل مفصل" و "رسول كأن السحب من حر كفه تسح" و "فما سحساح سحب وهطل" و رسول ترى الأبطال صرعى بجنبه" و "إذا ما أثاروا النقع في أم قسطل".

ثم تكرر حرف "السين" حوالي سبع عشرة مرة في الأبيات أسهم في إثراء الأنغام المطربة في أذن المتلقي، مما أضفى الراحة النفسية والبهجة فيه، لأن "السين" من حروف الصفير، فخرج أحرف الصفير بصوت قوي يشبه صفير الطائر، إذ مجرى الصوت يضيق عند خروجها فينتج عن ذلك صوت يشبه صفير الطائر.²⁶ فكلما توالى نغمات تلك الأحرف في أذن المتلقي تحدث الطرب والبهجة في نفسية السامع، فيشارك الشاعر في أفراحه، إذ المناسبة للفرح والسرور، فلا يناسبها إلا أصوات تشبه صفير الطائر. فأسهم بذلك في

إحداث ألوان من النغمات الموسيقية الرائعة ليفاجئ بها شعور القارئ ويشاركه في تلك الظروف. فالشاعر موفق في توظيف الحرف وتكراره في المقام. استخدم الشاعر بعضا من حروف المعاني في توشيح قصائده منها "ياء" النداء، ومن ذلك قوله:

أيا عين جودي بالدموع سواكبا * على النحر من فقد الجليل المجلجل
فجودي لفقد الجود والوحي والتقى* سري السجايا في الجناب المؤصل
وظف الشاعر حرف النداء "يا" في قوله "أيا عين جودي بالدموع سواكبا" لما يحمله من أصوات إيقاعية وألحان مطربة، فعدد صفاته الرقيقة ومحمودة فكانت القيمة التعبيرية للتكرار كفيلة بالاسحواذ على مسامع المتلقي في إحياء ذكره في الذاكرة، وهو يُنعت بالمعاني السامية في قوله: "فجودي لفقد الجود، والوحي، والتقى، سري السجايا" ويرى الباحث أن الشاعر لم يستعملها عبثا بل ليرسخ صفات الممدوح الجليلة في أذهان المستمعين.

كما يُلمس أنّ الشاعر كرر لفظ "جودي" أكثر من مرة، فأسهم هذا التكرار إسهاما في تصوير النازلة، فراح يكرر بعناية يتأوه ويظهر اللوعة من فقد هذا الممدوح، وليس على القلب أقسى من فراق الممدوح ﷺ فرقا أبديا، فجاء التكرار تعبيرا عن لوعة نفس الشاعر، فهو يصف الفراغ الذي تركه الفقيده بنغم إيقاعي مطرب يستثير أذهان السامعين، وتؤجج نفوسهم خسرة ولوعة على الدلالة المكثفة في التعبير الذي أفاده التكرار من ترجيع وحدة لفظ "جودي".

ومن مصادر الإيقاع الداخلي في القصيدة تكرار اشتقاقات حيث وظف الشاعر لفظي "معجزات/ أعجزت" لغرض من أغراض الفن، وتلمس ذلك في قوله:

وكم معجزات أعجزت كل جاحد * له قد روينها بنقل مسلسل
اشتق الشاعر لفظة "أعجزت" من "معجزات" ليسهم في إثراء الحركة الموسيقية في البيت، ثم استعمال الحروف المهجورة في اللفظ زاة النغمة قوة تنبئ السامع بجرسها عظمة معجزات الرسول صلى الله عليه و سلم التي أعجزت كل بشر.

و مما يقوي هذا المعنى و يؤكد تكرار ألفاظ "رمى/رمى/رام" و يحدث هذا التكرار نوعا من الإيقاع الموسيقى يؤثر في قلب السامع و يقوي له فهم المعنى المراد. وذلك في قول الشاعر:

رمى إذ رمى والله رام عيونهم* وظلله تحت السحاب المظلل

و من مظاهر جماليات الإيقاع لدى الشاعر استعماله تقنية التدوير. وهو: "اشترك الشطر الأول مع الشطر الثاني أي العجز والصدر بكلمة يكون بعضها في آخر الشطر الأول وبقائها في أول الشطر الثاني، ويعني ذلك أن تمام وزن الشطر الأول يكون بجزء من الكلمة"²⁷ وتلمس هذا من قول الشاعر:

وبالرعب شهرا والمقام الحميد وال * شفاعة في يوم عصيب مؤجل

وأما من ناحية التكرار التركيبي يلاحظ تكرار الشاعر التركيب الذي جاء به في صدر البيت الأول من القصيدة، حيث كرره بأكمله في عجز البيت الأخير من القصيدة منتجا بذلك نغمة موسيقية رائعة تلخص للسامع غرض الشاعر الأساسي من بناء القصيدة، وهو مديحه لخير البرية حبا له، والبكاء حزنا على فقدته صلى الله عليه وسلم. و يلمس هذا من قوله:

مع الآل والأصحاب ما قال عاشق * "قفا نبك من ذكرى نبي مبجل"

القافية

هي آخر مظهر من مظاهر الإيقاع في البيت الشعري إذ يصل الإيقاع إلى مداه فيها بما توفره من انسجام صوتي بين حروفها، فتشترك مع إيقاع البيت وتتجاوب معه في النسق العام، لأن الإيقاع الشعري لا يمكن أن يحصر الشحنات الوجدانية للشاعر ما لم تتفق القافية معه،²⁸ فترديد موسيقى القافية في نهاية العمل الإبداعي الشعري تمنح قوة للإيقاع وتخلق شعورا ذا وقع طيب في أذن السامع إذا كان المعنى المطروق في البيت يدل عليه، وبخلافه إذا كان المعنى ينبو عن ذوق السامع.²⁹ اختار الشاعر عبد الرحمن بغاراوا لقصيدته حرف اللام روياء، والقافية مطلقة، وتلمس هذا من قول الشاعر:

قفا نبك من ذكرى نبي مبجل * بطيبة، قد طابت برياً القرنفل

تتجلى براعة الشاعر في قافية هذه القصيدة حيث تمتاز بإيقاعات مطربة عذبة في الأذان عندما يتغنى بها الشاعر، فكلمة "القرنفل" هي القافية، ولها نغم ترنمي يطير السامع لسماعها، لانسجام نبراتها بمعناها، فهي مناسبة للمعنى المعبر، والعدول عنها يخل بالمعنى المعبر لإكمال معنى البيت. وبسبب هذه القافية "القرنفل" اكتمل معنى البيت، لأن الشاعر جاء بالشيء الموعود المنتظر الذي يترقبه السامع والقارئ.

وزاد القافية جمالا حيث زينها بتصريع يلمس من كلمتي "مبجل و قرنفل" الواردتين في البيت. و استخدم الشاعر في جميع أبيات قصيدته قافية موحدة مع روي موحد، ولم يحصل فيها أي نوع من الخلل والانكسار، مما أسهم في إثراء الموسيقى المطربة.

الخاتمة

تتضمن الصفحات السابقة الحديث عن الإيقاع الموسيقي لدى الشاعر عبد الرحمن بغاراوا بعنوان: "جماليات الإيقاع في ديوان أفراح وأتراح للشاعر عبد الرحمن عمر بغاراوا"، بدءا بالمقدمة ثم حياة الشاعر. وقد تبين من خلال هذا أن الشاعر ترعرع في بيت علم وثقافة، مما كونه شاعرا مجيدا من الشعراء النيجيريين.

كما تحدثت عن مفهوم الإيقاع الموسيقي و أنواعه عند النقاد، ثم طبق ذلك في لامية الشاعر في المديح النبوي، واستخرج ما فيها من الجمال الموسيقي المطرب. ثم أخيرا حصل الباحث على النتائج التالية:

- (١) أن الشاعر أدق في اختيار الوزن المناسب لحالته النفسية.
 - (٢) إنه استعمل القافية استعمالا مناسباً فجاءت كالشيء الموعود المنتظر.
 - (٣) أنه أنتج وأجاد القرض فكانت قصائده صورة رائعة للأدب العربي النيجيري القيم.
- وأخيراً، يوصي الباحث الطلبة بأن يوجهوا دراساتهم إلى أمثال هذه الأشعار من الشعر النيجيري لما يتضمنه من القيم الفنية الرائعة.

الهوامش والمراجع

- ¹ شوقي ضيف، في نقد الأدبي، الطبعة التاسعة، دار المعارف، نشر مكتبة الدراسات الأدبية، بدون تاريخ. ص: 151
- ² بغاراوا، عبد الرحمن عمر. الذكر الخالد. ط ١، ٢٠٢٠م: ٣١
- ³ بغاراوا، عبد الرحمن عمر. الذكر الخالد. ط ١، ٢٠٢٠م: ٣١
- ⁴ مقابلة شخصية أجراها الباحث مع الشاعر في جامعة عثمان بن فوديو، سوكتو ١/٢١/٢٠٢٠م
- ⁵ بغاراوا، عبد الرحمن عمر، أفراح وأتراح. ط: ١، ص/٢٧
- ⁶ <http://www.alwarraq.com> ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، ص: 12، موقع الوراق
- ⁷ بغاراوا، عبد الرحمن عمر. أفراح وأتراح. ط: ١، ص/٢٧
- ⁸ الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب القاموس المحيط الجزء الرابع مؤسسة الرسالة 1994 ص: 998
- ⁹ الجوهرى الفرابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح في اللغة ص: 290
- ¹⁰ محمود مسعدي، الإيقاع في سجع العربي، محاولة تحليل وتحديد، نشر وتوزيع مؤسسة عبد الكريم تونس 1996 ص: 5.

¹¹ <http://ghazlalrooh.com\vb\showthread>. تاريخ الزيارة يوم الخميس 3\8\2017 ساعة الرابعة

ونصف مساء

¹² النونجي المعجم المفصل في الأدب الجزء الثاني ص: 149

¹³ كمال غنيم، "الدكتور" ورائد الداية "استاذ" جمالية الموسيقى في نص القرآني ص: 5\4

¹⁴ محمد الأمين "3-03-05, 09:22 م]. أرشيف ملتقى أهل الحديث الجزء 57، نسخة إلكترونية، تم تحميله:

في 7 رمضان 1429 هـ = 7 سبتمبر 2008 م رابط الموقع: <http://www.ahlalhdeth.com> ص: 268

¹⁵ الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الكشكول للطبعة: الأولى، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت

/ لبنان - 1418 هـ - 1998 م الجزء الثاني ص: 34

¹⁶ عبد الله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها الطبعة الثانية دارالسودانية بلا تاريخ، ص:

823

¹⁷ محمد غني هلال، النقد الأدبي الحديث المرجع السابق ص: 462

¹⁸ عبد الحمن الوجيه (١٩٨٩م) الإيقاع في الشعر العربي. دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، ص/٣٦٣

¹⁹ مأمون عبد الحليم، ووجيه "الدكتور" العروض والقافية بين التراث والتجديد الطبعة الأولى مكتبة دار

المعالم الثقافية ص 96

²⁰ أبو العلاء المعري: الفصول والغايات، ص 212-214

²¹ مأمون عبد الحليم، ووجيه "الدكتور" العروض والقافية بين التراث والتجديد الطبعة الأولى مكتبة دار

المعالم الثقافية ص 96

²² إبراهيم أنيس موسيقى الشعر المرجع السابق، ص 206

²³ ناصر أحمد صكتو: (الدكتور)، التحليل اللغوي للأحاديث المختارة في وصف الساعة دراسة أسلوبية،

قسم اللغة العربية جامعة عثمان بن فودي صكتو نيجيريا، ص: 5: بتصرف

²⁴ عبد الله الطيب المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها الجزء الثالث ص: 724

ابن أبي الأصبع المصري، عبد العظيم بن عبد الواحد، تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر ص: 74²⁵

²⁶ فريال زكريا العبد، الميزان في أحكام تجويد القرآن، دار الإيمان - القاهرة، ص: 78

²⁷ (٢٥) الدكتور، رشيد عبد الرحمن العبيدي. معجم مصطلحات العروض والقوافي. ط ١، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٦م: ٩١

²⁸ شوقي ضيف (الدكتور) في النقد الأدبي المرجع السابق ص: 100

²⁹ أبي الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصللي، المثل السائر في أدب الكاتب

والشاعر ص: 86

اللغة العربية بين التراث والحداثة

ARABIC LANGUAGE BETWEEN HERITAGE AND MODERNITY

إعداد:

د. هاشم عمر سليمان

Institute of Education, ABU-Zaria

E-mail: hashimumarkano2@gmail.com

08081850405

مستخلص:

هدفت هذه الورقة التي بعنوان: "اللغة العربية بين التراث والحداثة"، إلى إبراز مجموعة من القضايا ذات العلاقة بالتراث والحداثة، فيعرف التراث بأنه: "ما ورثناه عن الأسلاف من نتاج عقولهم، وما ورثوه هم عبر التاريخ، أما الحداثة فهي ضد القديم، وهي كل ما جَدَّ واستُحدث في مجال الحياة، فقد اهتمت الورقة بذكر التراث بأنواعه وما قام به هذا التراث من دور فاعل في رفع شأن اللغة العربية وتوحيد الأمة الإسلامية، في جميع الأوطان والبلاد الإسلامية، وقد أصبح حتماً على الورقة أن تربط بين اللغة العربية والإسلام، حيث أن العلاقة بينهما علاقة عضوية، وقد يكون من الصعوبة الحديث عن اللغة العربية والتراث دون التطرق إلى الإسلام، فهما جزءان مكملان لبعضهما، وقد ساهمت في تطور اللغة العربية وترقيتها مجموعة من القضايا التراثية التي تتمثل في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والنحو العربي والبلاغة العربية واللغة والفلسفة والعلوم والأدب العربي قديمه وحديثه، حيث برز في كل فن من هذه الفنون علماء أجلاء حملوا راية العلم في كل بقاع الأرض، ووجدوا الأمة الإسلامية ببحوثهم وعلومهم وعبقرياتهم، فجابوا بلاد آسيا وأفريقيا وأروبا، مكونين منها أمة واحدة، ذات تراث متين، وقوة في العلم والمعرفة، مستخلصين كل ذلك من التراث الديني واللغوي، وقد سعى خصوم هذه اللغة بحججهم الواهية وقلوبهم الميتة، بمعاداة هذه اللغة العريقة، لكي يرضوا طموحات الغرب وما يحمله من ثقافة زائفة، وهوية مطموسة، وتاريخ مبتور، وتراث كاذب مفقود، فقالوا إن اللغة العربية الفصحى بقوانينها النحوية صعبة ولا تتمشى مع تقدم العصر والثقافة، ويجب أن يكون الشعر العربي حراً، ولا يقيد بقوانين القافية وعمودية الشعر، يجب أن تسود العامية لأنها سهلة التناول

وأساس التقدم والحضارة، وتتمشى مع العصر، وما ذهب إليه من تطور في التكنولوجيا والعلوم الإنسانية، إلا أن كل محاولاتهم هذه باءت بالفشل الذريع، ولم ينجحوا في دعاويهم الكاذبة، التي لا برهان لها إلا العداوة والبغضاء، وما قصدوا بالحداثة إلا تحطيم هذه اللغة وهدم كيائها وأصحابها، وأتى لهم هذا.

مقدمة:

هذه الورقة التي بعنوان: اللغة العربية بين التراث والحداثة، ما هي إلا مساهمة للتعرف على التراث الذي لعب دوراً كبيراً في المحافظة على هذه اللغة، وما تحمله من تراث يُعد من أعظم ما خلفه التاريخ، لأعظم أمة في التاريخ، وهي الأمة الإسلامية، تطرقت الورقة إلى التراث والحداثة، مبينة دور وجهة كل منهما في تطوير اللغة العربية، واثبات الهوية وتاريخ الأمة الإسلامية، فقد أدى التراث دوراً بارزاً للحفاظ على كيان هذه الأمة العريقة، وما زال سنداً راسخاً لحمايتها وتوحيدها على مر العصور وتعاقب الأجيال، ولم تكن الحداثة الزائفة إلا محاولة فاشلة من قبل أعداء هذه اللغة العريقة ومن خصومها، من أبنائها وغيرهم، ممن عقدوا حرباً فاشلة لمحاربة هذه اللغة، مدعين حججاً وبراهين خادعة كانت حرباً عليهم، تطورت اللغة العربية وأصبحت قوة عارمة أمام أعدائها، ودستوراً متيناً لأمتها، فذهب العلماء ينهلون منها علوماً في شتى مجالات الحياة، وربطوا عُقد المودة بين الأمم في شرق البلاد وغربها، جنوبها وشمالها، فلم يتركوا بقعة إلا وقد طرّقوها بعلومهم، ونشروا فيها الوحدة الإسلامية وتراثها العريق⁰ فالتراث والحداثة شيئان متضادان، أولهما يسعى إلى احترام ما ورثه الآباء والأجداد وخلفوه لنا، وأن نبني حضارتنا وأمتنا على ضوء ذلك التراث، بينما يهدف الثاني إلى هدم ما خلفه الآباء والأجداد باعتباره قديماً، فيجب بناء أمة على ضوء معطيات الحداثة والمعاصرة⁰

مفهوم التراث:

جاء في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 19 ، 1993 ، ص: 121 ، " أن التراث هو ما ورثناه عن الأسلاف من نتاج عقولهم⁰ ويعرف التراث أيضاً، في نفس المجلة، بأنه: " ما خلفه فقهاؤنا وعلماؤنا وأدباؤنا وفلاسفتنا، وكل ما خلفه غيرهم من علمائنا، يقال له تراث⁰ " يقول الدكتور محمد خلف الله في الرد على مقال في المرجع السابق لموضوع بعنوان: (الإسلام والتراث الإسلامي) بأن الإسلام والتراث الإسلامي ، موضوعان متغايران، وواو العطف التي تقع بين العنصرين هي المؤشر الذي يشير إلى هذه المغايرة، من حيث

أننا نعلم جميعاً من دراستنا اللغوية أن العطف يقتضي المغايرة¹، وقد خصص الدكتور شوقي ضيف كتاباً سماه "في التراث والشعر واللغة" تناول فيه قضية التراث وقضية الشعر وقضية اللغة، فيذكر أن أربع قضايا تتصل بالتراث، وهي: "2"

- إن التراث تعمه وحدة دينية وعلمية، وهي وحدة هيأ لها القرآن الكريم مما أعد على مر العصور لنشاط مطرد في التفسير والحديث النبوي والفقه، نهض به أئمة أفذاذ، كما نهض نظراء لهم بالتراث اللغوي والنحوي والبلاغي وعلوم الأوائل والتاريخ.

- أما القضية الثانية فتصور لنا ما أتاح القرآن الكريم للتراث الأدبي العربي من خصائص جمالية ظلت إلى اليوم قوام وحدته في الشعر ومقوماته الأساسية وما جد فيه من موشحات وغير موشحات وفي النثر وما جد فيه من مذاهب فنية ومقامات وغير مقامات.

- والقضية الثالثة يذكر فيها أن عهد المماليك حافظ على التراث العربي بإحياء نصوصه على نهج علمي دقيق وبوضع دوائر معارف تسجله وتصونه، ونماه ووجدد فيه سواء في علوم اللغة والنحو أو في الدراسات الدينية من تفسير وفقه أو في الكتابات التاريخية والاجتماعية أو في الكتابات الأدبية وما يتصل بها.

- القضية الرابعة فهي دعاوي لهؤلاء الذين يرون في التراث من البعد عن الروح العلمية وما فيه من تكرار وجمود، ومن الدعوة إلى الشعر الحر والدعوة إلى هجر اللغة الفصحى، فينقض هذه القضية نقضاً، مبيناً أن التراث يحض على طلب العلم حتى يجعله فريضة، ويتحدث عن شيوع الشروح والحواشي والتقارير ويقول إنها دوائر معارف واسعة، ويصور الدعوة إلى العامية بأنها هدم لخلود اللغة العربية والمعارف والتراث العربي والإسلامي.

أما الدكتور رجاء عيد فيتطرق إلى التراث في اللغة العربية من خلال أديها، فيذكر في كتابه: المصطلح في التراث النقدي، ص:6، مجموعة من المصطلحات النقدية التي توصل إليها الأدباء النقاد من عالم تراث الأعراب، وطبيعة حياتهم في الجاهلية من خيام ورعي إبل وترحالهم ولباسهم وحروبهم وشجاعتهم وظروف الصراعات القبلية، ومن عالم الطبيعة والحياة الاجتماعية وعالم الجنس ومن تجارب العرب في الترجمة، وجاءت المصطلحات الأولى للنقد الأدبي من هذه الموضوعات التراثية على النحو التالي: البيت - العمود - المُجَلِّي والمُصَلِّي - حسن الديباجة - رقيق الحواشي - مهلهل - متين الأسر - النقائض - السرقة - الرفادة - الإغارة - شعر فيه ماء ورونق - الطبع والصنعة -

المعظلة – الفحولة – اللفظ والمعنى، ثم تطورت الحياة الأدبية فظهرت مصطلحات مثل: المعلقات – القصائد – النقائض – المعارضات – الموشحات⁰ وهكذا استمر النقد يتقدم وينتقل من طور إلى طور حتى ظهرت مصطلحات نقدية فلسفية مثل: " المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعية والشعر منها كالصورة"، التشبيهات العضوية: " الكلام جسد وروح، فجسده النطق، وروحه معناه"⁰ أضف إلى ذلك عدداً من المصطلحات الأخلاقية: الصدق – الكذب – المبالغة – الغلو – الإغراق، والمصطلحات التي أدخلتها البلاغة كالاستعارة والتشبيه والإدماج والإرداف والاصطراف والاطناب ومصطلحات السرقات الشعرية من: مسخ – وسلخ⁰3" ويورد الدكتور في مجلة الشريعة، العدد، ص:20، 1987، ربط التراث بالإسلام، فيقول: إن التراث الإسلامي هو ما ورثناه عن الأسلاف، من نتاج عقولهم في تفاعلها مع الإسلام، باعتباره ديانة سماوية"⁴.

مفهوم الحداثة:

يعرفها مجدي خضر، التربية المتجددة، 2008م، ص:14، "5"، بأنها الشئ الجديد، الذي يعطي صورة معاكسة عن الشئ القديم. وتعرف أيضاً بأنها: الانتقال من حالة قديمة إلى حالة جديدة، تشمل وجود تغير ما. جورج مشيلا وآخرون -الوعي التربوي، 1982 ص:15، "6"، ويذكر شوقي ضيف في كتابه التطور والتجديد في الشعر الأموي، 1959 ص: "5"، كلاماً مؤداه، فالتطور والتجديد هو محافظة الشئ على العناصر واستقرارها في كيانه مع تحولات العصر، وخاصة إذا كان العصر الجديد يختلف عن العصر القديم في الدين والسياسة والحضارة والثقافة، والحديث عن اللغة العربية والحداثة يعيد الذاكرة إلى أولئك الدعاة الذين يقولون: ما لنا ولتراث الأجداد والآباء، لننفض عنه الغبار ونعيده إلى الحياة، وهو غير صالح لهذه الحياة، إذ أصبحنا نعيش حياة جديدة تخالف حياة الأسلاف في الحضارة والمدنية والاقتصاد واستغلال الطبيعة، ونحن في عصر الذرة وما تشتمل عليه من إلكترونيات وعصر إختراق الفضاء وما يدور فيه من أقمار صناعية، والتراث بعيد من هذا التطور الهائل والتغير الواضح في الحياة العلمية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، أنصار هذه الدعوة يرفضون التراث وكل ما خلفه الأجداد من علوم جمّة يصعب التوصل إليها في وقتنا الحاضر، ولولا هذا التراث العظيم في شتى مجالات الحياة لضاعت الأمة الإسلامية ولضاعت لغتها وأديها وعلمها وهويتها،

وأصبح يتلاعب بها ربح الحداثة الزائفة حتى يرمي بها في الهاوية، وما زال أعداء التراث يواصلون عداءهم فيقولون: نحن في عصر لا يعتمد إلا بالعلم الطبيعي ومكتشفاته في الضوء والصوت والذرة، فالتراث عندهم لا يفيد في هذا العلم وتطبيقاته، ولقد ذهب بهم هذا المذهب إلي أضل من ذلك، فهم يرون أن الشروح والحواشي وحواشي تشرح الشروح وتقارير تعلق على الحواشي كلها زيادات لا تضيف شيئاً إلى المادة العلمية في المتون، فضلاً عن أن بعضها يُغني عن بعض، ولا ابتكار ولا أصالة، بل صور مكررة تدل على الجمود العقلي والتخلف الفكري، ويقول خصوم التراث: إن الشباب أحدثوا ضرباً جديداً من الشعر الحر غير المقيد بالقافية، إلا أنهم واجهوا رفضاً تاماً من أنصار التراث قائلين: إن ما يخرج عن تقاليد القصيدة العتيقة الموروثة فإنه لا يسمى شعراً، بل ضرباً جديداً من ضروب النثر، لذا فيذهب أنصار الحداثة أن التراث يعوقهم عن الحركة ويمنع من التطور في مجال الشعر، إلا إذا صيغ على التقاليد البالية، كما يزعمون، وقد ذهبوا إلى أبعد من ذلك عندما نادوا بهجر الفصحى تماماً، إذ هي المانع من كل تطور، فهي تحمل كل هذا التراث، فإذا تحطمت الفصحى تحطم التراث كله، وقد ذهبوا إلى أبعد من ذلك أيضاً حيث ادّعوا أن الفصحى صعبة ومعقدة في نحوها وصرفها⁰

الأثر الإيجابي الذي خلفه التراث في اللغة العربية – لغةً وأدباً:

أولاً: القرآن الكريم:

ورثت الأمة الإسلامية تراثاً موحداً ذا منحنى روحي ولغوي وأدبي، هذا التراث الذي قادها روحياً في المقام الأول، ولغوياً وأدبياً في المقام الثاني، ظل معجزة خالدة ليس له سابقة ولا لاحقة في تاريخ الأمة الإسلامية والإنسانية أجمع، ولا يخفى على القارئ ما للقرآن الكريم من معجزات روحية ولغوية وعلمية وقيم اجتماعية خالدة عبر تاريخ حياته وما لحق بها من تغيرات وتطورات في المجال الروحي والعلمي وإعداده للعلم والمعرفة وأصول العقيدة الإسلامية الحققة، والانتفاع بالحياة وما فيها من الطبيعة وسبل الكسب المتعددة، فالقرآن الكريم أعظم تراث خلده التاريخ للأمة الإسلامية، فوحد لغتها وحفظها من الضياع أو التلوث، وبُنيت على ذلك بحوث دينية وعلمية ولغوية وأدبية واسعة أدت إلى توسع بقاع اللغة العربية وتغلغلها في وسط الأمة الإسلامية والأمم الأخرى⁶، مما جعل لها مكانة تحسد عليها، وخصوم من الداخل والخارج، يحاربونها ليل نهار، بشتى السبل السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ولكن دائماً وأبداً تبوء محاولاتهم بالفشل

والخسران 0 فالقرآن هو التراث الأول، الذي هدَّب اللغة وقَنَّ العلم، وما زال المرجع اللغوي والعلمي الثابت، و الذي عليه بُنيت شواهد ونظريات لغوية وعلمية انتفعت بها الأمم، وسار على هديها العلماء والباحثون في الطبيعة الكونية والمجتمع وسياساته واقتصادياته، كما استطاع القرآن الكريم أن يبدِّل اللغات المحلية للدول التي استولى عليها الإسلام باللغة العربية، ويظهر هذا في كثير من الدول الفارسية والإفريقية والشامية واليونانية، التي استبدلت لغاتها إلى العربية بعد الفتوحات الإسلامية، وما زال أثر القرآن الكريم في هذه اللغات واضحاً وضوح الشمس، فهو فخر هذه الأمة وحافظ لغتها ودينها، وموحدتها وجامع شملها.

ثانياً: الحديث الشريف:

ظهرت حركة الحديث النبوي الشريف في مجال الدين واللغة منذ حياة الرسول ﷺ مع صحابته، فالحديث الشريف هو المفسر للقرآن الكريم وما يحمله من عبادات وتشريعات، وهو المبين للآيات وما تحمله من نواهي وأوامر، ويرجع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين إلى ما يحدثهم به رسول الله في حياته معهم في ما أشكل عليهم من القرآن، كما يرجعون إلى أحاديث الرسول ﷺ بعد رحيله في أمور دينهم ودنياهم، يرجعون إلى رواة الأحاديث منهم كأبي هريرة ؓ وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر، أو إلى زوجاته كعائشة وأم سلمة رضي الله عنهن أجمعين، فكان الحديث هو المفسر الأول للقرآن الكريم والمشعر الثاني بعد القرآن الكريم، ثم سار الصحابة على هدي الرسول ﷺ فانتشروا في بقاع الأرض، ناشرين دعوة الرسول وما تحمله من نواهي وأوامر، وظهرت تفاسير للقرآن الكريم على هدي الرسول ﷺ، وأمّهات كتب الحديث، كموطأ الإمام مالك، وصحيح الإمام البخاري، وصحيح مسلم، ومسند الإمام أحمد بن حنبل، وغيرها من كتب الأحاديث الموثوق بها، وتبعته هذه الكتب شروح انتشرت بدورها في أرجاء البلاد، فعلى سبيل المثال: نجد شروح متعددة لصحيح البخاري (المتوفى سنة 256) فقد شرحه مراراً علماء أجلاء أمثال: النووي الدمشقي وابن حجر العسقلاني، وغيرهم كثيرون ممن شرحوه، وكان كل شارح يرجع إلى الذي قبله من الشرح، كما كان لنشأة المذاهب الإسلامية: كمذهب الإمام مالك والإمام أبي حنيفة والإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل دوراً في تخليد تراث إسلامي قوي وحد الأمة الإسلامية، وأصبح مرجعاً أساسياً للشئون الروحية والدينية، ودستوراً لا يمكن أن يتخلى عنه، والناظر في

هذه المذاهب الأربعة وأصحابها يلاحظ أنها موزعة في البلدان لكل بلد نصيبه منها، لا فرق بين بلد وبلد، فمثلاً إذا رجع القارئ إلى الديباج المذهب لابن فرحون الخاص بفقهاء المالكية أو إلى كتاب تاج التراجم لابن قطلوبغا الخاص بفقهاء المذهب الحنفي أو إلى كتاب طبقات الشافعية للسبكي أو إلى كتاب طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى، لرأى التراث و الوحدة الإسلامية، ممثلة تمثيلاً عادلاً في هذه المذاهب وأن منبعهم واحد وأصلهم واحد مما يحقق الترابط الديني والروحي في الأمة الإسلامية.

ولقد أدى الحديث دوراً بارزاً في مجال اللغة أيضاً، وكان الرسول ﷺ يقول: "أنا أفصح العرب بيد أني من قريش"7، فقد استنتج البلاغيون ظاهرة بلاغية من هذا الحديث، وهي: المدح بما يشبه الذم، وكانت أحاديث رسول الله ﷺ مرجعاً قوياً لعلماء النحو والبلاغة والصرف وبقية المجالات اللغوية.

ثالثاً: النحو:

لقد لعب النحو والبلاغة وعلوم اللغة دوراً هاماً في تحقيق التراث وتوريثه للأمة الإسلامية، فقد عُدَّ كتاب سيبويه المصدر الأول والأساس لمادة التراث النحوي، وأخذ تلميذه الأخفش الأوسط ومن جاءوا بعده من نحاة المدرسة البصرية يعتمدون عليه، وهكذا بجانب البصرة، صنفت الكوفة في النحو على يد الفراء، ثم مدرسة بغداد على يد أبو علي الفارسي، ونجد مدرسة بغداد عند تأسيسها وضعت المدرستين السابقتين نصب عينيهما، ودرس نحاتها كل مذاهب المدرستين، البصرية والكوفية، ثم زادت آراء جديدة انفردت بها، هكذا عندما ظهرت مدرستا مصر والأندلس، اعتمد روادها على تلك المدارس السابقة ثم أضافوا آراءهم وشروحهم التي انفردوا بها مكونين بذلك هاتين المدرستين، وهكذا لعبت هذه المدارس والتي جاءت بعدها على يد كل من ابن يعيش الحلبي والزمخشري الخوارزمي والرضي الإستر أباديالطبرستاني وابن الحاجب المصري وغيرهم دوراً كبيراً في تحقيق التراث النحوي الذي سعى بدوره في تحقيق الوحدة الإسلامية من حيث اللغة وما يتصل بها من علوم، فعلماء النحو طافوا في البلاد العربية والآسيوية والإفريقية والأوروبية دون تنافر من سكانها، بل قبول تام وترحاب، وقلدهم مناصب مرموقة تتناسب مع شرفهم ومكانتهم، فكان منهم الأئمة ومنهم القضاة والفقهاء وولاة الأمور، وهذا كله يؤكد الوحدة الإسلامية المنبعثة من تراث واحد"8

رابعاً: البلاغة:

لم يكن التراث البلاغي بغافل عن هذه المساهمات فجمع وحدة الأمة الإسلامية وترايطها، فقد تكاثر علماء البلاغة بعد الجاحظ المؤسس الأول لعلومها، حيث وضع ابن المعتز علم البديع، وصنف فيها ابن قدامة وابن وهب وابن طباطبا وأبو هلال العسكري وابن سنان الخفاجي، ثم وضع عبد القاهر الجرجاني علم المعاني، ويضع الصيغ النهائية لعلم البيان، من تشبيهات واستعارات ومجازات، واستضاء بهذا التراث البلاغي كل من اهتم به بعدهم أمثال الزمخشري الخوارزمي والفخر الرازي والزملكاني الدمشقي والتنوخي البغدادي وابن الأثير الموصلبي ويحيى بن حمزة اليميني وأبي القاسم الكلاعي الأندلسي وابن أبي الإصبع المصري، هؤلاء كلهم جاءوا من أرجاء ومناطق متعددة ومختلفة جغرافياً، إلا أن وحدة التراث جعلت منهم أمة واحدة بلا حدود، تجمعهم البلاغة العربية، حفاظاً وتجيلاً لهذه اللغة، وبحثاً في خفاياها وخصائصها من البلاغة والفصاحة مما يساعد في فهمها، وفهم معانيها العميقة وفهم الدستور الإسلامي الذي تحمله، سواء كان ذلك الدستور القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف فوحدة التراث البلاغي عمت مشارق الأرض ومغاربها مما يدل على وحدة التراث البلاغي ودوره الكبير في وحدة الأمة الإسلامية، ويدل على ذلك الشروح البلاغية في أنحاء البلاد الإسلامية وغيرها التي تلت هؤلاء الأعلام البلاغيين، وكان هذا الترابط البلاغي صورة واضحة لدور التراث البلاغي في ربط الوحدة الإسلامية⁹⁰

خامساً: اللغة:

يتمثل التراث اللغوي في ما قام به العلماء اللغويون الأجلاء من تأليف في مجال اللغة والمعاجم، وكل ما ظهر عالم لغوي وضع المؤلفات اللغوية التي سبقته نصب عينيه، وأخذ منها مادته فزاد عليها، ولا ينسى فضل أولئك الذين سبقوه، وهذا من الأمانة العلمية بمكان، فقد ذكر الإمام الأزهري في معجمه، تهذيب اللغة، أئمة اللغة الذين نقل عنهم المادة اللغوية، ومن بين هؤلاء العالم اللغوي الخليل بن أحمد الفراهيدي، صاحب معجم العين، ومما يزيد في هذا التواصل في التراث اللغوي، كتاب المخصص في اللغة لابن سيده، وهو مصنف بحسب الموضوعات والمعاني، ويذكر في مقدمته عدداً كبيراً من الكتب التي أخذ عنها كمصادر لمادته، من بين هذه الكتب كتب الأصمعي في السلاح والإبل والخيول وكتب أبي زيد في الغرائز والجرائم وكتب أبي حاتم السجستاني في الأزمنة

والحشرات والطير، وغيرها كثير، ولعل كتب اللغة قد لعبت بدورها دوراً فعالاً في توطيد العلاقة اللغوية بين أفراد الأمة الإسلامية، وما زال التراث اللغوي خالداً يحقق هذه الوحدة بين مشارق الأرض ومغاربها، ويجمع علماءها في كتب اللغة، وزاد ذلك ثقة باللغة وما تحمله من معاني وألفاظ، فزخرت المكتبات الإسلامية بشتى أنواع الكتب اللغوية من مؤلفين من أوطان مختلفة تجمعهم وحدة وتراث اللغة.

سادساً: الفلسفة والعلوم:

لقد قام المسلمون في عهد خلفاء بني العباس بترجمة العلوم والفلسفة، وأخذت حركة الترجمة تنشط بشدة في بغداد، وأخذ المترجمون على ذلك مكافآت كبيرة، فاندفعوا يترجمون وينقلون إلى اللغة العربية كل علوم اليونان والفرس والهند في مجالات الفلسفة والكيمياء والفيزياء والرياضيات والطب، حتى ظهر علماء أجلاء في الكيمياء على رأسهم جابر بن حيان الذي ترك رسائل في الكيمياء أصبحت أسس هذا العلم وأصوله في العربية، واتسعت الحركة العلمية والفلسفية في عهد المأمون، فيظهر عالم رياضي فذ هو الخوارزمي، واضع علم الجبر، كما يظهر أول فيلسوف عربي هو الكندي، وهكذا توالى العلماء وكثروا في الظهور والصدارة في هذه العلوم والفلسفة، وأصبحت اللغة العربية هي اللغة المشتركة بين هؤلاء العلماء، فجعلت من هذه العلوم تراثاً خالداً، يحمل لغة ذات مصطلحات علمية وفلسفية مشتركة، ولا خلاف بين أي مصطلح يحمله عالم من علماء هذه العلوم، فنجد كتابات الكندي والفارابي والرازي وابن سينا في الشرق، كما نجد ابن باجة وابن طفيل وابن رشد في الغرب، ولا تختلف مصطلحاتهم أو كتاباتهم بحيث لا يستطيع أن يقرأها الباحثون، وكتب القانون لابن سينا لا يجد المتخصص في الطب في البلاد الإسلامية كابن القُف بالشم وابن النفيس بمصر وابن زهر بالأندلس أو غيرها صعوبة في فهم ما كتب ابن سينا في كتابه القانون، لأن المصطلحات مشتركة ومتداولة بينهم وبين غيرهم من العلماء في نفس المجال، فقد خلقت هذه العلوم تراثاً قوياً استطاع أن يحفظ تماسك الأمة الإسلامية⁰

نستطيع أن نضيف إلى ذلك كتب التاريخ الإسلامي وكتب الوطن الإسلامي وتراجم العلماء الإسلاميين في جميع أقطار ودول العالم الإسلامي باعتبارهم جزءاً من التراث الإسلامي⁰10".

سابعاً: التراث الأدبي:

التراث الأدبي الجاهلي يمثل أعظم تراث خلفه الأدب العربي شعراً ونثراً، ولا يمكن أن يستغنى عن دور الأدب الجاهلي في الحفاظ على اللغة العربية وتوحيدها بين العرب، ليس في الجزيرة العربية فحسب، بل في أرجاء البلاد الإسلامية، فالتراث الأدبي القديم يمثل الهوية العربية وقوميتها وتاريخها، ويمثل ميولها وأذواقها وعواطفها، وكيانها وثقافتها، وما صلح منها تبني الإسلام خلودها واستمرارها على تعاقب السنين والأزمنة، فعمت الدنيا، وأصبحت دستوراً وطريقاً مستقيماً لكل فرد وجماعة وأمة، إن الأمة الإسلامية في حاجة ماسة إلى هذا النبع الرقراق والمنهل العذب لكي تنهل منه من أجل حياتها الروحية والأدبية ووحدتها، يقول صاحبنا كتاب: تراثنا الأدبي- صور من روائعه وملاحمه، إبراهيم على أبو الخشب ومحمد عبد المنعم خفاجي ص:5، 'الأدب الجاهلي شعره ونثره سجل دقيق للحياة الجاهلية بمفاخرها ومآثرها وأيامها وأسماؤها وملاحمها وأساطيرها، وهو النموذج الرفيع الذ تمثله البلاغة العربية في مختلف عصور الأدب، وقلده البلغاء في كل عصر وجيل، ومنه خرج الرواة وأئمة اللغة بشواهدهم الصادقة الدلالة على أحكام اللغة والأدب وقواعدهم"¹¹، و الناظر إلى الأدب الجاهلي، يتيقن أن أصحابه كانوا يعتزون بلغتهم، وطلاقة ألسنتهم، ويفتخرون بعروبيتهم، ويتمدحون بالخصال الإنسانية التي تسود طباعهم وسجاياهم، فهذه الخصال عزيزة على الأمة الإسلامية، ويمثل هذه المفاخر على سبيل الإيجاز: زهير بن أبي سلمى وعنترة بن شداد وليبيد بن ربيعة وطرفة بن العبد، وغيرهم كثير، هذا التراث لا يمكن التخلي عنه، وخاصة أن من هذه الأمة من استجابت فيما بعد للدعوة الإسلامية، واستقامت للرسالة، وأبليت بلاءً حسناً، فملكتم زمام الأمور وقد انعدم النثر الفني أو الكتابة الإنشائية، لأنه موصول بالحضارة والتقدم والعمران والمدنية والكتابة وانتشار الثقافة، وهذه الأمور لم توجد إلا بعد انتشار الإسلام، فالتراث الأدبي الجاهلي كان يتمثل في الأمثال والحكم والخطب والوصايا والشعر المقفى، وهو تراث خالد لعب دوراً بارزاً في الرقي باللغة العربية وما فيها من بلاغة ولغة وأدب وعلوم في الأزمنة اللاحقة مما وُحِد الأمة الإسلامية في البلاد العربية وغير العربية⁰

وجاء كتاب الدكتور رجاء عيد، المصطلح في التراث النقدي، ليقنن استخدامات المصطلحات التراثية، كحركة للحفاظ على التراث الأدبي النقدي، وتوحيد هذه

المصطلحات بين النقاد في الأوطان الإسلامية، وحاول فيه الكاتب أن يضع القارئ في صورة يتعرف بها عن المصطلح في بنية النصوص التراثية نفسها، موضحاً انتقال المصطلح من المعنى اللغوي إلى الدلالة الاصطلاحية، مع الربط الجزري بينها، وقد أورد الكاتب بعض النماذج الاصطلاحية النقدية، من حيث الحكم الانطباعي ومن حيث الاحكام التي لا تتجاوز حد الانفعال الحاد:
أ/ من حيث الحكم الانطباعي:

- يرجع الكاتب إلى كتاب "فحولة الشعراء" للأصمعي، ص: 14، 15: (وسألت الأصمعي عن كعب بن سعد الغنوي، قال: ليس من الفحول إلا في المرثية، فإنه ليس في الدنيا مثلها)، قلت: فأعشى باهلة؟ أفمن الفحول هو؟ قال: نعم، وله مرثية ليس في الدنيا مثلها)0
- ويرجع الكاتب إلى نموذج آخر من "طبقات الشعراء" لابن المعتز، ص: 225، فيقول معلقاً على بيت من قصيدة لبكر بن النطاح:
كأن غمامَ العزِّ حَشُوْ أكَفِّهِمْ إذا طَبَّقَ الآفاقَ بالديِّماتِ
هذا البيت أقرت الشعراء قاطبة أنه لا يكون وراءه حسن ولا جودة معنى، على أن القصيدة كلها نمط واحد دونه الديباج0
ب/ من حيث الأحكام التي لا تتجاوز حد الانفعال الحاد:
يذكر الكاتب مجموعة من النماذج على النحو التالي:
- يرجع الكاتب إلى كتاب الموازنة للآمدي، ص: 467 ، فيقول: (وهذا بيت رديء جداً000)
ص: 478 ، فيقول: (وهذا بيت في غاية الرداءة والسخافة لفظه ومعناه)
ص: 517 ، (وهذا الذي طلبته الشعراء00 فأعجزها إدراكه)
- كما يرجع الكاتب إلى كتاب المثل السائر لابن الأثير، ج2 ، 100 ، فيعلق على الأبيات التالية لديك الجن الحمصي، عبد السلام بن رغبان:
لما نظرتُ إلي من حَدَقِ المَهْمَا-- وبَسِمْتُ عن مُتَفَتِّحِ النُّوَارِ
وعَقَدْتُ بينَ قَضِيْبِ بانٍ أهْيَفِ-- وكَتَيْبِ رَمْلِ عُقْدَةَ الرِّزَّارِ
عَقَرْتُ حَدِي في التَّرِي لَكَ طَائِعاً-- وعَزَمْتُ فيكَ على دُخُولِ النَّارِ

يقول ابن الأثير معلقاً: (وهذه الأبيات لا تجد لها في الحسن شريكاً، ولأن يسمى قائلها شحروراً أولى من أن يسمى ديكاً).

يذكر الكاتب مجموعة من المصطلحات القديمة مبيناً معناها المعجمي والاصطلاحي، مؤكداً أنها ترجع أخيراً إلى ابن سلام الجمعي، واضع جزورها وأصولها، ومن أمثلة هذه المصطلحات: الفحولة - الطبق والطبقة - المقلدات - القصيدة المنصفة - البديهة - هلهلة الشعر - متين الشعر شديد الأسر - الجزل والجزالة - الطلاوة - الحوشي والحوشي - الغريب - الغرابة - الإغراب.

شاعت هذه المصطلحات بين النقاد القدامى والمحدثين في أرجاء البلاد الإسلامية، وكونت بدورها وحدة أدبية تراثية ربطت العالم الإسلامي ببعضه ببعض، فتعارف عليها الأدباء والنقاد، وكانت مرجعاً أساسياً لكل شاعر أو أديب أو ناقد في أي وطن من الأوطان الإسلامية¹².

ولم يكن العصر الإسلامي الأول بأقل عطاءً ومساهمة في مجال التراث، في سبيل وحدة اللغة العربية و تطورها، ومن ثم وحدة الأمة الإسلامية، وقد رفع الإسلام من شأن الأمة هذه الأمة روحياً وعقلياً واجتماعياً، فالقرآن الكريم مفخرة للغة العربية وعز لها، فقد أضاف بعداً جديداً للغة العربية من بلاغة وتأثير في النفوس والقلوب، ويذكر شوقي ضيف في كتابه: تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، ص:30، أن الرواة قد رويوا أن الوليد بن المغيرة الذي كان مت ألد خصومه سمعه يتلو بعض آي الذكر الحكيم، فتوجه إلى نفر من قريش يقول لهم: "والله لقد سمعت من محمد كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق"0 وقد أتاح القرآن للهجة قريش أن تسمو في اللهجات العربية وأن تنتشر عالمياً، وهكذا اكتسحت اللغة العربية آداب كثير من اللغات الأفريقية والآسيوية، فاتخذتها لغتها الأدبية، وقد كثرت الشعراء المخضرمون في هذا العصر، من أبرزهم حسان بن ثابت وكعب وابن رواحة رضي الله عنهم الذين بذل جهداً كبيراً في المحافظة على التراث الشعري، وتبعهم آخرون، وكانوا حلقة وصل بين الجاهلية والعهد الإسلامي الجديد، فاصطبغ شعرهم بالعبارات القرآنية الجديدة، والألفاظ الخالية من الحوشية وتقاليد الجاهلية، فخلفوا تراثاً هو امتداداً لذلك التراث الموروث في ثوب جديد، وكانت الحركة الأدبية في هذا العصر رهينة بالتعاليم الإسلامية كترت تمتد جزوره إلى ما شاء الله،¹³

وهكذا توالى الحركات الأدبية في العهد الأموي والعباسي الأول والثاني والعصر الحديث، وقد أدلت كل من هذه العصور دلوها في ترقية اللغة العربية من خلال شعرها ونثرها، وكانت هذه الحركات الانتاجية الأدبية فخر هذه اللغة والأمة الإسلامية⁰

محاولات دعاة الحداثة في طمس اللغة العربية وهويتها:

لقد بذل التراث مجهوداً كبيراً في المحافظة على اللغة العربية وهويتها، ومن ثم على الوحدة التراثية لأبناء الأمة الإسلامية، وأصبحت وحدة التراث هي الرابط المتين بين الأوطان والبلدان والشعوب الإسلامية، فتوحدت هذه البلاد بفضل التراث الديني المتمثل في القرآن الكريم والحديث الشريف، وبفضل التراث الفقهي المتمثل في المذاهب الفقهية الأربعة: المالكية والحنفية والشافعية والحنابلة، وكذلك بفضل المدارس النحوية المتمثلة في مدرسة البصرة والكوفة وبغداد ومصر والأندلس، وبفضل التراث البلاغي الذي خلفه رواد البلاغة كالجاحظ وابن قدامة والزمخشري والجرجاني وغيرهم، وكذلك بفضل العلوم في مجال الكيمياء والطبيعة والرياضيات والطب والفلسفة، وما قام به المترجمون من ترجمة العلوم الفارسية والهندية واليونانية إلى اللغة العربية واعتماد مصطلحات عربية خاصة بها على المستوى الإسلامي، وكذلك بفضل التراث الأدبي بدءاً بالأدب الجاهلي ومروراً بالعصر الإسلامي والأموي والعباسي إلى عصر المماليك، كل هذه الحركات التراثية كان لها أثر شديد في ربط الوحدة الإسلامية وتطور اللغة العربية وتكوين هويتها، ووضع جزور راسخة أصلها ثابت وفرعها في السماء⁰

والغريب في الأمر أن تظهر، بعد هذا كله، طائفة وترمي بهذا التراث، بدعوة الحداثة، أليس التراث أساساً وأصلاً ثابتاً لبناء الحداثة المزعومة، ومتى يكون طمس التاريخ وما يحمله من تراث موروث منذ آلاف السنين حادثة، أليس هذا طمس للهوية أيضاً، هل الحداثة، كما ينادى هؤلاء، في الموروثات الغربية؟ ولماذا ليست الموروثات الإسلامية، هل الحداثة في الأدب الغربي، ولماذا ليست في الأدب العربي بشتى ألوانه، هل الحداثة في العلوم المكتوبة باللغات الغربية، ولماذا لا تكون في العلوم المكتوبة باللغة العربية، أليست اللغة وعاءاً، تحمل الأفكار والمفاهيم والمعارف وتبلورها في قوالها وصيغها الخاصة بها، في عبارات وأساليب جميلة ومتناسكة، سواء كانت هذه العبارات علمية أو أدبية، هذه النداءات لا برهان لها سوى خدمة الغرب وما يرمى إليه من طمس الهوية اللغوية والكيان الأممي، وإثبات الاستعمار الثقافي، الذي هو أشد مرارة من الاستعمار

السياسي، بل ذهب هؤلاء إلى أبعد من هذا، "15" فقالوا: إن اللغة العربية في استخدامها للغة الفصحى نوع من التعقيد والصعوبة، مما يعيق فهمها وصعوبة استخدامها في العلوم التكنولوجية الحديثة، واندماجها في مستجدات الأحداث ومجريات العلوم الاجتماعية وما جد فيها من التطورات ذات الأبعاد الثقافية، ورموا الفكر العربي الإسلامي بالجمود والجفاف وعدم قابليته للتواصل ومواكبة العصر الحديث "16"

نتائج:

- ملكت اللغة العربية تراثاً مرموقاً ساهم بطريقة فاعلة في الحفاظ عليها وترقيتها إلى مستوى عالمي، ليس فقط على مستوى المتحدثين بها، بل على مستوى قدرتها وفعاليتها في احتواء كل العلوم الإنسانية والعلمية.
- ليست الحداثة، بالضرورة، أن تكون ضد القديم، كما ذهب إلى ذلك خصوم وأعداء اللغة العربية، فيمكن أن تكون الحداثة امتداداً للتراث لخلق آفاق جديدة تبرز دور التراث وأهميته.
- الفشل الذريع الذي لحق بأعداء العربية وخصوماها، حيث سار أنصار اللغة العربية في انتصاراتهم ودحض حجج الخصوم.
- التراث ملكة، يجب على الأمة الإسلامية الإهتمام به والحفاظ عليه لأنه هو الذي يثبت كيانها وهويتها.
- تستعمل الأمة الإسلامية لغة واحدة، هي اللغة الفصحى، وتكثر مجتمعات اللغة العربية في البلاد العربية كمصر والسودان والمملكة العربية السعودية على المستوى العالمي، فلماذا لا تتخذ الأمة الإسلامية من هذه المجتمعات مجتمعةً أو متفرقة، مستخدمةً النحو وقواعده الثابتة والصرف وقدرته الفائقة في توليد الكلمات والتعابير، أساساً لوضع كثير من المصطلحات في ما جدَّ واستُحدث في مجال اللغة والتقنية والعلوم الإنسانية.

خاتمة:

يتضح من خلال ما سبق أن التراث والحداثة ضدان، من حيث الأول، كما ينادى به أنصاره، هو الحفاظ على التقاليد والمخلفات والإنتاجات والموروثات التي تركها الأجداد والآباء، أما الحداثة فهي كل جديد مبتدع من العلوم والقضايا المستحدثة، وقد قام التراث بعمل جليل في الحفاظ على اللغة العربية والأمة الإسلامية من خلال توحيد البحوث العلمية، التي قام بها العلماء في العصور المختلفة في جميع البلاد الإسلامية،

وتؤكد الورقة على فشل دعاة الحداثة وأهدافهم الواهية التي ليست لها أية صلة باللغة العربية، وحثمت الورقة ببعض التوصيات لعلها تساهم في دفع عجلة تقدم اللغة العربية.

هوامش:

- 1/ مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد التاسع عشر، 1993، ص: 120،
- 2/ شوقي، ضيف، في التراث والشعر واللغة، 1987، دار المعارف، القاهرة، ص: 11
- 3/ أبو الخشب إبراهيم وآخرون، تراثنا الأدبي- صور من روائعه وملاحمه، ب0 ت، دار الطباعة المحمدية بالأزهر بالقاهرة، ص: 70
- 4/ مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، مرجع سابق، ص: 121
- 5/ جورج مشيلا وآخرون، الوعي التربوي، 1982، دار المعارف، بيروت، ص: 14
- 6/ في التراث والشعر واللغة، مرجع سابق، ص: 13
- 7/ دراسات عربية حولية، 2008، (مجلة)، قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كنو، نيجيريا، /قال بعنوان: إسلامية المعرفة في مناهج اللغة العربية وأدائها، ص: 336
- 8/ في التراث والشعر واللغة، مرجع سابق ص: 17
- 9/ في التراث والشعر واللغة، مرجع سابق، ص: 28
- 10/ معدي، الحسيني الحسيني، موسوعة الشعر الجاهلي، ص: 5
- 11/ عيد، رجاء، المصطلح في التراث النقدي، 2000، منشأة المعارف الإسكندرية، ص: 11
- 12/ ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي- العصر العباسي الأول، 1966، دار المعارف، مصر، ص: 138
- 13/ ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي – العصر العباسي الثاني، 1973، دار المعارف، مصر، ص: 181
- 14/ تراثنا الأدبي- صور من روائعه وملاحمه، ص: 7
- 15/ تراثنا الأدبي، ص: ب
- 16/ المرجع نفسه، ص: ب

التعددية الفكرية في فهم النص القرآني: دراسة تفسيرية

إعداد:

د/ محمد فراج طه علي

عضو مركز الأزهر العالمي للفتوى الإلكترونية بمشيخة الأزهر

ملخص البحث

من المعلوم بدهاءة أن رسالة الإسلام رسالة عالمية ، ومن سماتها التعددية الفكرية، فإذا نظرنا إلى القرآن الكريم نظرة متعمقة فإننا نجده قد عالج هذه التعددية علاجاً فريداً من نوعه حيث إنه قدم للعالم كله قبول الآخر واحترام آرائه وأفكاره، فالإسلام ظلل وارف يعيش تحته كل الأجناس متفقاً كان أو مختلفاً.

وظاهرة التعدد في الآراء والأفكار والنظريات، والتصورات بين بني البشر ظاهرة أزلية غارقة في القدم، يعود تاريخها إلى ميلاد الكائن البشري على وجه الأرض، وهي كذلك ظاهرة طبيعية وواقعية وفطرية، وذلك نتيجة لاختلاف مراتب العقول، وتناقض المصالح، وتقويم الأحداث، وتفسير النصوص والتعاليم والأفكار بطريقة متغاير.

والتعددية الفكرية لم تكن في ذات الدين ولا في لبّ الشريعة، ولكنها تعددية في فهم بعض نصوصه وفي تحقيق كلياتها على الفروع، وكل المختلفين مُجمعون على تقديس نصوص القرآن، فهو تعدد لا يتناول الأصل، ولكنه تعدد في الفروع؛ حيث لا يكون دليل قطعي حاسم للخلاف.

ومعظم تعدد أقوال المفسرين في التفسير راجع إلى اختلاف التنوع، وليس اختلاف التضاد، ومن الطبيعي جداً أن يكون هناك تعدد في الآراء والأفكار، شريطة أن تكون هذه الآراء والأفكار منضبطة بضابط الشرع، وليس لها أي مآرب أخرى.

Research Summery

It is well known that the message of Islam is a universal message, and it is distinguished with its intellectual pluralism. If we contemplate the Holy Qur'an, we will find that this pluralism has been dealt with a unique treatment, as it provided the whole world with acceptance of the other and respect for their opinions and ideas. Thus, Islam is like a vast umbrella under which all races live, whether they agree or differ with it.

The phenomenon of opinions, ideas, theories, and perceptions variation among human beings is an eternal phenomenon steeped in ancient times, dating back to the early existence of human being on earth, and it is also a natural, realistic and innate phenomenon, as a result of the different faculties

of minds, the contradiction of interests, the evaluation of events, along with the variety of texts interpretations teachings and ideas.

Intellectual pluralism was neither in the essence of the religion nor in the core of Sharia, but it is in understanding some of its obvious texts and in achieving the objectives of these texts through the branches. However, all the variant parties are unanimously agree in sanctifying the texts of the Qur'an, as it is a plurality that does not deal with the principles, but a plurality in the branches, where it is not a definitive piece of evidence for the dispute.

The majority of multiplicities of the exegetes' opinions in the interpretations refer to diversity, not conflict, since it is very natural to have a multiplicity of opinions and ideas, provided that these opinions and ideas are disciplined with the Sharia law, and have no other objectives.

مقدمة

بسم الله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وبعد،،،

فإن الذي يطالع كتب التفسير، يجدها مملوءة بأقوال متعددة في اللفظة القرآنية الواحدة، وهنا تُثار عدة أسئلة: لماذا تعددت الأقوال في تفسير الآيات القرآنية؟ لماذا لم يُجمع المفسرون على تفسير واحد؟ وهل من الممكن الجمع بين كل هذه التفسيرات؟ أم أنها متعارضة لا يمكن الجمع بينها؟

أقول: غالب مسألة تعدد أقوال المفسرين في التفسير راجع إلى اختلاف التنوع، وليس اختلاف التضاد؛ وذلك كأن يعبر كل واحد من المفسرين عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه، تدل على معنى في المُسَمَّى غير المعنى الآخر، مع اتحاد في المسمى، وهذا كله من التفسيرات التي لا تضاد بينها، ومن الممكن الجمع بينها، وهذا من التعددية التي تؤدي إلى ثراء المعاني التفسيرية، وهذا ما سيأتي.

إن التعددية ظاهرة بشرية قديمة؛ إذ كانت العقول متفاوتة، والنزعات النفسية متباينة، والأغراض والأهواء مختلفة، ولكل منظومة حضارية موقفها تجاه هذه الظاهرة، سواء كان مرجعها دينياً سماوياً، أو كان وضعياً أرضياً⁽¹⁾.

ويستنتج من هذا؛ أن ظاهرة "التعددية" ظاهرة طبيعية، وسمة لازمة، وأن الإسلام ليس بخارج عن تلك القاعدة، ومن الطبيعي جداً أن يكون هناك تعدد في الآراء والأفكار والتصورات، شريطة أن تكون هذه الآراء والأفكار منضبطة بضابط الشرع، وليس لها أي مآرب أخرى.

وترجع أسباب اختيار الموضوع إلى عدة أسباب؛ منها ما يأتي:

أولاً: انتشار هذه النظرية والترويج لها عبر وسائل الإعلام المختلفة - خاصة الإلكترونية منها - وإيمان البعض بجدواها وما يُنتظر منها.
ثانياً: التعددية الفكرية تعتبر من أهم القضايا التي يجب الأخذ بها لثراء التفسير المعاصر بضوابطه المرعية، ومعرفة جهود المفسرين القدامى، وبيان فضلهم.
ثالثاً: إظهار المعاني الواضحة التي تخدم النص القرآني دون تعصب ومساس بالثوابت الدينية المعروفة، والمحافظة على المراد الحقيقي من النص.
المنهج المتبع في البحث:

فقد اتبعتُ في هذه الدراسة المنهج الوصفي⁽²⁾، ثم المنهج التحليلي⁽³⁾.
وقد جاء هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، وستة مباحث، وخاتمة، وفهرس عام.
المقدمة: وفيها أسباب اختياره، والمنهج المتبع في البحث، وخطة البحث.
التمهيد: وفيه تعريف التعددية الفكرية لغة واصطلاحاً، وتعريفها باعتبارها اسماً مركباً.
المبحث الأول: التعددية الفكرية في اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر.
المبحث الثاني: التعددية الفكرية في اختلاف القراءات القرآنية.
المبحث الثالث: التعددية الفكرية في فهم حروف المعاني.
المبحث الرابع: التعددية الفكرية في احتمال الحقيقة والمجاز.
المبحث الخامس: التعددية الفكرية في احتمال العموم والخصوص.
المبحث السادس: التعددية الفكرية في احتمال الإطلاق والتقييد.
الخاتمة.
الفهرس العام: وفيه فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.
التمهيد

لقد اشتدت الحاجة إلى التعريف بالتعددية، ودورها في الحياة الفكرية بعد أن تتابعت النداءات لاعتناقها، وإيمان بأهميتها؛ خاصة وأن هذه الدعوة لم تقتصر على البيئة الأوروبية التي نشأت فيها، ولكنها امتدت إلى العالمين العربي والإسلامي، وحازت قبولاً عند بعض الباحثين⁽⁴⁾.

وفي التمهيد سأعرض لتعريف التعددية الفكرية لغةً واصطلاحاً، وكذلك التعريف بمصطلح التعددية الفكرية باعتبارها اسماً مركباً.

التعددية لغة: التعدد، خلاف التوحد، والياء للنسب، تلمها تاء التأنيث المربوطة، والتعددية مصدر صناعي⁽⁵⁾، ويلحظ في هذه المفردة "التعددية" لغويًا معنى التنوع، ويقابله "اللاتعددية"، ويمكن التعبير عنها بـ "الفردية"؛ فالتعددية على اسمها تعني التعدد، نقيض التفرد والتوحد.

التعددية اصطلاحًا: المذهب الذي يميل إلى التعدد والكثرة⁽⁶⁾، فالتعددية (Pluralism) نقيض الأحادية، وكلمة التعددية ظهرت كاتجاه فلسفي في الفكر الإنساني، له تجلياته وامتداده في جميع نواحي الحياة؛ فليست هي أطروحة ذات طابع نظري تجريدي؛ بل أضحت نمطًا في الفكر والممارسة، كأكثر مسائل الفلسفة الحديثة والمعاصرة⁽⁷⁾.

وأما وصف التعددية بـ "الفكرية" فهذا قيد يفيد أن التعددية هنا أساسها الفكر والمنهج، وبه تخرج التعدديات الأخرى؛ كالتعددية المذهبية، والسياسية، والعرقية، وغير ذلك⁽⁸⁾.

الفكر لغة: الفكر بالكسر تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعاني، ولي في الأمر فكرٌ أي: نظر وروية⁽⁹⁾، والفكر هو نشاط ذهني، وفيه إعمال للعقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول⁽¹⁰⁾، وفكر في الأمر فكرًا أي: أعمل العقل فيه، ورتب بعض ما يعلم ليصل به إلى مجهول و"التفكير" إعمال العقل في مشكلة للتوصل إلى حلها⁽¹¹⁾، والفكرة هي: تردد القلب في الشيء، يقال: تفكر، ورجل فكير: كثير الفكر⁽¹²⁾.

وقد وردت مادة "فكر" في القرآن الكريم في نحو عشرين موضعًا⁽¹³⁾، ولكنها بصيغة الفعل، ولم ترد بصيغة الاسم أو المصدر⁽¹⁴⁾؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾⁽¹⁵⁾، أي: إنه فكر في شأن النبي - ﷺ - وفي شأن ما أنزل عليه من القرآن، وقدّر في نفسه، واختلق ما يقول في طعنها من المقال، وهبأه مما يوافق غرض قريش⁽¹⁶⁾.

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾⁽¹⁷⁾ أي: فيما بيّن لكم من الآيات الدالة على وحدانيته وصدق رسوله، أو فيما ضرب لكم من مثل الأعشى والبصير وأنهما لا يستويان⁽¹⁸⁾.

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾⁽¹⁹⁾، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾⁽²⁰⁾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾⁽²¹⁾، وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾⁽²²⁾. ورجل فكير: كثير الفكرة، قال بعض الأدباء:

الفكرُ مقلوب عن الفكرك، لكن يستعمل الفكر في المعاني، وهو فرك الأمور وبحثها؛ طلباً للوصول إلى حقيقتها(23).

الفكر اصطلاحاً: عرّفه الدكتور طه جابر العلواني بأنّه: (اسم لعملية تردّد القوى العاقلة المفكّرة في الإنسان . سواء أكان قلباً أو روحاً أو ذهنًا . بالنظر والتدبُّر؛ لطلب المعاني المجهولة من الأمور المعلومة، أو الوصول إلى الأحكام، أو النسب بين الأشياء)⁽²⁴⁾ . ويمكن تعريف التعددية الفكرية اصطلاحاً بأنها: (تفاوت الناس في أفكارهم ووجهات نظرهم حول القضايا المختلفة، سواء كان الاختلاف على مستوى القضايا الدينية، أو على مستوى القضايا المدنية والعمرانية والنظم السياسية، وانقسامهم على إثر ذلك إلى كيانات فكرية متباينة)⁽²⁵⁾ .

المبحث الأول

التعددية الفكرية في اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر المقصود به الجمع بين المعاني المختلفة في لفظة واحدة؛ ومن ذلك اختلافهم في معنى كلمة ﴿قَسُورَةٌ﴾ الواردة في تفسير قوله تعالى ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسُورَةٍ﴾ (26).

فيه ستة تأويلات:

أحدها: أن القسورة الرماة، قاله ابن عباس، ومنه قول لبيد بن ربيعة: إذا ما هتَفْنَا هَتْفَةً فِي نَدِينَا ... أتانا الرجالُ العانِدون القساوِرُ الثاني: أنه القناص؛ أي الصياد، ومنه قول علي - عليه السلام -:

يا ناس إني مثل قسورةٍ ... وإنهم لعداء طالما نفروا

الثالث: أنه الأسد، قاله أبو هريرة، روى يوسف بن مهبران عن ابن عباس أنه الأسد بلسان الحبشة، قال الفرزدق:

إلى هاديات صعب الرؤوس ... فساروا للقسور الأصيد

الرابع: أنهم عصب من الرجال وجماعة، رواه أبو حمزة عن ابن عباس، ومنه قول الشاعر:

يا بنت لُؤَيٍّ خَيْرَةٌ لَخَيْرِهِ ... أحوالها في الحيِّ مثلُ القسورةِ

الخامس: أنه أصوات الناس، رواه عطاء عن ابن عباس.

السادس: أنها النبل، قاله قتادة(27).

والذي ينظر إلى قول ابن عباس واختلافه في تفسير كلمة ﴿قَسْوَرَةٍ﴾ يجده اختلافًا لفظيًا، وعنه: أنه أنكر أن يكون قسور اسم الأسد، فلعله أراد أنه ليس في أصل العربية، وقد عده ابن السبكي في الألفاظ الواردة في القرآن بغير لغة العرب، ومن بلاغة القرآن في هذه اللفظة القرآنية البديعة يقول ابن سيده: القسور الأسد، والقسورة كذلك، أنثوه كما قالوا: أسامة، وعلى هذا فهو تشبيهه مبتكر لحالة إعراض مخلوط برعب مما تضمنته قوارع القرآن، فاجتمع في هذه الجملة تمثيلان، وإيثار لفظ: ﴿قَسْوَرَةٍ﴾ هنا لصلاحيته للتشبيهين مع الرعاية على الفاصلة (28).

قال الإمام الألوسي-رحمه الله:- "وجمهور اللغويين على أنه الأسد، وأيًا ما كان، فقد شُبهوا في إعراضهم عن القرآن، واستماع ما فيه من المواعظ، وشرادهم عنه، بحمر وحشية جدت في نفاها؛ مما أفزعها، وفي تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة، وتهجين لحالهم" (29).

فالذي ينظر إلى معنى قوله: ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ يجد أن المعنى فيه خلاف، وهو في الحقيقة اختلاف تنوع، ولا يتنافى اجتماع هذه المعاني كلها، وهذا مما يؤدي إلى ثراء المعاني في اللفظة القرآنية الواحدة.

والذي يطالع كتب التفسير وعلوم القرآن يجد المصنفين الأوائل يبرزون القيمة العليا للتعددية الفكرية عندهم؛ بل يظهرونها على أنها الطريقة المتبعة في إبداء الرأي الصحيح الذي يخلو من التعصب، بحيث إذا ظهر رأي آخر تحتمله اللفظة القرآنية قالوا به أيضًا؛ شريطة اتفاهه مع الضوابط المعروفة.

يقول السيوطي-رحمه الله:- (فإن لم يتناف المعنيان يجب الحمل عليهما عند المحققين، ويكون ذلك أبلغ في الإعجاز والفصاحة، وأحفظ في حق المكلف، إلا أن يدل دليل على إرادة أحدهما، وهذا على ضربين:

أحدهما: أن تكون دلالته مقتضية لبطلان المعنى الآخر، فيتعين المدلول عليه للإرادة. **الثاني:** ألا يقتضي بطلانه، وهذا اختلف العلماء فيه؛ فمنهم من قال: يثبت حكم المدلول عليه، ويكون مرادًا، ولا يحكم بسقوط المعنى الآخر، بل يجوز أن يكون مرادًا أيضًا، وإن لم يدل عليه دليل من خارج؛ لأن موجب اللفظ عليهما، فاستويا في حكمه، وإن ترجح أحدهما بدليل من خارج، ومنهم من قال: ما ترجح بدليل من خارج أثبت حكمًا من الآخر؛

لقوته بمظاهرة الدليل الآخر، فهذا أصل نافع معتبر في وجوه التفسير في اللفظ المحتمل، والله أعلم(30).

وقال الزركشي-رحمه الله: (وكل لفظ احتمال معنيين فصاعداً، فهو الذي لا يجوز فيه لغير العلماء الاجتهاد، وعليهم اعتماد الشواهد والدلائل دون مجرد الرأي، فإن كان أحد المعنيين أظهر، وجب الحمل عليه، إلا أن يقوم دليل علي أن المراد هو الخفي، وإن استويا والاستعمال فيهما حقيقة، لكن في أحدهما حقيقة لغوية أو عرفية، وفي الآخر شرعية؛ فالحمل علي الشرعية أولى، إلا أن يدل دليل على إرادة اللغوية، ولو كان في أحدهما عرفية والآخر لغوية؛ فالحمل على العرفية أولى؛ لأن الشرع ألزم، فإن تناف اجتماعهما، ولم يمكن إرادتهما باللفظ الواحد، اجتهد في المراد منهما بالأمارات الدالة عليه، فما ظنه فهو مراد الله تعالى في حقه، وإن لم يظهر له شيء؛ فهل يتخير في الحمل على أيهما شاء، أو يأخذ بالأشد حكماً أو بالأخف...)(31).

فهذه قواعد مهمة، يجب على الذي يتعرض لتفسير كتاب الله - عز وجل- أن يأخذ بها، ويعطي لها اهتماماً كبيراً؛ لأن هذه القواعد تأخذه إلى تفسير منضبط.

فالذي ينظر إلى أقوال المفسرين، والتعددات الفكرية عندهم عندما فسروا كلام الله - عز وجل- نجدهم يفسرون الألفاظ القرآنية على وفق الضوابط المرعية، التي تخلو من الهوى والتعصب، وهم بذلك قد سلكوا الطريقة المثلى.

يقول الشيخ القيعي-رحمه الله:- (والطريقة المثلى في التفسير الرجوع إلى كلام الله ورسوله، وأصحابه من بعده، واللغة العربية التي هي لسان القرآن، وفقه مقتضى الألفاظ الذي يحصل بمعرفة عظمة المتكلم، ومعرفة السياق، وعدم مجافاة قواعد الدين المتفق عليها)(32).

وأخلص من هذا إلى أن المعاني الواردة في تفسير كلمة ﴿ قَسْوَرَةٌ ﴾ معاني لا تضاد فيها؛ لعدم مخالفتها للضوابط المعروفة عند أهل الفن، ولموافقتها لما جاء في لسان العرب، ودليل ذلك قول الإمام الشوكاني-رحمه الله:- (كل شديد عند العرب فهو قسورة، ومنه قول الشاعر:

يا بنت كوني خيرة لخيره ... أخوالها الجن وأهل القسورة)⁽³³⁾.

وكلام الإمام هنا يجمع كل هذه المعاني، والله أعلم.

المبحث الثاني

التعددية الفكرية في اختلاف القراءات القرآنية

ومثال ذلك اختلاف المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ (34)، ومرجع اختلافهم إلي اختلاف أوجه القراءات المتواترة في تسكين العين وضمّ التاء، وفي فتح العين وتسكين التاء في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾.

فالذي ينظر إلى التعددية الفكرية عند المفسرين في اختلافهم في توجيه القراءات القرآنية، وأثر ذلك على المعنى التفسيري يجد هذه التعددية تصب في معين واحد من الدقة في الفهم التي تتوافر فيه آليات منضبطة تجمع كل الآراء دون تنافر، أو ميل عن الصواب، وهذا ملاحظ جداً عندما نقف على أوجه القراءات الواردة في اللفظة القرآنية. القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ .

قرأ ابن عامر، وعاصم - رواية أبي بكر - ، ويعقوب ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ بسكون العين وضمّ التاء، وقرأ الباقر ﴿ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ بفتح العين وسكون التاء.

فمن قرأ: "والله أعلم بما وضعْتُ" جعله من كلام أمّ مريم، وإسكان التاء أجود في قوله: ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾؛ لأنها قد قالت: ربّ إني وضعتها أنثى فليست تحتاج بعد هذا أن تقول: والله أعلم بما وضعت(35)، وهذا فيه إشكال سيجاب عليه إن شاء الله تعالى.

فعلى قراءة ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾: بضمّ التاء تكون التاء للفاعل، وهي تاء المتكلمة أي بما وضعتُ، وعلي قراءة: ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾: بتسكين التاء تكون التاء للتأنيث أي: بما وضعتُ هي، والقراءتان متواترتان، وَمَنْ قَرَأَ ﴿ بِمَا وَضَعْتَ ﴾: بضمّ التاء فهو قول أم مريم وفعلها، وَمَنْ قَرَأَ ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾: بسكون التاء فهو إخبارُ الله - عزَّ وجلَّ - عن فعلها(36)، فضمّ التاء يقتضي أن الجملة من كلام أم مريم، وتاء التأنيث تقتضي أنها من كلام الله تعالى، وهذا كثير في القراءات المتواترة(37).

أما عن توجيه هاتين القراءتين:

أولاً: القراءة الأولى ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ بضمّ التاء من تمام كلام امرأة عمران قالتها اعتذاراً إلى ربها؛ لعجزها عن الوفاء بنذرهما، أو قالتها تسليةً لنفسها، لبيان أن الله في ذلك حكمة يعلمها، فالله عَزَّ وَجَلَّ يدبر أحوال الخلق وفق قدرته وإرادته وعلمه وحكمته.

ولقد توجه الإشكال إلي هذه القراءة بأنها لو كانت حكاية لكلام أم مريم وتامم خطابها لكان الأولى أن تقول: (رب إني وضعتها أنثى ، وأنت أعلم بما وضعتُ) ؟ ويمكن الإجابة علي هذا الإشكال بأن جملة ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ التفات من الخطاب إلي الغيبة والالتفات صورة رائعة من صور البلاغة (38) 0

ثانياً: وعلي القراءة الثانية ﴿ وَضَعْتَ ﴾ بسكون التاء: فهي جملة اعتراضية، وقد سيقت تعظيماً لشأن المولودة، وبياناً لعلو منزلتها، وسمو قدرها، اصطفاها الله وطهرها، وجعلها وابنها آية للعالمين، والجملة من كلام الله - عز وجل-، وليست من تمام كلام امرأة عمران، وفيه تنبيهٌ على عَظَمِ قَدْرِ هذا المولود، وأنَّ له شأنًا لم تعرفه، ولم تَعْرِفي إلا كونه أنثى لا غير، دون ما يؤول إليه من أمورٍ عظامٍ وآياتٍ واضحةٍ (39).

والقراءتان متواترتان ولا تناقض بينهما؛ فكل قراءة لها توجيه مفيد في فهم المعنى، وتعدد القراءات في الكلمة الواحدة مع اتفاق المعاني وانسجامها، وتكاملها، وجه من وجوه الإعجاز القرآني ولون من ألوان بلاغته.

هذا والمتأمل في اختلاف القراءات يجدها تختلف في اللفظ وتتفقان في المعنى مثل (الصراط والسراط) فالمعنى واحد، والحكمة في هذا النوع من الاختلافات تيسير القراءة على ذوي اللهجات المختلفة .

أو أن تضيف القراءة معنى جديداً لا يتعارض مع المعنى الأول ولا يناقضه فكلا المعنيين صحيح، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا ﴾ (40) قرئ ﴿ نُنْشِزُهَا ﴾، و (ننشرها)؛ لأن المراد في القراءتين العظام فقوله تعالى (ننشرها) (بمعنى نحییها، وقوله تعالى: ﴿ نُنْشِزُهَا ﴾ أي: نضم بعضها إلي بعض حتى تلتئم"، ولا تناقض بين المعنيين؛ لأن الله تعالى: إذا أراد بعث الخلائق ضم عظامهم بعضها إلى بعض ثم يحييها للجزاء " (41).

ومن هنا فلا يمكن أن يكون هناك تعارض بين قراءتين متواترتين؛ لأن كليهما وحيٌ من الله تعالى وكلام الله -عز وجل- منزّه عن التناقض والاضطراب .

المبحث الثالث

التعددية الفكرية في فهم حروف المعاني

بداية قبل الحديث عن التعددية الفكرية في فهم حروف المعاني أود أن أشير إلى معنى الحَرْف، والفرق بين حروف المباني وحروف المعاني؛ لأن علماء اللغة عندما يتحدثون عن حروف المباني والمعاني يفرقون بينهما، وهذا يلاحظ عند تعريف كلٍ منهما.

الحرف: هو من كل شيء طرفه وشفيره وحده، وهو واحد من حروف الهجاء، وسميت حروف التهجى بذلك؛ لأنها أطراف الكلمة، وتستعمل في معناها⁽⁴²⁾.

حروف المباني هي: هي الحروف الهجائية التي تبني منها الكلمة، وليس للحرف منها معنى مستقل في نفسه، ولا في غيره، ويطلق عليها حروف التهجى⁽⁴³⁾.

حروف المعاني هي: الحروف التي تربط الأسماء بالأفعال، والأسماء بالأسماء وتبين العلة التي من أجلها قيلت في الكلام مع أنها أكثر في الاستعمال وأقوم دورًا فيه⁽⁴⁴⁾، وأهل الكوفة يسمون حروف المعاني: الأدوات وأهل المنطق يسمونها: الرباطات⁽⁴⁵⁾.

وأخلص من هذا إلى: أن حروف المباني هي الحروف الهجائية التي تبني منها الكلمة العربية، فهي جزء من الكلمة، أما حروف المعاني فهي من أنواع الكلام. ثانيًا: حروف المباني حرف واحد، أما حروف المعاني تكون على حرف ك(همزة الاستفهام)، وحرفين ك(إن الشرطية)، وثلاثة أحرف ك(إلى).

ثالثًا: حروف المعاني يتبين معناها بغيرها؛ ولذلك يقال: حرف جاء لمعنى، وحروف المباني ليست كذلك.

رابعًا: حروف المباني ثمانية وعشرين حرفًا بينما حروف المعاني تزيد على الخمسين حرفًا. فقد يدل الحرف على أكثر من معنى؛ ومثال ذلك الباء في قوله عز وجل: ﴿

وَأَمْسَحُوا وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكُعْبَيْنِ﴾⁽⁴⁶⁾ هل هي للملاصقة أم

للتبعية؟ فليل إنها للملاصقة وقيل للتبعية، وقيل إنها مزيدة للتأكيد.

واختلفوا في مدلول باء الجر هنا فقيل: إنها للإلصاق، وقال الشافعي -رحمته- "إنها تفيده التبعية وبعض أهل اللغة قال: الباء قد تكون للتبعية، وأنكره أكثر النحاة حتى قال بعضهم: "وقال من لا خبرة له بالعربية، الباء في مثل هذا للتبعية وليس بشيء يعرفه أهل العلم، لكن رواية الإثبات راجحة فثبت أن الباء تفيده التبعية"، ومقدار ذلك البعض غير مذكور فوجب أن تفيده أي مقدار يسمى بعضًا، فوجب الاكتفاء بمسح أقل

جزء من الرأس، وقيل الباء في قوله: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ زائدة والتقدير: وامسحوا رؤسكم، وعلى هذه المفهومات ظهر الاختلاف بين العلماء في مسح الرأس⁽⁴⁷⁾.

قال القرطبي - رحمه الله تعالى - مرجحاً أن الباء مزيدة للتأكيد: "فلو كان معناها التبعية لأفادته في ذلك الموضع، وهذا قاطع، وقيل: إنما دخلت لتفيد معنى بديعاً وهو أن الغسل لغة يقتضي مفسوئاً به، والمسح لغة لا يقتضي ممسوحاً به، فلو قال: وامسحوا رؤسكم لأجزأ المسح باليد إمراراً من غير شي على الرأس، فدخلت الباء لتفيد ممسوحاً به وهو الماء، فكأنه قال: وامسحوا برؤسكم الماء، وذلك فصيح في اللغة"⁽⁴⁸⁾.

وعلى كل حال فقد دلت السنة أن مسح بعضه يجزئ، وهو أن النبي - ﷺ - مسح بناصيته، فكان هذا دليلاً على المطلوب غير محتمل كاحتمال الآية على فرض أنها محتملة، ولا شك أن من أمر غيره بأن يمسح رأسه كان ممتثلاً بفعل ما يصدق عليه مسمى المسح، وليس في لغة العرب ما يقتضي أنه لا بد في مثل هذا الفعل من مسح جميع الرأس، وهكذا سائر الأفعال المتعدية⁽⁴⁹⁾.

وإذا نظرنا إلى التعددية الفكرية، المترتبة على الخلاف الوارد في معنى الباء نجده خلافاً ثرياً وهذا ما يدل على أن الشريعة جاءت لدفع المشقة ورفع الحرج، ولا إجمال في قوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾، خلافاً للحنفية - أو

لبعضهم⁽⁵⁰⁾ - لتردده بين مسح كله وبعضه، ويئنه - عليه الصلاة والسلام - بفعله. وحقيقة اللفظ مسح كله عند أحمد ومالك⁽⁵¹⁾، وأصحابهما وغيرهم؛ لأن الباء - لغة -

زائدة لإلصاق المسح به، وحقيقة الرأس كله، كآية التيمم: ﴿فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾. وعند الشافعي⁽⁵²⁾ وأصحابه: يكفي مسح بعضه، وأما "الباء للتبعية" فلا يعرف لغة، وأنكره أهلها، وعندهم يؤخذ، فلا يقال: "شهادة نفي"، والمثبت عليه الدليل والأصل عدمه، وقال أبو المعالي⁽⁵³⁾: هو⁽⁵⁴⁾ خلف من الكلام⁽⁵⁵⁾.

وبعض الشافعية - واختاره صاحب المحصول⁽⁵⁶⁾ -: تفيد التبعية إذا دخلت على فعل يتعدى بدونها⁽⁵⁷⁾.

وتظهر التعددية الفكرية هنا في كلام الفقهاء والمفسرين في أن الباء في الآية الكريمة تفيد كونها أصلية، أو زائدة فكلا الرأيين صحيح لاستناد أصحاب هذه الآراء على أدلة صحيحة، ومنشأ الخلاف هنا اعتبار الباء زائدة، أو أصلية.

فإذا قلت أن الباء في هذه الآية جاءت زائدة فإنها تكون لتقوية تعلق العامل بالمعمول واعتبارها هنا زائدة أولى؛ لأن التركيب حينئذ يدل على مسح جميع الرأس، ويكون البعض داخلا في ذلك⁽⁵⁸⁾.

وإذا قلنا إنها للتبعيض فإن البعض لم يقدره الشافعية بمقدار معين، وقدره الأحناف بمقدار ربع الرأس أخذاً من حديث المغيرة بن شعبة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في سفر فنزل لحاجته ثم جاء فتوضأ ومسح على ناصيته⁽⁵⁹⁾ «: والناصية تساوي ربع الرأس. والسنة الصحيحة وردت بالبيان، وفيها ما يفيد جواز الاقتصار على مسح البعض في بعض الحالات كما في حديث المغيرة المتقدم، وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أنه مسح رأسه فأقبل وأدبر⁽⁶⁰⁾، وهذه هي التي استمر عليها صلى الله عليه وسلم فاقترضى هذا أفضلية الهيئة التي كان يداوم عليها، وهي مسح الرأس مقبلاً ومدبراً، وإجزاء غيرها في بعض الأحوال ولا يخفى أن الآية لا تفيد إيقاع المسح على جميع الرأس⁽⁶¹⁾.

المبحث الرابع

التعددية الفكرية في احتمال الحقيقة والمجاز

إن دراسة التعددية الفكرية عند المفسرين وغيرهم من الأمور الضرورية التي لا غني عنها؛ لمعرفة كيف نتعامل مع كتب التفسير، وغيرها من الكتب التي عنيت بذكر الخلاف ومعرفة المحمود منه والمذموم، وكيف نرد على أعداء ديننا الذين جعلوا من الاختلاف ذريعة للطعن في كتاب الله تعالى بل وجعلوا من الأقوال الشاذة والروايات الواهية ملمزاً ومُدخلاً لمطاعنهم وأباطيلهم.

ومن صور التعددية الفكرية في النص القرآني، احتمالية اللفظ الحقيقة والمجاز⁽⁶²⁾، وهذا يعد من الخلاف المحمود المتنوع، ومثال ذلك: اختلافهم في تفسير قوله تعالى: ﴿

وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾⁽⁶³⁾.

في قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾، أربعة أوجه: أحدها: أنها كانت تحتطب الشوك فتلقيه في طريق النبي -ﷺ- ليلاً قاله ابن عباس، فلذلك سميت حَمَّالَةَ الْحَطَبِ، وعلى هذا التأويل، ﴿حَمَّالَةَ﴾ معرفة يراد به الماضي، وقيل إن قوله: ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾، استعارة لذنوبها التي تحطبها على نفسها لآخرتها، ﴿حَمَّالَةَ﴾، على هذا نكرة، يراد بها الاستقبال، وقيل هي استعارة لسعيها على الدين والمؤمنين، كما تقول: فلان يحطب على فلان وفي حبل فلان، فكانت هي تحطب على المؤمنين وفي حبل المشركين⁽⁶⁴⁾.

الثاني: أنها كانت تعبر رسول الله -ﷺ- بالفقر، فكان يحطب فغيرت بأنها كانت تحتطب قاله قتادة.

الثالث: أنها كانت تحتطب الكلام وتمشي بالنميمة، قاله الحسن فسبي الماشي بالنميمة حمال الحطب؛ لأنه يشعل العداوة كما تشعل النار الحطب، والعرب تقول: فلان يحطب على فلان إذا نم به، ومنه قول الشاعر:

إِنَّ بَنِي الْأَدْرَمِ⁽⁶⁵⁾ حَمَّالُو الْحَطَبِ ... هُمُ الْوُشَاةُ فِي الرِّضَا وَفِي الْغَضَبِ

وقال آخر:

مَنْ الْبَيْضِ لَمْ تُصْطَدْ عَلَى ظَهْرِ لَأْمَةٍ ... وَلَمْ تَمْشِ بَيْنَ الْحَيِّ بِالْحَطَبِ وَالرُّطْبِ

وجعل الحطب في هذا البيت رطباً لما فيه من التدخين الذي هو زيادة في الشر، ومن الموافقة للمشي بالنميمة⁽⁶⁶⁾.

الرابع: أنه أراد ما حملته من الآثام في عداوة رسول الله -ﷺ-؛ لأنه كالحطب في مصيره إلى النار⁽⁶⁷⁾.

والمقصود بهذه الآية بيان حالها، وهي في نار جهنم، إذ تكون على الصورة التي كانت عليها في الدنيا، حينما كانت تحمل الشوك، إيداء لرسول الله -ﷺ-، فهي لا تزال تحمل حزمة من حطب النار، ولا يزال في جيدها حبل من سلاسلها، ليكون جزاؤها من جنس عملها⁽⁶⁸⁾.

وإذا نظرنا إلى القراءات الواردة في قوله: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾، سنجد التعددية الفكرية واضحة في فهم المراد، وأن كل المعاني محتملة، وهذا مما يزيد من ثراء المعاني في اللفظة الواحدة، فقرأ عاصم: ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾، بالنصب على الذم لها، وقرأ الباقون:

﴿ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾، بالرفع، فمن رفع جعله وصفاً لقوله: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ﴾، وعلى الخبر أي:

هي حمالة الحطب، ويكون قوله: ﴿حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾، خبراً بعد خبر⁽⁶⁹⁾.

وعلى تلك القراءتين يظهر الفرق بين تعدد الأوصاف المذمومة بهذه المرأة - امرأة أبي لهب - فقراءة النصب تنصرف على أنها مذمومة معينة مخصوصة بهذا الوصف القبيح الذي يضاهاها، أو الذي يناسبها ويشاكلها بأنها حمالة الحطب، وقراءة الرفع على أنها خبر لامراته، ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾، هذا إخبار من الله - سبحانه وتعالى - عن هذه المرأة، ومعلوم أن القراءات وإن اختلفت إلا أنها تؤدي إلى معنى واحد، أو تنوع المعنى دون اختلاف، فمعلوم أن القراءات لا تتعارض، أي: لا تعارض بينها وإنما تخدم في المعنى الموجه إليه⁽⁷⁰⁾.

وفي النهاية أقول: المجاز فرع عن الحقيقة؛ لأن الحقيقة استعمال اللفظ فيما وضع دال عليه أولاً، والمجاز استعمال اللفظ فيما وضع دال عليه ثانياً، لعلاقة بين مدلولي الحقيقة والمجاز⁽⁷¹⁾، وعلى هذا المعنى نخلص إلى أن المعاني الواردة في اللفظة القرآنية سواءً كانت حقيقة، أو مجازاً لا تضاد بينها؛ لأن كل هذه الأقوال تعتمد على أدلة وليست عن هوى فيأخذ بأيهما، ولا يضرنا إذا رجح بعض العلماء تفسيراً على تفسير لعل ترجيحه هذا يكون لدليل ثبت عنده وترجح لديه.

المبحث الخامس

التعددية الفكرية في احتمال العموم والخصوص

بداية أود أن ألفت نظر القارئ الكريم إلى أن الذين كتبوا في العموم والخصوص من الذين تخصصوا في علوم القرآن والدراسات القرآنية، لم يخرجوا بكتاباتهم عن علم أصول الفقه بل هي من وجهة نظري نسخ مكررة لما هو موجود في كتب علم الأصول، إلا ما ندر، والعموم والخصوص الذي هو موجود في علوم القرآن، يتعلق في الغالب بعلم الأحكام الشرعية.

وإنني إذ أتحدث عن التعددية الفكرية من هذه الزاوية، أتحدث عنها باعتبار أن الأصوليين والمتخصصين في الدراسات القرآنية، كتبوا عنها باعتبارها شيئاً واحداً، لم

يذكروا فيه خلافاً، وهذا مما يؤكد التعددية الفكرية حتى في التأليف والتصانيف، ومن النماذج القرآنية المحتملة للعموم والخصوص اختلافهم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ (72).

على ثلاثة أقاويل: أحدها: أنها في جميع المشركات الكتابيات وغير الكتابيات، وأن حكمها غير منسوخ والثاني: أنها نزلت مراداً بها مشركات العرب، ومن دان بدين أهل الكتاب، وأنها ثابتة لم ينسخ شيء منها قاله قتادة، والثالث: أنها عامة في جميع المشركات، وقد نسخ منهن الكتابيات⁽⁷³⁾.

قال الإمام الطبري رحمه الله بعد ما ساق عدة أقوال: "وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قاله قتادة: من أن الله تعالى ذكره عنى بقوله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ من لم يكن من أهل الكتاب من المشركات، وأن الآية عام ظاهرها، خاص باطنها، لم ينسخ منها شيء وأن نساء أهل الكتاب غير داخلات فيها، وذلك أن الله تعالى ذكره أحل بقوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾⁽⁷⁴⁾ للمؤمنين من نكاح محصناتهن، مثل الذي أباح لهم من نساء المؤمنات"⁽⁷⁵⁾.

قال الإمام أبو منصور الماتريدي -رحمه الله-: "الآية تضمنت أحكاماً منها: أن الآية كيف كان حملها على الخصوص في بعض أحق، والعموم في بعض ومخرج الخطابين واحد"⁽⁷⁶⁾.

﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ﴾ نزلت في أبي مرثد الغنوي كانت له خليفة مشرقة فلما أسلم سأل رسول الله ﷺ: أيجز له أن يتزوج بها؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية و﴿الْمُشْرِكَاتِ﴾ ها هنا عامة في

كل من كفرت بالنبى -ﷺ- حرّم الله تعالى بهذه الآية نكاحهن ثم استثنى الحرائر الكتابيات بالآية التي في المائدة (77) ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ...﴾ ، وأخرج عبد بن حميد عن حماد قال: سألت إبراهيم عن تزويج اليهودية والنصرانية، فقال: لا بأس به. فقلت: أليس

الله يقول: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَنَّ﴾ قال: إنما ذاك المجوسيات وأهل الأوثان⁽⁷⁸⁾.

وخلاصة القول أنها ليست بمنسوخة، ولا ناسخة، بل هي عامة في جميع المشركات، وما أخرج عن عمومها من إباحة فدليل خاص، وهو قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ...﴾، فهذه خصصت عموم تلك من غير نسخ، وعلى هذا عامة الفقهاء⁽⁷⁹⁾.

أقول والأصل بقاء العام علي عمومه ما لم يرد له مخصصاً والله أعلم.

المبحث السادس

التعددية الفكرية في احتمال الإطلاق والتقييد

المطلق والمقيد من المسائل المشتركة بين أصول الفقه وعلوم القرآن الكريم؛ ولا يخفى أثر هذه المسألة سواء على الأحكام الفقهية أو فيما يتعلق بتفسير القرآن الكريم، فالإطلاق هو: اللفظ الدال على الماهية بلا قيد» والمقيد هو: اللفظ الدال على الماهية مع قيد من قيودها⁽⁸⁰⁾.

ومن التعددية الفكرية في النص القرآني اختلاف المفسرين في الإطلاق والتقييد، فقد يري بعض المفسرين بقاء المطلق على إطلاقه، وبعضهم قال: من الممكن أن يقيد هذا المطلق بقيد ما، ومثال ذلك: عتق الرقبة في كفارة اليمين وكفارة الظهار فقد وردت مطلقة في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾⁽⁸¹⁾.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ذَلِكَ تُوَعِّظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾⁽⁸²⁾ وقيدت هاتان الآيتان بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾⁽⁸³⁾.

فإذا نظرنا إلى التعددية الفكرية عند المفسرين في حمل المطلق على المقيد في القرآن نجدهم مختلفين فبعضهم يبقي المطلق على إطلاقه، وبعضهم يقيده بدليل، قال مقاتل عند تفسيره لآية المائدة ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي رقبة «سواء أكان المحرر» يهوديًا أو نصرانيًا أو مجوسيًا أو صابئيًا فهو جائز⁽⁸⁴⁾.

قال السمرقندي - رحمه الله - : "ولم يشترط هاهنا المؤمنة، فيجوز الكفارة بالكافرة والمؤمنة:⁽⁸⁵⁾".

قال ابن عطية - رحمه الله -: "قال جماعة من العلماء: هذه رقبة مطلقة لم تقيد بإيمان فيجوز في كفارة اليمين عتق الكافر، وهذا مذهب الطبري وجماعة من العلماء، وقالت فرقة كل مطلق في القرآن من هذا فهو راجع إلى المقيد في عتق الرقبة في القتل الخطأ فلا يجزئ في شيء من الكفارات كافر، وهذا قول مالك رحمه الله وجماعة معه"⁽⁸⁶⁾.

والظاهر حصول الكفارة بتحرير ما يصدر عليه رقبة من غير اعتبار شيء آخر فيجزئ عتق الكفار وبه قال داود وجماعة من أهل الظاهر، وقال أبو حنيفة يجزئ الكافر ومن به نقص يسير من ذوي العاهات، واختار الطبري أجزاء الكافر⁽⁸⁷⁾.

وقال الشافعي - رحمه الله -: الرقبة المجزية في الكفارة كل رقبة سليمة من عيب يمنع من العمل، صغيرة كانت أو كبيرة، ذكرا أو أنثى، بعد أن تكون مؤمنة، ولا يجوز إعتاق الكافرة في شيء من الكفارات، ولا إعتاق المكاتب، ولا شراء القريب⁽⁸⁸⁾ ولا يجزئه إلا مؤمنة إن أعتق⁽⁸⁹⁾ ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ ، أي: مؤمنة قاله مالك وجماعة⁽⁹⁰⁾؛

لأن هذا المطلق راجع إلى المقيد في عتق الرقبة في قتل الخطأ⁽⁹¹⁾، فحمل بعض المفسرين المطلق على المقيد، وقالوا: لا تجزئ الرقبة الكافرة، وأبقى بعضهم المطلق على إطلاقه، والأولى بقاء المطلق على إطلاقه ما لم يرد ما يقيده، وإذا دار اللفظ بين الإطلاق والتقييد فإنه يحمل على الإطلاق؛ لأن الأصل بقاء الشيء على ما كان عليه.

الخاتمة

أولاً: ظاهرة التعدد في الآراء والأفكار والنظريات، والتصورات بين بني البشر ظاهرة أزلية غارقة في القدم، يعود تاريخها إلى ميلاد الكائن البشري على وجه الأرض، وهي كذلك ظاهرة طبيعية وواقعية وفطرية، وذلك نتيجة لاختلاف مراتب العقول، وتناقض المصالح، وتقويم الأحداث، وتفسير النصوص والتعاليم والأفكار بطريقة متغيرة.

ثانيًا: التعددية كانت موجودة في عصر الأئمة المتبوعين، ولم يروا فيها شرًا ولم يحاول أحد منهم أن يحمل الآخرين على رأيه بالعنف، أو يتهمهم في علمهم أو دينهم من أجل مخالفتهم له، بل كان التعدد موجودًا في عصر شيوخ الأئمة وشيوخ شيوخهم، من التابعين الكبار والصغار من تلاميذ الصحابة، وموجودة أيضًا في عصر الصحابة، نظرًا لتعدد أفهامهم وتفسيرهم للنصوص، أو لاتجاهاتهم في التشديد والتخفيف أو الحزم والتيسير.

ثالثًا: التعددية الفكرية لم تكن في ذات الدين ولا في لبّ الشريعة، ولكنها تعددية في فهم بعض نصوصه، وفي تحقيق كليّاتها على الفروع، وكل المختلفين مُجمعون على تقديس نصوص القرآن، فهو تعدد لا يتناول الأصل، ولكنه تعدد في الفروع؛ حيث لا يكون دليل قطعي حاسم للخلاف.

رابعًا: معظم تعدد أقوال المفسرين في التفسير راجع إلى اختلاف التنوع، وليس اختلاف التضاد، ومن الطبيعي جدًّا أن يكون هناك تعدد في الآراء والأفكار، شريطة أن تكون هذه الآراء والأفكار منضبطة بضابط الشرع، وليس لها أي مآرب أخرى. خامسًا: إن التعصب بجميع أشكاله، ومحاربة فكر وآراء الآخر، والعمل على فرض آراء الذات بأي وسيلة لن يحقق إلا تمزيق الأمة وتفتيت وحدة المجتمع المسلم، وإضعاف الروح المعنوية.

مراجع البحث

أولًا القرآن الكريم

1. الإتيان في علوم القرآن المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: 1394هـ/1974م.
2. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ ابن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ) ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: 739 هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الأولى، 1408 هـ - 1988 م.
3. اختلاف الأئمة العلماء المؤلف: يحيى بن (هَيْبَة بن) محمد بن هبيرة الذهلي الشيباني، أبو المظفر، عون الدين (المتوفى: 560هـ) المحقق: السيد يوسف أحمد الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت الطبعة: الأولى، 1423هـ - 2002م.

4. الأصطلان في علوم القرآن المؤلف: أ. د. محمد عبد المنعم القيعي رحمه الله دون ذكر للناسخ الطبعة: الرابعة 1417هـ - 1996م.
5. أصول الفقه المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: 763هـ) حققه وعلق عليه وقدم له: الدكتور فهد ابن محمد السدحان الناشر: مكتبة العبيكان الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م.
6. الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم - جامعة المدينة (ص: 224). المرحلة: بكالوريوس المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية الناشر: جامعة المدينة العالمية.
7. الأم المؤلف: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ) الناشر: دار المعرفة - بيروت الطبعة: دون طبعة سنة النشر: 1410هـ/1990م.
8. البحر المحيط في التفسير المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ) المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر - بيروت الطبعة: 1420 هـ.
9. البرهان المؤلف: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: 478هـ) المحقق: صلاح بن محمد بن عويضة الطبعة: الطبعة الأولى 1418 هـ - 1997 م الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
10. البرهان في علوم القرآن المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، 1376 هـ - 1957 م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.
11. التحرير والتنوير المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: 1984 هـ.
12. التعددية الدينية رؤية نقدية د. محروس محمد محروس بسيوني، أستاذ مساعد قس الدعوة والثقافة الإسلامية جامعة قطر.
13. التعددية الفكرية في الدولة الحديثة خالد بن عبد الله المزيني 22/10/2017 الإسلام والآخر، العدد 62، قضايا فكرية 2965.
14. تفسير ابن كثير المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت الطبعة: الأولى - 1419 هـ.
15. تفسير الرازي المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - 1420 هـ.

16. تفسير القرطبي المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م.
17. التفسير الوسيط المؤلف: للأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة الطبعة: الأولى 1997م.
18. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، المؤلف: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي الناشر: دار طوق النجاة، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.
19. تفسير مقاتل بن سليمان المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى: 150هـ) المحقق: عبد الله محمود شحاته الناشر: دار إحياء التراث - بيروت الطبعة: الأولى - 1423 هـ.
20. التيسير في أصول واتجاهات التفسير المؤلف: عماد علي عبد السميع الناشر: دار الإيمان - الإسكندرية تاريخ النشر: 2006م.
21. الجواهر الحسان في تفسير القرآن المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: 875هـ) المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى - 1418 هـ.
22. الحجة للقراء السبعة المؤلف: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أبو علي (المتوفى: 377هـ) المحقق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجابي راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت الطبعة: الثانية، 1413 هـ - 1993م .
23. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون مؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد ابن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: 756هـ) المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط الناشر: دار القلم، دمشق.
24. الدر المنثور في التفسير بالمأثور المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) الناشر: دار الفكر - بيروت.
25. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، 1415 هـ.
26. زاد المسير في علم التفسير المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الأولى - 1422 هـ.

27. سنن الترمذي المؤلف: محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ) المحقق: بشار عواد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت سنة النشر: 1998 م.
28. فتح القدير المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - 1414 هـ.
29. كشف الأسرار المؤلف: عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي (المتوفى: 730هـ) الناشر: دار الكتاب الإسلامي الطبعة: دون طبعة ودون تاريخ.
30. الكفارات أحكام وضوابط المؤلف: د. عبد الرقيب صالح محسن الشامي الناشر: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت الطبعة: الأولى، 1439 هـ - 2018 م.
31. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريبي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ) المحقق: عدنان درويش - محمد المصري الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.
32. لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي (المتوفى: 711هـ) الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - 1414 هـ.
33. المبسوط في القراءات العشر المؤلف: أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري، أبو بكر (المتوفى: 381هـ) تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي الناشر: مجمع اللغة العربية - دمشق عام النشر: 1981 م.
34. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر المؤلف: ضياء الدين بن الأثير، نصر الله ابن محمد (المتوفى: 637هـ) المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة. القاهرة.
35. مجلة جامعة طيبة: للأداب والعلوم الإنسانية، السنة السادسة، العدد 12 1438 هـ.
36. مجمل اللغة المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ) دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الثانية - 1406 هـ - 1986 م.
37. محاسن التأويل المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ) المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - 1418 هـ.
38. المحصول المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الثالثة، 1418 هـ.
39. المخصص المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: 458هـ) دون

ذكر سنة الطبع.

40. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ) الناشر: المكتبة العلمية - بيروت.
41. معاني القراءات للأزهري المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ) ناشر: مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1412 هـ - 1991 م.
42. معجم اللغة العربية المعاصرة المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م.
43. المعجم الوسيط المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة.
44. المغني المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: 620هـ) الناشر: مكتبة القاهرة الطبعة: دون طبعة.
45. مفاتيح العلوم المؤلف: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: 626هـ) ضبطه وكتبه هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الثانية، 1407 هـ - 1987 م.
46. المفردات في غريب القرآن المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى - 1412 هـ.
47. مفهوم التعددية الفكرية تقسيمًا وتأصيلًا على ضوء السياسة الشرعية، مجلة التأصيل للدراسات والبحوث للدكتور/ خالد بن عبدالله بن علي المزني العدد الثاني 2010م.
48. مقال: تعريف الفكر د. سمير مثنى علي تاريخ الإضافة: 2016/10/29 ميلادي - 1438/1/2 هجري زيارة: 55242.
49. المنهجية في إعداد الرسائل والأبحاث ، للدكتور/ صلاح الدين فوزي، الناشر: دار النهضة العربية، القاهرة، دون طبعة 1999م.
50. المورد عربي انكليزي روجي البعلبكي الناشر دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة 11، 1999م.
51. الموسوعة القرآنية خصائص السور المؤلف: جعفر شرف الدين المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي الناشر: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية - بيروت الطبعة: الأولى - 1420 هـ.
52. النكت والعيون المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي،

الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ) المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم الناشر:
دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

53. الوجيز المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي
(المتوفى: 468هـ) تحقيق: صفوان عدنان داوودي دار النشر: دار القلم ، الدار الشامية -
دمشق، بيروت الطبعة: الأولى، 1415 هـ.

الهوامش:

(1) ينظر: التعددية الفكرية في الدولة الحديثة خالد بن عبد الله المزيني 22/10/2017 الإسلام
والآخر، العدد 62، قضايا فكرية 2965.

(2) هو: الذي يعتمد على المعلومات والحقائق عن موضوع معين، ووضعها في قالب محكم
ومكتمل، على أن يواكب الدراسة الوصفية محاولة لتفسير المعلومات التي تم تجميعها ووصفها
ينظر: المنهجية في إعداد الرسائل والأبحاث (1/139).

(3) هو: المنهج الذي يتم من خلاله دراسة الإشكالات العلمية المختلفة، ويعد هذا المنهج ملائماً
للعلوم الشرعية بشكل كبير ينظر: المرجع السابق (1/142).

(4) ينظر: مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، السنة السادسة، العدد (12)
1438هـ، التعددية الدينية رؤية نقدية د. محروس محمد محروس بسيوني (1/412)، أستاذ مساعد-
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية- جامعة قطر.

(5) المصدر الصناعي: ما انتهى ببناء مشددة وتاء مأخوذ من المصدر كالفروسيّة، أو من أسماء
الأعيان كالخشيّة، أو من المشتقات كالقابليّة، أو من الأدوات كالمهية والكيفية، ينظر: معجم اللغة
العربية المعاصرة (2/1324).

(6) ينظر: المورد عربي انكليزي (ص 336).

(7) ينظر: التعددية الدينية رؤية نقدية (1/415).

(8) ينظر: مفهوم التعددية الفكرية تقسيماً وتأصيلاً على ضوء السياسة الشرعية، مجلة
التأصيل للدراسات والبحوث للدكتور/ خالد بن عبد الله بن علي المزني العدد الثاني 2010م.

(9) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (2/479).

(10) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (3/1734).

(11) ينظر: المعجم الوسيط (2/698).

(12) ينظر: مجمل اللغة لابن فارس (1/704).

(13) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (ص 525).

- (¹⁴) ينظر: مقال: تعريف الفكر د. سمير مثنى علي تاريخ الإضافة: 2016/10/29 ميلادي - 1438/1/2 هجري زيارة: 55242.
- (¹⁵) سورة المدثر 74 الآية 18
- (¹⁶) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (30/ 396).
- (¹⁷) سورة الأنعام 6 الآية 50.
- (18) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (2/ 31).
- (19) سورة الروم 30 الآية 8.
- (20) سورة الأعراف 7 الآية 184.
- (21) سورة الرعد 13 الآية 3.
- (22) سورة البقرة 2 الآيتان: 219، 220.
- (23) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص: 643).
- (24) ينظر: الأزمة الفكرية، طه جابر العلواني: (ص 27).
- (²⁵) ينظر: مفهوم التعددية الفكرية تقسيمًا وتأصيلًا على ضوء السياسة الشرعية، مجلة التأصيل للدراسات والبحوث للدكتور/ خالد بن عبدالله بن علي المزني العدد الثاني 2010م.
- (²⁶) سورة المدثر 74 الآية 51.
- (²⁷) ينظر: النكت والعيون (6/ 149)، والدر المنثور في التفسير بالمأثور (6/ 286)، وزاد المسير في علم التفسير (4/ 366)، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون (10/ 558).
- (²⁸) يراجع: التحرير والتنوير (29/ 330).
- (²⁹) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (15/ 148)، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (9/ 63).
- (³⁰) ينظر: الإتيقان في علوم القرآن (4/ 219)، والبرهان في علوم القرآن (2/ 168).
- (³¹) ينظر: البرهان في علوم القرآن (2/ 166، 167)، والإتيقان 4/ 218.
- (³²) ينظر: الأصولان في علوم القرآن (ص: 122).
- (³³) ينظر: فتح القدير للشوكاني (5/ 400).
- (³⁴) سورة آل عمران 3 الآية 36.
- (³⁵) ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص: 162)، والحجة للقراء السبعة (3/ 31).
- (³⁶) ينظر: معاني القراءات للأزهري (1/ 251).
- (³⁷) ينظر: البحر المحيط في التفسير (10/ 113).
- (³⁸) ينظر: الدر المصون (3/ 135).

- (39) ينظر: الدر المصون (3/ 135).
- (40) سورة البقرة الآية: 259.
- (41) ينظر: القراءات في نظرالمستشرقين والملحددين(1/ 15)، ويراجع القراءات أحكامها ومصادرها(1/ 131).
- (42) يراجع: الكليات (ص: 393).
- (43) يراجع: المعجم الوسيط (1/ 167).
- (44) ينظر: المخصص (4/ 225).
- (45) ينظر: مفاتيح العلوم (ص: 63).
- (46) سورة المائدة 5 الآية 6.
- (47) ينظر: مفاتيح الغيب (1/ 96)، والبحر المحيط (4/ 190)، وتفسير القرآن العزيز (3/ 44).
- (48) ينظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن (6/ 88).
- (49) ينظر: فتح القدير للشوكاني (2/ 21).
- (50) خالف بعض الحنفية في ذلك. ينظر: كشف الأسرار (1/ 83، 2/ 169).
- (51) ينظر: المغني (1/ 93).
- (52) ينظر: الأم (1/ 41).
- (53) ينظر: البرهان (2/ 129).
- (54) يعني: كونها للتبعيض.
- (55) الخُلف: الرديء من القول. ينظر: لسان العرب (9/ 85).
- (56) ينظر: المحصول (1/ 379).
- (57) ينظر: أصول الفقه لابن مفلح (3/ 1004).
- (58) يراجع: التفسير الوسيط (4/ 61).
- (59) ينظر: سنن الترمذي (1/ 161) كتاب الطهارة باب ما جاء في المسح على العمامة حديث رقم (100).
- (60) ينظر: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (3/ 358)، كتاب الطهارة باب سنن الوضوء حديث رقم (1077).
- (61) يراجع: محاسن التأويل (4/ 67).
- (62) الحقيقة هي: اللفظ الدالّ على موضوعه الأصلي، وأما المجاز فهو: ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة، وهو مأخوذ من جاز من هذا الموضوع إلى هذا الموضوع، إذا تخطّاه إليه، ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (1/ 84).
- (63) سورة المسد 111 الآية 4.

- (64) ينظر: المحرر الوجيز (5/ 535).
- (65) الدَّرْمُ: استِواءُ الكَعْبِ وعَظْمِ الحَاجِبِ ونحوه إذا لم يَنْبَيِزْ فهو أَدْرَمٌ، والفعل دَرِمَ يَدْرِمُ فهو دَرِمٌ. ودَرِمٌ: اسم رجل من بني شيبان. ينظر: العين (8/ 35).
- (66) ينظر: فتح القدير للشوكاني (5/ 628).
- (67) ينظر: تفسير الماوردي (6/ 367)، وجامع البيان (24/ 678)، والجامع لأحكام القرآن 20 / 239 ، وفتح القدير (5/ 628).
- (68) ينظر: الموسوعة القرآنية خصائص السور (12/ 285).
- (69) ينظر: حجة القراءات (ص: 776)، والمبسوط في القراءات العشر (ص: 480).
- (70) ينظر: الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم (ص: 224).
- (71) ينظر: التيسير في أصول واتجاهات التفسير (ص: 77).
- (72) سورة البقرة 2 الآية 221.
- (73) ينظر: النكت والعيون (1/ 281).
- (74) سورة المائدة 5 الآية 5.
- (75) ينظر: جامع البيان (4/ 365).
- (76) ينظر: تأويلات أهل السنة (2/ 123).
- (77) ينظر: الوجيز للواحدي (1/ 166).
- (79) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (1/ 189) ، ومفاتيح الغيب (6/ 411)، والجامع لأحكام القرآن (3/ 71).
- (80) ينظر: الأحكام للآمدي (2/ 162)، ومختصر ابن الحاجب مع حاشية السعد (2/ 155)، وإرشاد الفحول (1/ 164).
- (81) سورة المائدة 5 الآية 89.
- (82) سورة المجادلة 58 الآية 3.
- (83) سورة النساء 4 الآية 92.
- (84) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (1/ 500).
- (85) ينظر: بحر العلوم (1/ 415).
- (86) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/ 231).
- (87) ينظر: البحر المحيط (4/ 354).
- (88) ينظر: مفاتيح الغيب (12/ 421).

(89) ينظر: الهداية الى بلوغ النهاية (3/1857).

(90) ذهب الجمهور، ومنهم مالك، والشافعي، وأحمد في مشهور مذهبه، والأوزاعي: إلى أن عتق الرقبة الكافرة في كفارة اليمين لا يجزىء، ولا تسقط الكفارة به وذهب الإمام أبو حنيفة، وأصحابه، والثوري، وعطاء، وأبو ثور إلى أن ذلك مجزىء، ومسقط للكفارة، وهو رواية عن الإمام أحمد، احتج الجمهور بما رواه مسلم، والنسائي عن معاوية بن الحكم قال: «كانت لي جارية فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: علي رقبة. أفأعتقها؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: أين الله؟ فقالت في السماء فقال: من أنا؟ فقالت: أنت رسول الله. فقال صلى الله عليه وسلم: أعتقها، فإنها مؤمنة»، فإنه عليه الصلاة والسلام علّق عتقها على الإيمان، وتعليق ذلك يدل على أن الإيمان علة الإجزاء؛ لأن تعلّق الحكم بالمشق مؤذن بأن مبدأ الاشتقاق علة فيه، وقالوا: إن الرقبة في الآية، وإن كانت مطلقة غير مقيدة بوصف الإيمان، إلا أن هذا الحديث يصلح أن يكون مقيداً لها، فيكون المقصود من الرقبة فيها: هي الرقبة المؤمنة، واحتج الإمام أبو حنيفة، ومن معه بأن الآية غير مقيدة، فهي شاملة للرقبة المؤمنة، وللرقبة الكافرة، والمطلق يجب بقاؤه على إطلاقه، حتى يرد من الشرع ما يقيد، ولم يرد ما يقيد الرقبة بالإيمان هاهنا، فكانت باقية على إطلاقها، فعتق الكافرة مجزىء كعتق المسلمة، وبالنظر في وجهة كل نجد أن مذهب الجمهور هو الراجح، لأن الحديث المتقدم مقيد للآية، فلم تبق على إطلاقها ولأن الكفارة عبادة يتقرب بها إلى الله عز وجل، فوجب أن تكون خاصة بأهل عبادته من المؤمنين كمال الزكاة، وذبائح النسك، فتقديم المجمع عليه المتيقن إجزاؤه أولى بالاعتبار من المظنون المختلف فيه، ينظر: اختلاف الأئمة العلماء 2/384، الكفارات أحكام وضوابط 1/60.

(91) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن (2/417).

التكرار الصوتي لدى ابن إسحاق: دراسة أسلوبية لغوية

إعزاز:

د. مرتضى إبراهيم (Dr. Murtala Ibrahim)

معهد السلطان محمد ماثو للقرآن والدراسات العامة، صكتو. قسم القرآن وعلومه.

murtalaibrahim773@gmail.com/+2348060686457

وعمر صحاب (Umar Sahabi)

كلية الشيخ الشاغري للتربية، صكتو قسم اللغة العربية.

Sahabiumar729@gmail.com/+2347066644915

الملخص

هذه المقالة بعنوان: التكرار الصوتي لدى ابن إسحاق: دراسة أسلوبية لغوية. ترمي إلى دراسة أسلوب التكرار الصوتي لدى الشاعر في إنتاجاته الشعرية، مع مراعاة المعاني المستفادة خلال هذا التكرار. وتناول الباحثان في المقالة نبذة تاريخية عن حياة الشاعر، ثم التكرار الصوتي ووظائفه. ثم انطلق إلى الخاتمة والنتائج والتوصية. اتبع الباحثان منهج الوصف والتحليل في هذه الدراسة وذلك باستخراج هذا التكرار الوارد في الأبيات المدروسة مع شرحه ودراسته، دراسة أسلوبية لغوية، لتوضيح بغية الشاعر في هذا التكرار. كما أن في التكرار الصوتي: تكرار الحرف وتكرار الصيغة، وتكرار الجناس الناقص. وقام هذا التكرار في أشعاره قياما محمودا في توضيح الجانب الإيقاعي في نصوص شعره، معبرا عن صلة الإيقاع بالمعنى. ولاحظ الباحثان في هذه الدراسة، أن التوكيد هو الوظيفة البارزة للتكرار، كما أن هناك دلالات متعددة في التكرار غير التوكيد، كالتفخيم، والتعظيم، والانسجام والاتساق، وغير ذلك.

المقدمة:

الحمد لله حمدا يليق بجلاله، والصلاة والسلام على خير من نطق بالضاد وعلى آله وصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد: فقد شهدت خلافة صكتو نهضة علمية وحركة فكرية إسلامية عبر تاريخها في القرون الماضية من لدن الشيخ عثمان بن فودي إلى هذا القرن، وأتت هذه النهضة أكلها بإذن ربها، إذ وُجد جمع غفير من العلماء في ميادين الفنون العلمية الإسلامية واللغوية،

ومن بينهم ابن إسحاق، حيث كانت هذه المقالة تهدف إلى إلقاء مزيد من الأضواء على إنتاجاته الشعرية، ولفت الأنظار إلى ناحية جديدة من هذه الإنتاجات وهي دراسة التكرار الصوتي في ثوب جديد يختلف عن دراسته الأولى لدى النقدة والبلغاء. وهذه المقالة تناول التكرار الصوتي في إنتاجات الشيخ ابن إسحاق، وتهدف إلى دراسة التكرار الصوتي من حيث تكرر الصيغة، وتكرار الحرف، وتكرار الجناس الناقص، وذلك عند اللغويين المحدثين. وسوف نتحدث المقالة عن التعريف بالشاعر ثم تعريف التكرار الصوتي على الإيجاز والاختصار، ثم دراسة أنواعه مع التحليل اللغوي. التعريف بالشاعر: اسمه ونسبه ونشأته. تعلمه، وشيوخه، وتلامذته، وإنتاجاته، ووفاته

اسمه: "هو الشيخ عثمان بن إسحاق المشهور بكنيته: "طن إسحاق" بن عمر التُّوردي، نسبة إلى جده عثمان بن توردي، ولقب بالشيخ كالعادة عند الهوسا والفلايين في نيجيريا تكريماً لاسم الشيخ عثمان بن فودي".¹ نشأته: "نشأ الأستاذ عثمان بن إسحاق نشأة علمية بين أقرانه، وفي بيئة تهتم بالعلم والثقافة العربية الإسلامية، نشأ وهو شديد الحرص على تحصيل العلم ولا يشغله شاغل عن ذلك، وقد رزق البصيرة النافذة وحدة الذاكرة، والذكاء النادر، حتى صار مضرب المثل في إتقان العلوم في عصره".² وتتفق المصادر والمراجع على أنه فلاني النسب التوردي من تُوْرُنْكاوا.

تدرج في سلم التعليم على حسب النظام المتبع ومعمولاً به في مدينة صكتو، ختم القرآن وحذقه أولاً، ثم نهض لطلب العلوم الدينية والعربية. "قرأ في التوحيد والفقه كتاب أصول الدين للشيخ عثمان بن فودي، ثم كتاب الأخضري والمنظومة القرطبية، و متن العشماوي، ثم قرأ المقدمة العزية والرسالة لأبي زيد القيرواني، ثم مختصر الخليل، وفي التفسير قرأ تفسير الجلالين للسيوطي والمحلي، وغيره من كتب التفسير، كما تعلم علم الحديث دراية ورواية، وأما في النحو والصرف، فقد قرأ كتاب الأجرومية أولاً، ثم ملحّة الإعراب، فقطر الندى وبل الصدى، فشذور الذهب، ثم ألفية ابن مالك وشروحها، ثم الحصن الرصين للشيخ عبد الله بن فودي وغيرها من الكتب الموجودة".³

إن الشيخ عثمان بن إسحاق تتلمذ بين يدي علماء عصره، وسيذكر الباحث بعضاً من الأساتذة الذين أخذ عنهم العلم لعدم وقوفه على كل من أخذ عنه: "تعلم ابن إسحاق على كثير من العلماء وعلى رأس هؤلاء الشيخ أبوه الأستاذ إسحاق بن عمر، كان عالماً تقياً عابداً متفناً. ومنهم الشيخ عيسى ابن الشيخ عثمان بن فودي الذي فاق أقرانه في الفطنة والذكاء وغيرهما."⁴

كان للشيخ عثمان بن إسحاق تلاميذ كثيرة أخذوا عنه علوماً وفنوناً شتى، واثقفوا ثقافة إسلامية عربية، وقاموا بنشرها في هذه البلاد.

ومنهم الإمام محمد لأبُ بن علي أخو عبد الله، كان عالماً بالفنون من فقه وأصول، وعربية، وكان حافظاً للقرآن الكريم. ومنهم سركنُ يَمَنُ كُورِي مَأَلَمُ بَايَرُو بن عيسى بن الشيخ عثمان فودي. ومنهم العالم الملقب بجيكنُ أُوْرُ دَجِي.⁵

وكان ابن إسحاق آية في تحقيق العلوم، وألف في معظم الفنون تواليف تدل على رسوخ قدميه فيها كفتح اللطيف في علم التصريف، شرح لكتاب مري الصدى، للشيخ محمد بن صالح الفلاني المغربي، وهو مطبوع في مجلد واحد. شرح الفريدة في النحو للسيوطي⁶. والكشف والبيان لأوصاف كبير أبناء الشيخ عثمان في هذا الومان، (الديوان) مطبوع وموجود في مكتبة الباحث الخاصة.⁷

أشار الدكتور ناصر أحمد إلى وفاة ابن إسحاق حكاية عن الوزير جنيد قائلاً: "توفي الشاعر على ما يرجحه الوزير جنيد في زمن أمير المؤمنين أبي بكر العتيق، وذلك سنة: 1873 - 1877م".⁸ ويختلف هذا الرأي ما أشار إليه الدكتور محمد حبيب محمد، وأبو المدرسة عبد الرحمن مثطو من أن ابن إسحاق توفي في خلافة أمير المؤمنين عمر بن علي وله من العمر أربع وستون سنة. ويميل الباحث إلى رأي الدكتور ناصر أحمد صكتو، لأن الباحث سأل بعض العلماء عن هذه الاختلاف وأثبتوا الرأي الأول.

التعريف بالتكرار الصوتي:

التكرار الصوتي: "هو تكرار يكون في الوزن أو في الجناس الناقص، أو في الحروف، ليؤكد به المبدع المعنى ويرسخه في ذهن المتلقي"⁹، وهو أيضاً "ذو فاعلية موسيقية إيقاعية لا يقتصر على الدلالة المرتبطة بالصيغة والتركييب في النص فحسب، بل

يتجاوزها إلى غاية مهمة وهي الصوتية الصرفية التي تربط بالبعد الإيقاعي المؤثر في نفس المتلقي¹⁰.

ويحقق التطابق بين سطح النص وواقعه، ويدعم الترابط النصي، ويبرز إيقاعية نغمية من خلال الحروف المسجعة أو الأوزان، والأصوات المتقاربة والمماثلة في الكلمات والجمل.

وأما أنواعه: فثلاثة وهي: تكرار الوزن، وتكرار الجناس الناقص، وتكرار الحروف في الديوان.

ويدرس الباحث تكرار الوزن، في بعض الأوزان الصرفية التي وردت في الديوان، ثم يتناول تكرار الجناس الناقص للدراسة في بعض الكلمات المتغيرة في بعض الحروف، لإبراز الإيقاع الصوتي والإثراء الدلالي، ثم يدرس تكرار الحروف، من حروف الجر والنداء والاستفهام ونحوها.

تكرار الصيغة

وأما تكرار الوزن فهو "الذي يهتم بالتشاكل الصوتي في الإيقاع بين الكلمات الموزونة الواردة في النص، وهذا التشاكل يحدث نغمة إيقاعية في داخل النص، ولها أثر في الربط بين لبنات النص، والتماسك في النص من خلال استمرارية القرع على ذلك الوزن في أرجاء النص"¹¹.

ويثبت ذلك التكرار الصوتي الذي أحدثه تكرار الوزن الفكرة التي يريد أن يعبر عنها الشاعر في ديوانه، ويبدو ذلك جليا في عناية الشاعر بسبك هذه الأوزان في بنية النص.

وهو تكرار "معيار أو ميزان يتخذ أساسا لمجموعة من الكلمات، ويتبين من خلالها أصل الكلمة وما يعتمدها من تغيير كزيادة ونقصان"¹².

وهذا المبحث يهتم بالوزن من حيث أصل حروف الكلمة وزوائدها، ويهتم بالإيقاع الصوتي المنتج بين تلك الأوزان ودلالاتها، لما في تكرارها من دور فعال للربط بين لبنات الجملة في النص، وإبراز مقصود المبدع.

فجاءت الأوزان المختلفة في الديوان، حيث استعمل الشاعر هذه الأوزان لأغراض عديدة، ومن هذه الأغراض التماسك في أجزاء النص، والتطور الدلالي فيه، وتوكيد

بعض الصفات الحميدة لأبناء الشيخ عثمان بن فودي، الممدوحين في الديوان، ونفي الصفات الذميمة لهم، والتشاكل في الإيقاع الصوتي، وتطريب الأذن لاستماع هذا الإيقاع، ونفي الرتابة والضجر والسامة في قراءة قصائد الديوان ودراستها، وجعل الفرح للمستمع حين يستمع إليها.

ويقوم الباحث بتعيين مبحث من المباحث الثلاثة، فيأتي بما يمسه من التوضيح، ثم يتبع قصائد الديوان ليستخرج ما له علاقة بالمبحث، ويحصيها عددا، ثم يحاول في تحليلها تحليلا مناسباً مع ربط العلاقة بين الأبيات المكررة وهدف الشاعر في القصيدة.

وتم اختيار بعض الأوزان التالية لورودها بالكثرة في بعض قصائد الديوان وهي: (فَعُول - فُعُول - فَعِيل - فَعَلْ)

أتى وزن "فَعُول" في قصائد مختلفة من الديوان لكن كثر وروده في القصيدة الرابعة، ولذلك اختارها الباحث تمثيلاً لدراسته لهذا الوزن.

وزن: فَعُول" في الدراسة اللغوية، يأتي مصدراً ويأتي صيغة من صيغ المبالغة، وصفة مشبهة حيث أشار إلى ذلك سيبويه في باب المصادر على "فَعُول"، ك"توضأت ووضوء حسنا وأولعت به ولوعاً"¹³ وقال محمد الرضى: "ولم يأت الفعل بفتح الفاء مصدراً لإخمسة، توضأت ووضوء وتطهرت طهوراً"¹⁴.

وكذلك يأتي الوزن للمبالغة لقول المبرد: "وَمِنْ هَذِهِ الْأَنْبِيَةِ "فَعُول" نَحْو: ضَرُوبٌ وَقَتُولٌ وَرُكُوبٌ تَقُولُ هُوَ ضَرُوبٌ زَيْدًا إِذَا كَانَ يَضْرِبُهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ"¹⁵، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

"ضَرُوبٌ بَنَصَلِ السِّيفِ سُوْقَ سِمَانِهَا * إِذَا عَدِمُوا زَادُوا فَأَنْكَ عَاقِرٌ"¹⁶

وقال ابن مالك: "إذا قصد التكثر والمبالغة بما هو من أسماء الفاعلين على وزن "فَاعِل" عدل به إلى "فَعُول" كشكور"¹⁷. ومن أمثلة ذلك قول الشاعر في مدح أحمد الرفاعي¹⁸:

وَتَشَتْ بِالْمَلِكِ الْبَا ** ذِلِّ لِلْمَالِ النَّفُوسِ
نَيْلَ أَيَّامِكَ حَيْرٌ ** وَسُرُورٌ وَكُتُوسُ
وَسَرَّارِي وَجَوَّارٍ ** وَثِيَابٌ وَفُروسُ
وَجَمَالٌ وَبِغَالٌ ** ثُمَّ تَيْجَانُ تُرُوسُ
وَخَيُْولٌ وَإِمَاءٌ ** وَعَبِيدٌ وَفُلُوسُ

لَا يُرَى فِيهَا انْقِبَاضٌ ** وَأَنْكِمَاشٌ وَعَبُوسٌ

وَفَقِيرٌ وَعَظِيمٌ ** وَمُطِيعٌ وَحُبُوسٌ

دُمْتَ فِي الْقَوْمِ مُجِيرًا ** مَا بَدَتْ فِيهَا شُمُوسٌ¹⁹

كرر الشاعر في الأبيات السابقة وزن "فَعُولٌ"، بدلالات مختلفة في قوله: (النفوس)، جمع نفيس، وهو كل شيء له خطر وقدر فهو نفيس ومنفس؛ قَالَ النَّمِرُ بْنُ تَوْلَبٍ:

"لَا تَجْرَعِي إِنْ مُنَفِسًا أَهْلَكْتُهُ * فَإِذَا هَلَكْتُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ فَاجْرَعِي"²⁰

ويدل (النفوس) على الجمع، وهو الغالب الشائع لدى النحاة والصرفيين له. وأتى هذا الوزن في قوله: "عَبُوسٌ" بفتح العين وضم الباء، من عبس، للمصدر أي كثير العبوس، يقال: "عَبَسَ الرَّجُلُ يَعْبِسُ عَبُوسًا: أَي كَلَحَ، للمبالغة"²¹. وفتح العين وضم الباء، "عَبُوسٌ" من عبس يعبس، والمصدر "عبوساً". ليفيد أصل الكلمة. ثم انتقل الشاعر من الصفة المشبهة إلى وزن (فُعُول) للجمع في قوله: (فروس) جمع فرس، و(خيول) جمع خيل، و(فلوس) جمع فلس، و(تروس) جمع ترس، و(حبوس) جمع حبس، و(شموس) جمع شمس. وعدل الشاعر من جمع "أفراس" للفرس، و"أحباس" للحبس، و"أتراس" للترس، و"أخيال" للخيل. و"شُمس" للشمس، و"كاسات" للكأس، إلى صيغة "فُعُول"، لأن في اختيار صيغة "فُعُول"، وتركاً لصيغة "فُعُل، وأفعال"، فيه سرٌّ، ذلك بأن صيغة "فُعُول" أقوى وأجمل من غيرها في تشكيل موسيقية كاملة وإيقاع لذيذ في الأذن، ولتدل على كثرة هذه الأسماء لأنها جاءت في جمع الكثرة، واختيار هذه الصيغة على غيرها يوحى بأن للممدوح شرفاً ومجداً وكرماً لا مثيل له، والإشارة إلى المجد والكرم يستحضر في قلب المتلقي هيبة أحمد الرفاعي، وتشخيصها في نفس المستمع.

ويأتي وزن "فُعُول" كذلك لاسم الفاعل، كقول الشاعر:

صَبُورٌ صَدُوقٌ عَادِلٌ مُتَدَيِّنٌ ** تَقِيٌّ نَقِيٌّ طَفْرَسٌ لَيِّنٌ الصَّوْدِرِ

وَصَوْلٌ رَجِيمٌ عَادِلٌ مُتَدَيِّنٌ ** تَقِيٌّ نَجِيبٌ ذُو الدِّيَانَةِ وَالشُّكْرِ

كَرُورٌ إِذَا نَادَى الْمُضَافُ مُحْتَبًا ** كَسِيدِ الْقَضَا حَتَّى يُصَانَ مِنَ الْأَسْرِ

كَرُورٌ عَلَى جَمْعِ الْعِدَى إِذْ تَحَامَلُوا ** وَجَاوَلَتِ الْأَبْطَالُ فِي الْمُسْلِكِ الْوَعْرِ

وهناك عدول من الصفة المشبهة إلى اسم المبالغة فيما يلي: "صبور - صدوق - وصول - كرور" أي "صابر، وصادق، واصل، كار". وظف الشاعر هذا الوزن للدلالة على اسم

الفاعل للمبالغة والحدث، من حيث إن المعنى يعود إلى المخاطب ولو عدلت الألفاظ إلى الصفة المشبهة أو المبالغة، لكن المتحدث عنه هو الممدوح، وعدل الشاعر إلى الصيغة لأنها تحقق من الإيقاع الصوتي ما لا يحققه اسم الفاعل، ولأن الممدوح يتصف بالصفات المدلولة في الوزن اتصافا مبالغا مستمرا، لأنه يصبر في معاملته للناس ويصدق في أفعاله وأقواله، ويصل رحمه، ويكر كرا في المعركة، لأن من عادة السعداء الاتصاف بمكارم الأخلاق.

ثم "فعيل":

ووزن فعيل يأتي في الصفة المشبهة، كما يرى الرضي أن فعيلاً في الصفة المشبهة أكثر ما تصاغ من المضعف والمنقوص اليائي حيث قال: "ويجئ "فعيل" فيما حقه "فعل" كسقيم ومريض، ومجئ "فعيل" في المضاعف والمنقوص اليائي أكثر، كالطبيب واللييب"²²

ومن هذه الأوزان: وزن "فعيل" وقد طغى هذا الوزن في الديوان، ليدل على معان كثيرة، ولذلك اختاره الباحث من القصيدة التي مدح بها عبد القادر بن عبد الله بن فودي، ويأتي هذا الوزن بمعان عديدة في علم الصرف، ومعرفة حقيقة مدارها يكون عند علماء الصرف، لكن الباحث يريد أن يبين الدور الذي يدور عليه هذا الوزن من الإيقاع الصوتي، ولذلك اختار بعضاً من الأمثلة ليوضح الدور الذي تدور عليه من النغمة الصوتية في الديوان. كقول الشاعر في مدح عبد القادر بن عبد الله بن فودي:

وَمِنْهُمْ جَلِيلُ الْقَدْرِ فَائِقُ قَرْنِهِ ** نَدَى وَجَدَى وَتَقَى وَنُصْرَةَ ذِي الْجَائِرِ
كَبِيرُ بَنِي بَحْرِ الْعُلُومِ مُحَمَّدٌ ** أَبُو الْمُصْطَفَى الْمَشْهُورُ بِالْعِزِّ وَالْقَهْرِ
وَبِالْعِلْمِ وَالْجِلْمِ الْكَثِيرِ وَبِالتَّقَى ** وَبِالْجُودِ وَالْخَيْرِ الْعَمِيمِ وَبِالنَّصْرِ
يَلِيهِ الْفَتَى بَحْرُ النَّدَى وَاسِعُ الْجَدَى ** خَلِيلُ النَّبِيلِ الْعَيْثُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرِ
وَصَوْلُ رَجِيمٍ عَادِلٌ مُتَدَيِّنٌ ** تَقِيٌّ نَجِيبٌ ذُو الدِّيَانَةِ وَالشُّكْرِ
أَدِيبٌ أَرِيبٌ عَابِدٌ مُتَنَسِّكٌ ** وَمِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ أَقْطَابِنَا الْغُرِّ
يَلِيهِ الْفَتَى بَحْرُ الْعُلُومِ غَضَنْفَرٌ ** كَرِيمُ الْكِرَامِ اللَّيْثُ فِي الْمُلتَقَى الْوَعْرِ
سَلِيقُهُمْ طَلَقُ الْيَدَيْنِ شَمَزْدَلٌ ** خَلِيقُ بَيْكَلِ الْمَجْدِ وَالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ
عَلِيٌّ لَهُ الْعُلْيَا عَلَى مَنْ لَهُ الْعُلَا ** سَلِيلُ أَدِيبِ الْقَوْمِ عَلَامَةُ الْعَصْرِ

وَمِنْهُمْ أَدِيبٌ الْحَيِّ نَجْلُ أَدِيبِنَا * وَأَدْبَانُنَا الْبَحْرُ ابْنُ بَحْرِ أَخِي الْبَحْرِ²³

ويمثل وزن "فعيل" الذي جاء في "جليل-كبير-كثير - العميم - خليل - النبيل - رحيم - نجيب - أديب - أريب - قريب - بعيد - هشيما - كريم - سليق - خليق - علي"، صورة القصيدة من حيث التماسك الصوتي، كما يبدي ذلك في قول الشاعر، ثم اتخذ هذا الوزن وسيلة للدلالة على كثير الخير، والهبة، والعطية، والصدقة، وكثرة العلم والتقوى، والحلم، والغلبة على أعداء الإسلام في المعركة. وجاءت هذه الصيغة أو الوزن في القصيدة على معان مختلفة، ومنها: الصفة المشبهة وهي: "لفظ مصوغ من مصدر اللازم للدلالة على الثبوت"²⁴، أي تدل الصفة المشبهة على ثبوت الصفة للموصوف، بحيث لا تنفك عنه أبدا، إلا لعارض، ومثالها في الصفة المشبهة: (كبير - خليل - النبيل - العميم - كريم - سليل - أديب - قريب - بعيد - علي - رحيم). وعدل الشاعر إلى هذه الصيغة بدلا من سائر صيغ الصفة المشبهة هنا للإلحاح على إثبات السيادة مع الكرم للممدوح، ولأن الإيقاع أضبط وأقوى في القصيدة، لأنه يشكل غاية يُنتهى إليها وتنتظرها الأذن، بيد أن الصيغة تثبت لمن يُمدح في الوقت نفسه صفات لا يقوم بها إلا أشداء العزيمة الأقوياء، وهي: "العميم - قريب - بعيد - علي" فهو يوظف هذا الإثبات المتكرر في الوزن لعقد نوع من المقابلة بين القوة النفسية والرحمة القلبية، لأن السيد لا بد من اتصافه بهاتين الصفتين، لتكون السيادة نافعة للريعية. فضلا عن تناسب الإيقاعي الناشئ من ذلك التكرار الوزني مما أدى إلى وجود إحداث نغمة موسيقية.

ويرد وزن "فعيل" أيضا للمبالغة وهي: "ما تشتق من الفعل الثلاثي اللازم أو المتعدي للدلالة على معنى الفاعل مع تأكيد المعنى وتقويته والمبالغة فيه"²⁵ كقول الشاعر:

عَرِيفٌ مِنَ الْعُرَفَاءِ سَيِّدُ قَوْمِهِ * لَبِيبٌ نَجِيبٌ طِفْرُسٌ لَيْنُ الصَّدْرِ

نَصِيحٌ مِنَ النَّصَحَاءِ نَاصِحٌ قَوْمِهِ * قَرِيبٌ بَعِيدٌ ذِي الْفُجُورِ وَذِي الْبِرِّ

صَدِيقٌ مِنَ الصُّدَقَاءِ أَصْدَقُ قَوْمِهِ * مَقَالًا وَأَوْفَى ذِمَّةً صَافِي الْفِكْرِ

فَصِيحٌ مِنَ الْفُصَحَاءِ أَفْصَحُ قَوْمِهِ * وَسَخْبَانُ وَإِلَيْهِمْ وَأَبْدَلُ لِلْخَيْرِ

بَلِيغٌ مِنَ الْبُلْغَاءِ أَبْلَغُ قَوْمِهِ * عَلِيٌّ مَنَارُ الْقَدْرِ دُو الصَّيْتِ وَالذِّكْرِ²⁶

وكذلك في عدول الصيغة "فعيل" فيما يلي: (عريف - نصيح - صديق - فصيح - بليغ)، العريف: كثير المعرفة والعلم. النصيح: أي الناصح، والمخلص في وده. الصديق:

الصاحب الأمين في الودّ. الفصيح: الذي يحسن البيان. وظف الشاعر صيغة المبالغة هنا خمس مرات توظيفاً مكرراً رائعاً، يعتمد على الموازنة بين تكرار الوزن، وتكرار هذه الصفات للممدوح، إشارة إلى عدم وجود ضدها من الصفات المذمومة، وتكرار النصيحة لمن حاد عن سواء السبيل، وتكرار الصداقة والخلة مع الناس، وتكرار فصاحة لسانه أمام الناس، وتكرار بلاغته إذا أراد الإبلاغ، هذا الذي أدى الشاعر إلى تكرار الوزن إرادة لمبالغة الممدوح في تلك الصفات المثبتة له، فلما وسمه بهذه السمات بصيغة المبالغة أرشدت إلى أنها راسخة في أحواله و متمكنة منه لأن هذه الصيغة أبلغ وأثبت من اسم الفاعل.

فَعَلٌ:

ويأتي هذا الوزن ليشير إلى الصفة المشبهة باسم الفاعل، ويأتي كذلك في الاسم المجرد، ومن تكرار هذه الوزن قول الشاعر في مدح أمير المؤمنين أحمد الرفاعي رحمه الله:

فَمِنَ الشَّيْخِ لِلَّذِي ** هُوَ كَالْبَحْرِ فِي الْكَرْمِ
أَلْفُ أَلْفِي تَحِيَّةٍ ** تَفْتَضِي الْكُتُبَ بِالْقَلَمِ
الرُّفَاعِيِّ الَّذِي حَوَى الـ ** فَخَرَ وَالْمَجْدَ وَالْكَرْمِ
قَدَّ بَرًا مِنْ سِقَامِهِ ** وَافْتَنَى الْمَالَ وَالْخَدَمِ
وَأَرْتَوَى مِنْ صَدَى النَّوَى ** وَاعْتَنَى وَاجْتَنَى النَّعَمِ
كَيْفَ يَا قَوْمَ يَسْتَوِي ** جَامِدُ الْكَفِّ ذُو الْكَرْمِ
إِنَّهُ بَحْرُ نَائِلٍ ** مَوْجُهُ الْخَيْلُ وَالنَّعَمِ
وَالْجَوَارِي مَعَ الْبَرَا ** نِسِ وَالْإِبِلِ وَالْخَدَمِ
يَا عَفَاةَ الْبِلَادِ يَا ** طَالِبِي الْعُرْفِ وَالْكَرْمِ
أَحْمَدِ نَجْلِ قُطَيْبِنَا ** إِنَّ شَيْخَ الْهُدَى الْعَلَمِ
وَمُطِيعٍ وَمُلْجِدٍ ** وَسَمِيعٍ وَذِي صَمَمِ
وَبَصِيرٍ وَضِدِّهِ ** ذِي كَلَامٍ وَذِي بَكَمِ
لَا نَسِيَتَ الَّذِي وَعَدَ ** تَ لِيَتَلَمَّيْكَ الْأَحَمِ
الرُّفَاعِيُّ الرَّفِيعُ ذُو ** الرَّفْعَةِ الْعِزِّ وَالْقَدَمِ
بِشَفِيعِ الْوَرَى الْهُدَى ** سَيِّدِ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ²⁷

كرر الشاعر هذا الوزن ثلاث عشرة مرة، ليثبت هذه الصفات لمن يوصف بها، وهو الممدوح. ووظف وزن "فَعَلٌ" ليبدل على اسم مجرد كقوله: "الكرم - القلم - العلم - القدم - العجم - القدم)، وظف الاسم المفرد ليجعل الممدوح قويا في عزمته مقتنعا بما أعطاه الله، راضيا بما قسمه الله عليه، فكأن الشاعر يقول إن الممدوح يقوم بأعمال متعددة تجاه الرعية، ليؤدي واجباته.

وقد أتى الوزن مصدرا كقوله: "صَمَمَ - بَكَمَ"، اختار الشاعر المصدر هنا للدلالة على نفي صفة الذم عليه، واستعمال المصدر في هذا الموقف أقوى وأبلغ في النفي من استعمال المشتق، مما يوحي إلى كثرة المحبين للممدوح بخلاف استخدام المشتقات، لأن نفيه لأكبر العيب دال على عدم قبول الممدوح ما هو أدنى منه.

ووظف الشاعر الوزن جمعا في قوله: "الخدَمَ - النعمَ"، للتعبير عن الغرض العم وهو كثرة الخدام والنعمة للممدوح، وإن كان يعبر الشاعر عما يكرهه في قلبه من استحقاق ممدوحه لتلك الصفة أو المحبة المخلصة التي يبذلها له، ويبدو ذلك في قوله: وثقت بالملك البازل ** للمال النفوس.

"فَعَلٌ"

وكرر الشاعر وزن "فَعَلٌ" بكسر الفاء في قوله:

نَجَلِ عُثْمَانَ فُوْدِي ** ضَيِّغَمِ كَامِلِ الشَّيْمِ
فَاقَ جُودًا مَعَ التُّقَى ** كَلَّ مَنْ كَانَ ذَا هِمَمِ
فَاشْكُرُوا اللَّهَ وَاحْمَدُوْا ** لِتَقْدِيْمِهِ الْخِضَمِ
بَحْرِ جُودِ مَعَ النَّدَى ** بَاسِطِ الْكَفِّ كَالدِّيَمِ²⁸

عدل الشاعر من صيغة "فَعَلٌ" إلى "فَعَلٌ فيما يلي: (الشَّيْمِ - هِمَمِ - الْخِضَمِ - الدِّيَمِ)، ليبدل على ثبوت الهمة والمجد.

تكرار الجناس الناقص

ويكون بتكرار حروف الكلمة أو بعضها في كلمة أخرى مجاورة لها في سياق النص، وذلك لخلق الإيقاع الصوتي المناسب في النص، ولجلب انتباه السامع إلى بناء النص ومضمونه، وهذا التكرار يكون في بعض الحروف بين الكلمات، ولا يدل على جذر الكلمة وأصلها واشتقاقاتها بل يكون بين الكلمات المتباعدة معني، أو المتجاورة صوتا.

وتكرار الجناس الناقص "يقوم بإبراز اختلاف الحروف في بناء الكلمة، وترتكز إذاً هذه النقطة على عدم اتفاق بعض الحروف بين الكلمات"²⁹، ويثبت تكرار الجناس الناقص في كلمات القصائد قدرة الشاعر في الاستثمار اللغوي، مما أكسب النص خصوبة وطرية وثناء، ويجاوز بمتلقيه حد السامة والضجر، ويزيد على ذلك كله في تماسك النص وتلاحمه وتلاصقه.

مثال ذلك قول الشاعر في مدح عبد القادر بن عبد الله:

أَدِيبٌ أَرِيبٌ عَابِدٌ مُتَنَسِّكٌ ** وَمِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ أَقْطَابِنَا الْغُرِّ
وَمِنْهُمْ كَبِيرُهُمْ تَفَا قَدْ كَفَى شَفَا ** صَفَا وَضَفَا ظِلًّا مَدِيدًا عَلَى الْغَيْرِ³⁰

كرر الشاعر الجناس الناقص في قوله: (أديب - أريب)، وبين اللفظين اختلاف بين الدال والراء، من حيث أن اللفظ الأول فيه الدال والثاني فيه الراء، ومعنى "أديب" من الأدب أي مثقف، ومعنى "أريب" من الأرب، أي ذكي ماهر متبصر. (كفى - شفا - صفا - ضفا)، وتختلف هذه الألفاظ، في الكاف والشين والصاد والضاد، من أن معنى "كفى" من الكفاية، و"شفا"، من الشفو أي الظهور والطلوع. وإن كان من "شفى" من الشفاء أي البرأ من المرض ووجود العافية.

وكذلك في مدح عمر بن محمد البخاري:

فَهَاكَ نِظَامِي وَحُسْنُ كَلَامِي ** وَبَلَّغَ سَلَامِي لِمَنْ يَنْفُلُ
فَقُلْ لِسَمِيرِي يُبَلِّغُ أَمِيرِي ** بِمَا فِي ضَمِيرِي وَلَا يَنْكُلُ
تَفَانِي الْخِيَارُ وَجَمَّ الضَّرَارُ ** وَبَانَ الْغِيَارُ فَمَنْ يَرْحَلُ
إِمَامٌ هُمَامٌ جَوَادٌ غَمَامٌ ** كَرِيهُ النَّزَالِ الْفَتَى الْبَاسِلِ
جَمِيلٌ جَلِيلٌ جَزِيلٌ اللَّهُيُّ ** سَلِيلُ الْكِرَامِ الَّذِي يَعْدُلُ
عَمِيدٌ حَمِيدٌ نَجِيدٌ سَعِيدٌ ** تَلِيدُ الْكِرَامِ الْفَتَى الْقَاضِلُ
وَهَشُّ بَشِيرِ ضَحُوكُ عَتُوقُ ** صَمِيمٌ عَمِيمٌ الْجَدَى نَائِلُ
وَجَذْلَانُ لَا مُفْشَعِرُ عَبُوسٌ ** حَبُوسٌ وَلَا مَائِنُ مَائِلُ
رَفِيقٌ صَدُوقٌ شَفِيقٌ وَثِيقٌ ** طَلِيقُ الْمُحْيَا الْفَتَى الْوَاصِلُ
تَقِيٌّ نَقِيٌّ زَكِيٌّ حَيِيٌّ ** قَوِيٌّ كَمِيٌّ وَلَا يَخْمِلُ³¹

و(سمير – أمير - ضمير)، الفرق بين الألفاظ السين والهمزة والضاد، وأصل "سمير" سَمَرٌ، وهو الذي يجالسك ويحدثك في الليل، والأمير: ملك أو حاكم، والضمير: ما يضمه الإنسان في نفسه. و(الخيار - الغيار)، الفرق في الخاء والغين، والخيار: الأفضل، والغيار: من يشعر بالغيرة على أهله. و(إمام – همام - غمام)، الفرق في الهمزة الهاء والغين، والإمام: كبير القوم، وهمام: السيد الهمام، والغمام: سحاب أبيض. و(جميل - جليل - جزيل - سليل)، الفرق في الجيم واللام والزاي والسين، و(عميد - حميد)، الفرق في العين الحاء، و(حميم - عميم)، الفرق في الحاء والعين، و(عبوس - خبوس)، الفرق في العين والحاء، (مائن – مائل)، الفرق في النون واللام، و(تقي - نقي)، الفرق في التاء والنون. وظف الشاعر الجناس الناقص في القصيدة التي مدح بها عمر بن محمد البخاري، للتشاكل الصوتي فيها، إشارة إلى تنوع الاشتقاقات فيها، مما أدى إلى الإيقاع الصوتي والدلالي في النص، وأظهره بمظهر متسق ومنسجم، وهذا يبرز أن الإيقاع الصوتي الواقع في الجناس الناقص إيقاع يقوم على انتظام الحركة بين صنف من الكلمات، وبينها تجانس صوتي مما يؤدي إلى تكثيف المعنى، ويزيل الرتابة عن المستمع، ويسبك النص ويقوي نسجه وتلاحمه.

وقال الشاعر في مدح عمر بن أمير المؤمنين أبي بكر العتيق:

سَرِيٌّ سَخِيٌّ عَلِيٌّ حَفِيٌّ ** صَفُوحٌ نَصُوحٌ لِأَهْلِ السَّفَرِ
وَمَنْ بَعْدَ ذَا صَاحٍ بَلَغَ سَلَامِي ** لِذَاكَ الْأَدِيبِ الْحَبِيبِ الْأَبْرُ
وَعَلَامَةِ الْعَصْرِ بَحْرِ الْعُلُومِ ** اللَّيْبِيبِ النَّجِيبِ النَّقِيبِ الْأَعْرُ³²

و(شريف - ظريف)، الفرق بينهما في الشين والطاء، و(سري - سخي)، الفرق في الراء والحاء، و(الحيب - الليب)، والفرق في الحاء واللام، و(النجيب – النقيب)، والفرق في الجيم والقاف.

كرر الشاعر الكلمات المختلفة الحروف في هذه الأبيات، والغرض من هذا التكرار المدح، والفخر للممدوح، ويفيد تثبيت الأمر في ذهن المتلقي المخاطب، ويفيد تكرار صفات عجيبة للممدوح، حتى يسأل المستمع في دهشة من الموصوف بهذه الصفات الجميلة؟ فيحبذ برؤيته لأن أسلوب الشاعر في تلك القصائد يوضح مقصوده وهو إذاعة صفات الممدوحين ونشر كرامتهم وشجاعتهم وتراحمهم وتعاطفهم للمساكين،

ولذلك يصيغ بذكر أسمائهم بين الناس. ويثبت تكرار الجناس الناقص في الأبيات السابقة اختلاف الحروف في بعض الكلمات، وإن كانت متقاربة الحروف. وإذا لوحظ معنى الكلمات في تعليق صاحب الديوان، يفهم القارئ بأن هناك اختلافا ظاهرا بينها في المعنى، وتُظهر كثرة اختلاف الحروف تكرار الجناس الناقص في داخل البنية النصية مما أدى إلى بث العلاقة الروحية والنفسية في قصائد المدح وإشاعة حركتها بهذه الصورة الجديدة في شكلها ومضمونها، والمتجددة في إيقاعها الصوتي، فكان له دور في خلق اتساق الخطاب، لاسيما أن معظم مفردات هذا التكرار تتقارب مع بعضها في المعنى كقوله: (أديب - أريب) و (إمام - همام) و (جليل - جزيل) و (شريف - ظريف) و (سري - سخي)، وكل هذه الكلمات مرتبطة بمضمون القصائد، إذ تربط معناها بما يريد الشاعر إثباته وتقريره، وبالرغم من التغير الصوتي في المفردات السابقة، يعدّ الوزن أيضا مكررا لإحداث تناغم صوتي يؤدي إلى تماسك النص، وتطور المعنى من غرض إلى غرض آخر.

وقال الشاعر في مدح عبد القادر:

هَشِيثًا بِشِيثًا ضَاحِكًا مُتَبَسِّمًا * وَجَذْلَانِ جِدًّا غَيْرَ كَرٍّ وَلَا مَعِرٍ
وَلَا بَاخِلٍ بَلْ بَاذِلٌ خَيْرَ نَائِلٍ * وَصُؤْلٌ رَءُوفٌ رَاحِمٌ نَاصِرٌ الْغَيْرِ
وَفِي كَيْدِ أَعْدَاءٍ وَحُسْنِ سِيَاسَةٍ * وَحَمَلٍ لِأَعْبَاءِ السِّيَادَةِ وَالْمَكْرِ
حُقَاةٌ عَرَاةٌ وَالْعُقَاةُ وَلَا تُهْمُ * وَتَسْعَفُ عَنْ حَاجَاتِهِمْ بَادِي الْبِشْرِ
أَدِيبٌ أَرِيبٌ عَابِدٌ مُتَنَسِّكٌ * وَمِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ أَقْطَابِنَا الْغُرِّ³³

وكرر الشاعر الجناس الناقص في الأبيات السابقة عشرة مرات، كما يلي: (أديب - أريب) و(سياسة - السيادة)، الفرق في السين والذال، و(حفاة - العفاة)، والفرق في الحاء والعين، و(هشيشا - بشيشا)، الفرق في الهاء والباء، و(باخل - باذل)، والفرق الخاء والذال. وجاءت هذه الكلمات مكررة في بعض الحروف لغرض الربط بين أجزاء القصيدة، ولتوظيف الإيقاع الصوتي فيها، ولرفع درجة الممدوح ومقامه، ولغرض إشادة ذكره وصيته بين الناس.

وكما قال أيضا في مدح عمر بن محمد البخاري بن الشيخ عثمان:

وَلِي عَلِيٌّ حَفِيٌّ رَضِيٌّ * سَرِيٌّ سَخِيٌّ وَلَا يَمْطُلُ

شَرِيفٌ ظَرِيفٌ عَرِيفٌ عَفِيفٌ *عَزُوفٌ عَيُوفٌ لِمَنْ يَحْمِلُ
 فَتُوكٌ هَتُوكٌ سَفُوكٌ بَتُوكٌ *طَلُوبٌ الْأَعَادِي وَلَا يَكْسَلُ
 وَلَا فَاحِشٌ طَائِشٌ هَامِشٌ *وَلَا بَاخِلٌ مَا خِلٌ نَامِلٌ
 أَدِيبٌ نَجِيبٌ لَبِيبٌ أَرِيبٌ *نَقِيبٌ حَسِيبٌ وَلَا يَعْجَلُ
 بَلِيبٌ نَبِيبٌ قَرِيبٌ مَنِيعٌ *بِهَيٍّ بَهِيحٌ وَلَا يَهْزِلُ
 أَمِينٌ مُعِينٌ مَكِينٌ فَطِينٌ *وَبَدْرٌ مُنِيرٌ وَلَا يَأْفُلُ"³⁴

استخدم الشاعر الجناس الناقص في الأبيات السابقة لإثبات صفات رائقة للممدوح، لغرض المدح والفخر بما حواه من الكرم الملموس في هذه السجيا الرقراقة، ووظف الجناس الناقص في القصيدة ليوحي إلى ربط أجزاء القصيدة، ذلك ليعطي تماسكا وإيقاعا صوتيا، مع إثراء دلالي. ومن تكرار الجناس الناقص قوله: (وليّ - عليّ)، والفرق في الواو والعين، و(سخيّ - سريّ)، والفرق في الخاء والراء، و(فتوك - هتوك)، والفرق في الفاء والهاء، و(باخل - ماخل)، والفرق في الباء والميم، و(أريب - أديب) و(بهيج - بهيج)، والفرق في الياء والجيم، و(معين - مكين)، والفرق في الكاف والعين.

ويشير هذا إلى أن الإيقاع الصوتي الواقع في تكرار الجناس الناقص إيقاع ناشئ من انتظام الحركة وانسجام الحروف بين أصناف الكلمات التي فيها تجانس صوتي، مما يؤدي إلى تكثيف المعنى، ويزيل الرتابة عن أذن السامع، ويسبك النص، ويقوي نسجه.

تكرار الحرف

تكرار الحرف هو: "إعادة أصوات معينة تجعل النص يحفل بالإيقاعات المتنوعة، ولتكرار الحرف أثر موثقي يحدثه في داخل القصيدة، ويتحقق ذلك من خلال انسجام الحروف مع بعضها البعض"³⁵، وغالبا ما يأتي تكرار الحرف عفوا بدون تكلف، وذلك للشاعر المفلق. ويُكزّر حروف المعاني والمباني، لكن الدراسة تميل إلى حروف المعاني فقط. وتكرار حروف المعاني يعدّ من أهم الركائز الأساسية التي يقوم عليها التكرار في الديوان.

والحرف: هو "ما دل على معنى في غيره."³⁶ أي لا يظهر معناه بدون غيره لضعفه، مثل: "عن، بل، قد"، وينقسم إلى ثلاثة أقسام، قسم يختص بالاسم، كحروف الجر، وحروف القسم، وإن وأخواتها. وقسم يختص بالأفعال، كحروف الجزم والنصب للفعل المضارع،

وقسم يشترك فيه الاسم والفعل، كحروف العطف، وحرفي الاستفهام، وهما: "هل، والهمزة".

ويلجأ بعض الشعراء إلى التنوع في الإيقاع الداخلي لنصوصهم الشعرية عن طريق تكرار بعض الحروف المعنوية، فيعمد إلى تكرارها بشكل لافت للنظر فيعمد الشاعر على توزيعها على مساحة صغيرة أو كبيرة في النص، ويغطي على نصه إيقاع خاص قد يثير الدهشة في نفس المتلقي، ويسهم أيضا في تلوين الإيقاع، وهذا التكرار ربما يعكس جانبا من موقف نفسي أو انفعالي في نفس المبدع، ذلك بأن كل حرف أو لفظة أو مقطع مكرر يحمل في ثناياه دلالات نفسية قد يقصدها المبدع، بهدف الإيحاء إلى حالة ما. ومن الحروف التي كررت في الديوان، حروف الجر لا سيما "في"، ولذلك اختارها الباحث للدراسة، ومثال ذلك قول الشاعر:

وَلَا يَخْتَشِي فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَأَيْمٍ ** وَلَا يَخْتَفِي عَنْ ذِي اشْتِكَاءٍ وَذِي الْجُرِّ
وَلَيْسَ لَدَيْكُمْ فِي الْعَدَالَةِ مِثْلُهُ ** وَفِي الْوُدِّ وَالْحُبِّ الصَّمِيمِ لِذِي الْأَمْرِ
وَفِي الصِّدْقِ فِي قَوْلٍ وَفِي الْعَهْدِ وَالْوَفَا ** وَحِفْظِ الْأَمَانَةِ وَالِدِّيَانَةِ وَالشُّكْرِ
وَفِي الْإِمْتِثَالِ لِأَمْرِ كُلِّ خَلِيفَةٍ ** مِنْ الْخُلَفَاءِ السَّادَةِ الْقَادَةِ الْغُرِّ
وَفِي عِلْمِكُمْ أَنَّ الَّذِي جَلَّ قَدَّ أَمْرٍ ** بِطَاعَتِهِ وَنَبِيِّهِ وَأُولِي الْأَمْرِ
جَزَاهُ إِلَهُ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ ** وَأَيَّدَهُ بِالنَّصْرِ فِي جُمْلَةِ الْعُمَرِ
وَأَبْقَاهُ مِنْ بَيْنِ الْأَنْامِ مُعَمَّرًا ** بِعُمُرٍ مَدِيدٍ فِي الْعَدَالَةِ وَالشُّكْرِ³⁷

تكررت حروف الجر في النص السابق أربعاً وعشرين مرة، على اختلاف منها حيث تكرر حرف (في) عشر مرات، وقد وظفه بشكل واضح، مرة يكون متصلاً ومرة يكون منفصلاً. وإن استعمال حرف (في) والذي يفيد هنا حسب توظيفه التداخل والانتشار بين ما هو زمني ومكاني بحيث يجعل الشاعر كل شيء مرتبطاً بمحبوبه وممدوحه، مما يوحى إلى ظرف مكان أو زمان، ويدور حوله ليسرد للمتلقي إيقاع الحياة وتفاصيلها في مدينة صكتو، وغيرها، وأسهم هذا الحرف بشكل كبير في تعدد الصفات الخيرية للممدوح، وهو أيضا دلالة على أن المتحدث عنه يتميز بصفات خلقية في الدين وفي الحسب، كما أن أخلاقه الكريمة لا تتغير في الرضى والغضب في

بعض الأحياء، وهذا الشيء قد أسهم في توسعة صفات الممدوح وشمولها. وقال الشاعر أيضا في مدح عيسى بن الشيخ عثمان بن فودي:

وَمَا فِيهِ مِنْ ضُرٍّ وَمَا فِيهِ مِنْ أَدَى ** وَمَا فِيهِ مِنْ كِبَرٍ وَمَا فِيهِ مِنْ غَدْرِ
وَمَا فِيهِ مِنْ غِلٍّ وَمَا فِيهِ مِنْ قَلَى ** وَمَا فِيهِ مِنْ غَشٍّ وَمَا فِيهِ مِنْ مَكْرٍ
وَمَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ وَمَا فِيهِ مِنْ مَرَى ** وَمَا فِيهِ مِنْ زَجْرٍ لِعَافٍ وَلَا نَهْرٍ
وَمَا فِيهِ مِنْ شَرٍّ وَمَا فِيهِ مِنْ شَرَى ** وَمَا فِيهِ مِنْ ظَلْمٍ وَمَا فِيهِ مِنْ ضَرٍّ
وَمَا فِيهِ مِنْ ضَيْمٍ وَمَا فِيهِ مِنْ وَئَى ** وَمَا فِيهِ مِنْ حَيْفٍ وَمَا فِيهِ مِنْ وَغْرِ
وَمَا فِيهِ مِنْ جَهْلٍ وَمَا فِيهِ مِنْ هَوَى ** وَمَا فِيهِ مِنْ حَقْدٍ وَمَا فِيهِ مِنْ جَوْرِ
وَمَا فِيهِ مِنْ فُحْشٍ وَمَا فِيهِ مِنْ كَهَى ** وَمَا فِيهِ مِنْ فُجْرٍ وَمَا فِيهِ مِنْ دُخْرِ
وَمَا فِيهِ مِنْ طَعْنٍ وَلَا سَبٍّ وَاحِدٍ ** وَمَا فِيهِ مِنْ قَبْرِ وَمَا فِيهِ مِنْ سَبْرِ³⁸

كرر الشاعر حروف الجر في هذه القصيدة، حيث كرر حرف "في" أحد وثلاثين مرة، وكرر حرف "من" ثلاثين مرة.

وتكرار حرف "من" لا يقتصر دوره على مجرد تحسين الكلام، بل يمكن أن يكون من الوسائل المهمة التي تترك أثرا في أداء المضمون، وتكرار الحرف يؤكد المعنى الذي يريد الشاعر إيصاله في نفس السامع، وهو بيان وإيضاح لما في نفس الممدوح، لأن "من" تأتي بيانية كما أفادت هنا، "وتكون لابتداء الغاية، والتبعيض، وبيان الجنس، والتعليل، والبدل، والمجاورة، والانتها، وللغاية، والاستعلاء، والفصل، وموافقة الباء، وتكون بمعنى "في"، وتكون بموافقة "رب"، وتكون للقسم"³⁹. فضلا عن الإيقاع الصوتي والنغمي والموسيقي الذي يدعم المعنى المراد.

ووردت (من) خمس مرات، تحمل ملامحا قديمة وذكريات وخواطر متعددة، وتجسد شخوص عهود مضت، وتذوق الشعور متعة ذاهبة وأحداثا درّاسة.

وتوزيع هذه الحروف في هذه القصيدة، يلعب دورا في التناسق والتناغم والتقارب والتلاصق والاتصاف "لأنها تجر معنى الفعل إلى الاسم أو كما يسميها الكوفيون حروف الإضافة لأنها تضيف الفعل إلى اسم أي توصله إليه وتربطه به وتدعى حروف الصفات لأنها تحدث صفة في الاسم."⁴⁰

تجر هذه الحروف الاسم الظاهر والمضمر، ولذلك تلاصقت بجميع الكلمات فيها، وأدى هذا التلاصق إلى اختلاق معان ودلالات ملحوظة في أبيات القصيدة وهي أن الممدوح لا يخاف لومة لائم في الله ولا يرد السائل ولا ينهره، ولا يمنّ ليستكثر، ومثل هذه الصفات كثيرة له.

وإن تكرار حروف الجر في هذه الأبيات يولد نوعاً من التفكير لدى المتلقي، ويبدو أنه يحمل أبعاداً إيحائية ودلالية تنسجم مع المواقف التي يقوم الشاعر بالتعبير عنها في حبه لهذا الممدوح، كما منح تكرار هذه الحروف نوعاً من الترابط بين أجزائه، فقد تعدّد المجرور تبعاً لتعدد نفي العيب للممدوح، كقوله: "وَمَا فِيهِ مِنْ ضُرٍّ، وَمَا فِيهِ مِنْ أَدَى، وَمَا فِيهِ مِنْ كِبَرٍ، وَمَا فِيهِ مِنْ غَدْرٍ، وَمَا فِيهِ مِنْ غِلٍّ، وَمَا فِيهِ مِنْ قَلَى، وَمَا فِيهِ مِنْ غِشٍّ، وَمَا فِيهِ مِنْ مَكْرٍ، وَمَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ، وَمَا فِيهِ مِنْ مَرَى،..."، فجاء كل تكرار بمكان معين في القصائد المختلفة، فهذا التكرار جاء معبراً عن المعنى الذي أراد الشاعر التعبير عنه أو التأكيد عليه، فهو لم يأت لمجرد افتعال متكلف من قبل الشاعر، بل هناك ضرورة نفسية وحاجة ماسة تستوجب هذا التكرار وهي التنبيه والتنويه لفضل أمير كنو عبد الله بن داب.

الخاتمة:

حاول الباحثان بدراسة التكرار الصوتي في بعض أشعار ابن إسحاق، مع التحليل الأسلوبي، وكانت لهذه الظاهرة درجة عالية للبحث العلمي في جميع مجالات العلم، من حيث أن اللغويين والأدباء بحثوا عن هذه الظاهرة بحثاً عميقاً، واتفقوا في بعض النظريات واختلفوا عن بعضها. وتناولوا المقدمة والتعريف بالشاعر، من حيث الولادة والنشأة والنسب والثقافات العلمية، على الإيجاز، والتكرار الصوتي، من تكرار الحرف، وتكرار السياق، وتكرار الجنس الناقص.

ما توصل إليه الباحثان في هذه المقالة:

- 1- ساهم علم الدلالة في تحقيق الربط اللفظي والمعجمي في داخل النصوص المدروسة.
- 2- تعدد أشكال الربط بالأدوات المكررة في النص، من تكرار حروف الجر والنواسخ، و"أن" المصدرية وغير ذلك.

3- امتاز أسلوب الشاعر بالتكرارات المختلفة، في الشكل والمضمون حتى طغى التكرار في أشعاره بحد فائق، وقد استخدم النكرات والجمل الاسمية والفعلية فيه بكمية لا يستهان بها.

التوصية: ومما توصي به المقالة ما يلي:

- الاهتمام بظاهرة التكرار، وإفرادها بالدراسة، وكثرة البحث والاطلاع في مصنفات وتوالييف قديمة وحديثة، وبحوث مدرسية، ورسائل جامعية، لما فيها من الفوائد والوظائف المتنوعة في تثقيف الطالب، وتنمية لغته وصوتها عن الخطأ والركاكة، وتعقيد اللفظ والمعنى في التعبير والكتابة.

الهوامش والمصادر:

- 1- ابن إسحاق، عثمان التوردي، تيسير الغوامض من كتاب سلم الغوامض في علم الفرائض، شرح منتقى يحيى الأمين، الناشر: مركز الدراسات الإسلامية جامعة عثمان بن فودي صكتو، 2015م، ص: 10
- 2- محمد حبيب محمد، (الدكتور) شخصية الشيخ عثمان بن إسحاق وإسهاماته في إحياء التراث العربي النيجيري، ط: 1، 5005م، ص: 16
- 3- محمد حبيب محمد، المرجع السابق، ص: 17
- 4- محمد حبيب محمد، مرجع سابق، ص: 20
- 5- "جيكاً" كلمة هوسوية ومعناها السبب وهو ابن الابن، وأور دجي هي: مريم بنت الشيخ عثمان بن فودي.
- 6- ناصر أحمد صكتو (الدكتور) مرجع سابق، ص: 168
- 7- ناصر أحمد صكتو (الدكتور) مرجع سابق، والصفحة نفسها.
- 8- ناصر أحمد صكتو (الدكتور) مرجع سابق، ص: 169
- 9- نوال بنت إبراهيم الحلوة (الدكتورة)، أثر التكرار في التماسك النصي: مقارنة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات د. خالد المنيف، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن - الرياض، العدد الثامن - رجب: 1433هـ - مايو: 2012م، ص: 26 - 28
- 10- هنداوي، عبد الحميد أحمد (الدكتور) الإعجاز الصبري في القرآن الكريم: دراسة نظرية تطبيقية، المكتبة العصرية - بيروت، 2002م، ص: 189
- 11- نوال بنت إبراهيم الحلوة، مرجع سابق، ص: 27
- 12- صادق، أبو سليمان، الدراسات اللغوية في مصر في الفترة من 1932 - 1962م، رسالة ماجستير، جامعة الإسكندرية، 1987م، ص: 284
- 13- سيوييه، مرجع سابق، ص: 42
- 14- محمد بن الحسن الرضي، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد نور الحسن، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان: 175م، ج: 1، ص: 159

- 15- المبرد، محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة. عالم الكتب - بيروت، ج: 2، ص: 113
- 16- عبد القادر بن عمر، خزائن الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 4، 1418هـ - 1997م، ج: 4، ص: 245
- 17- ابن مالك، محمد بن عبد الله، شرح الكافية الشافية، تحقيق عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى، ط: 1، بلا تاريخ، ج: 2، ص: 1031
- 18- هو أمير المؤمنين أحمد الرفاعي بن أمير المؤمنين الشيخ عثمان.
- 19- ابن إسحاق، الكشف والبيان، ص: 21
- 20- محمد نبيل طريقي (الدكتور) ديوان النمر بن تولب العكلي، دار صادر - بيروت، ط: 1، 2000م، ص: 84
- 21- الجوهرى، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط: 4، 1404هـ - 1987م، ج: 3، ص: 945
- 22- الرضي الإستراباذي، محمد بن الحسن (نجم الدين) شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد نور الحسن، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، 1395هـ - 1975م، ج: 1، ص: 147
- 23- ابن إسحاق، الكشف والبيان، ص: 31
- 24- حملاوي، أحمد بن محمد بن أحمد، (الشيخ) شذا العرف في فن الصرف، دار الكيان - الرياض، ص: 124
- 25- راميل بديع يعقوب (الدكتور) المرجع السابق، ص: 128 - 129
- 26- ابن إسحاق، الكشف والبيان، ص: 24
- 27- ابن إسحاق، الكشف والبيان، ص: 19
- 28- ابن إسحاق، الكشف والبيان، ص: 30
- 29- نوال إبراهيم، مرجع سابق، ص: 29
- 30- ابن إسحاق، المرجع السابق، ص: 89
- 31- ابن إسحاق، المرجع السابق، ص: 45
- 32- ابن إسحاق، المرجع السابق، ص: 68
- 33- ابن إسحاق، الكشف والبيان، ص: 43
- 34- ابن إسحاق، الكشف والبيان، ص: 45
- 35- نوال إبراهيم، مرجع سابق، ص: 32
- 36- الغلاييني، مرجع سابق، والصفحة نفسها.
- 37- ابن إسحاق، المرجع السابق، ص: 142
- 38- ابن إسحاق، الكشف والبيان، ص: 65
- 39- الحسن بن محمد، المرجع السابق، ص: 308 - 322
- 40- عبد الحسين المبارك، (الدكتور) حروف الجرومذاهب النحاة في استنعمالها، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد الحادي عشر: 1988م، جامعة قطر، ص: 144

جمالية التوظيف البلاغي لذكر المسند والمسنود إليه أحاديث المناقب من صحيح الإمام البخاري "أموذجا"

إعداد:

الدكتور: محمد حامد الديك

محاضر وعضو هيئة تدريس بقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة (مينيسوتا الأمريكية - جامعة رابانيان الأمريكية - جامعة الأرائك العالمية)

Lecturer and faculty member in the Arabic Language Department at the College of Arts at the universities of (Minnesota, USA - Rabanyan University - USA) and Al-Araya International University)

الملخص:

لقد بلغت فصاحة النبي ﷺ وبلاغته قمة الجمال البلاغي؛ وذلك لأن بلاغة الرسول ﷺ من صنع الله، وما كان من صنع الله تضيق موازين الإنسان عن وزنه، فأنت في الحديث أمام لوحات فنية رائعة، ممتعة ساحرة تعجز مواهب الدنيا الإتيان بأروع منها وأبدع. وتتجلى مظاهر التوظيف الجمالي للأسلوب النبوي في ذكر كل من المسند والمسنود إليه في الحديث الشريف في أنها لم تأت عبثاً؛ وإنما كانت لمقاصد بلاغية. وسنحاول -في هذا البحث المتواضع- بذل الجهد في كشف اللثام عنها، وإظهار كنهها ومكنونها.

The eloquence and eloquence of the Prophet, may God bless him and grant him peace, became the pinnacle of rhetorical beauty. This is because the eloquence of the Messenger, may God bless him and grant him peace, was created by God, and what was created by God is smaller than a person's dimensions compared to his weight. He is competent in speaking in front of wonderful artistic paintings, enjoyable and charming, and the talents of the world cannot come up with anything more wonderful and creative than them. The manifestations of the aesthetic use of the prophetic style are evident in the mention of both the musnad and the musnad to it in the noble hadith, in that they did not affect me in vain. But it was for rhetorical purposes. In this humble research, I tried to make an effort to uncover its secrets, its magic, and its capabilities.

مقدمة:

الحمد لله، خالق الإنسان وواهب البيان، والصلاة والسلام التّامان على سيّد ولد عدنان، خاتم النبيّين وإمام المرسلين سيّدنا محمّد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وبعد: فلقد تميزت السّنة النبويّة ببلاغة بهرت العقول، وأسرت القلوب، فكانت بلاغته -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- النموذج الأمثل للبلاغة البشريّة.

وكما يقول البلاغيون: «كلُّ لفظٍ يدلُّ على معنى في الكلام جدير طبعًا بالذِّكر، لتأدية المعنى المراد به، فلهذا يُذكر المسند إليه وجوبًا حيث لا قرينة تدلُّ عليه عند حذفه، وإلا كان الكلام معيًّا ومهمًّا، لا يُستَبان المراد منه، فقد يُعتمد إلى الذِّكر مع وجود قرينة تمكِّن من الحذف، وذلك لأغراض بلاغيَّة كثيرة»⁽¹⁾.

«وحينما يكون المتكلِّم العربيّ البليغُ أمام احتمالَيْنِ جائزَيْنِ في اللِّسان العربيّ كالذِّكر والحذف، ويرى أنَّ كلاً منهما يُحقِّق توصيل ما يُريدُه من المعاني، إلا أنَّ أحدهما أكثرُ تأثيرًا في المخاطب بحسب حاله، أو أكثرُ جمالًا لدى ذواقي الجمال في الكلام، أو يراه يُحقِّق له غرضًا بلاغيًّا لا يحقِّقه له الاحتمال الآخر، فإنَّ عليه أن يكون دقيق الملاحظة في خصائص الاحتمالات وفروق دلالاتها، ويحدِّد منها ما يدعوه إلى ما يختار من ذكر العنصر من عناصر الجملة التي يُنشئها أو حذفه»⁽²⁾.

فيضع منشئ الكلام أحد عينه على تلك الملاحظة، والأخرى على أحوال المخاطبين.

«وقد نبَّه البلاغيُّون على طائفةٍ من دواعي الذِّكر، وطائفةٍ أخرى من دواعي الحذف، وأشاروا إلى أنَّ ما ذكروه من ذلك لا يُمثِّل إحصاءً شاملاً لكلِّ الدواعي، وإنَّما يُقدِّم صورًا ونماذج يمكن أن يهتدي بهديها الباحثون، ويحذوا حذوها، وأن تكون لديهم منطلقاتٍ للبحث الذكيّ الفطن اللِّمَّاح في هذا المجال»⁽³⁾.

«ومن هنا يتضح أن الحذف الممنوع، انعدام القرينة والذِّكر المتعين لذلك لا تنظر إليهما البلاغة، وإنَّما محط نظرها هو جواز كل من الحذف والذِّكر لغةً لوجود القرينة، فإذا وجد بعد ذلك سر بلاغي يطلب الحذف ويرجحه على الذِّكر، صارت البلاغة في الحذف، وإذا وجد داع بلاغي يوجب الذِّكر ويستدعيه ونُكته تتطلبه وتقتضيه كانت البلاغة في الذِّكر»⁽⁴⁾.

على «أنه يعسر إحصاء كلِّ الدواعي التي تقوم في نفوس المتكلمين البلغاء لذكر ما يمكن حذفه»⁽⁵⁾.

• **المطلب الأول:** صور ذكر المسند إليه، والأغراض البلاغيَّة، والسّمات الأسلوبية الواردة في أحاديث المناقب:

1- الأصل في المسند إليه أن يكون مذكورًا:

يُذكر المسند إليه وجوبًا؛ إذ إنَّ ذكره هو الأصل، ولا مُقتضى للحذف؛ لعدم

قريئة تدلُّ عليه عند حذفه، ومن ذلك ما رواه المسور بن مخرمة -رضي الله عنه- قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِيٍّ، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي»⁽⁶⁾.

شرح الحديث: «كَانَ عَلِيٌّ -رضي الله عنه- يُرِيدُ أَنْ يَخْطُبَ الْعَوْرَاءَ بِنْتِ أَبِي جَهْلٍ فَقَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: مَا كَانَ لِعَلِيِّ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ ابْنَةِ نَبِيِّ اللَّهِ وَابْنَةِ عَدُوِّ اللَّهِ، وَإِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِيٍّ، يَغْضِبُنِي مَا أَغْضَبَهَا»⁽⁷⁾.

والشاهد: ذكرُ المسند إليه المبتدأ (فاطمة) لكونه الأصل، ولا مُقتضى لحذفه.

2- إزالة اللبس والوهم:

من ذلك ما رواه حمزة عن أبيه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، شَرِبْتُ، يَعْنِي: اللَّبَنَ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَى الرَّيِّ يَجْرِي فِي ظُفْرِي، أَوْ فِي أَظْفَارِي، ثُمَّ نَاوَلْتُ عُمَرَ، فَقَالُوا: فَمَا أَوْلَتْهُ؟ قَالَ: الْعِلْمُ»⁽⁸⁾.

شرح الحديث: «(بيننا) بغير ميم (أنا نائم شربت)، وفي باب (فضل العلم) من كتاب (العلم): (بيننا أنا نائم أُتيتُ بقدر لبن فشربت)، يعني: اللَّبَنَ (حتى أنظر) بالرفع مصححاً عليه في الفرع وأصله لأبي ذرٍّ (أنظر) بالنصب (إلى الري) بكسر الراء وتشديد الياء التحتية حال كونه (يجري في ظفري) بالإفراد (أو) قال: (في أظفاري) ورؤية الري على طريق الاستعارة كأنه لما جعل الريّ جسماً أضاف إليه ما هو من خواص الجسم وهو كونه مرئياً، (ثم ناولت عمر) ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب (قالوا: فما أولتته؟ أي: عبّرت. ولأبي ذرٍّ (فما أولت) بإسقاط الضمير (يا رسول الله؟ قال): أولتته (العلم)، وذلك من جهة اشتراك العلم واللبن في كثرة النفع؛ فاللبن للغذاء البدني، والعلم للغذاء المعنوي»⁽⁹⁾.

والشاهد: في قوله -صلى الله عليه وسلم- "بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ" فلو لم يُذكر المسند إليه (أنا) لتوهم السامع أن النائم قد يكون شخصاً غير النبي -صلى الله عليه وسلم- وبذكرة زال اللبس، وارتفع الوهم.

3- أن يكون المسند ممّا يصحُّ إسناده إلى أيّ مسند إليه، لكننا نريد إسناده إلى مسند معين:

روى أنس بن مالك -رضي الله عنه- «أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- افْتَقَدَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَعْلَمُ لَكَ عِلْمَهُ، فَأَتَاهُ فَوَجَدَهُ جَالِسًا فِي بَيْتِهِ مُنْكَسِرًا رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَا سَأَلْتُكَ؟ فَقَالَ: شَرٌّ، كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ

النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَتَى الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ كَذًا وَكَذَا. [وفي رواية] فَرَجَعَ الْمَرَّةَ الْآخِرَةَ بِبِشَارَةٍ عَظِيمَةٍ، فَقَالَ: أَذْهَبَ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلَكِنْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»⁽¹⁰⁾.

والشَّاهد: في قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- (إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ)، فقد ذكر النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المسنود إليه (ضمير المخاطب) اسم إنَّ؛ لتعيين المسنود به وتأكيده. والمقام يؤيد ذلك ويرجِّحه، فهو يحمل أعظم بشاره، قد اقتضاها حال الصَّحابي الَّذي غلب عليه شعور أنه حتمًا قد هَلَكَ، (إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ)، فوجب تعيين المبشِّر بتلك البشارة الَّتِي هي بمنزلة شهادة ميلاد جديدة، بل أعظم؛ فهي له خاصَّة، لا لغيره.

4- يذكر المسنود إليه احتياطًا لضعف التَّعويل على القرينة:

روى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِتْنَانِ فَيَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعَاؤُهُمَا وَاحِدَةٌ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ، قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ»⁽¹¹⁾.

شرح الحديث: «قَوْلُهُ: (فِتْنَانِ): الْفِئَّةُ هِيَ الْجَمَاعَةُ. قَالَ بَعْضُهُمْ: الْمُرَادُ بِهِمَا مَنْ كَانَ مَعَ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ لَمَّا تَحَارَبَا بِصَفِينِ. قَوْلُهُ: (دَعَاؤُهُمَا): أَي: دِينُهُمَا وَاحِدٌ؛ لِأَنَّ كَلَامَهُمَا مِثْلًا كَانَ يَتَسَمَّى بِالْإِسْلَامِ، أَوْ الْمُرَادُ: أَنَّ كَلَامَهُمَا كَانَ يَدْعِي أَنَّهُ الْمَحَقُّ، وَذَلِكَ أَنَّ عَلِيًّا، -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ، كَانَ إِذْ ذَاكَ إِمَامَ الْمُسْلِمِينَ وَأَفْضَلِهِمْ يَوْمَئِذٍ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ السَّنَةِ، وَلِأَنَّ أَهْلَ الْحِلِّ وَالْعَقْدِ بَايَعُوهُ بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ، -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ، وَتَخَلَّفَ عَنْ بَيْعَتِهِ أَهْلُ الشَّامِ، وَقَالَ الْكُرْمَانِيُّ: دَعَاؤُهُمَا وَاحِدَةٌ: أَي: يَدْعِي كُلُّ مِثْلِهِمَا أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ وَخَصْمُهُ مُبْطَلٌ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا مُصِيبًا وَالْآخَرُ مَخْطِئًا»⁽¹²⁾.

والشَّاهد: في قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- (وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ)، إذ يجوز عدم ذكر المسنود إليه (السَّاعَةُ) الثَّانِيَّة؛ لِأَنَّهَا تَفْهَمُ مِنَ السِّيَاقِ بِدَلَالَةِ قَرِينَةٍ ذَكَرَهَا فِي قَوْلِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِتْنَانِ...)، وَلَكِنْ حَذَفَهَا لِنِ يَفِي بِتِلْكَ الدَّفْقَةِ الْإِيمَانِيَّةِ مِنَ الْيَقِينِ؛ لِأَنَّ قِيَامَ السَّاعَةِ لَا يَنْكَرُهُ مُسْلِمٌ، وَلَمَّا كَانَ الْمَقَامُ مَقَامَ إِخْبَارٍ عَنْ أَمْرٍ غَيْبِيِّ بِالْغِ خَطُورَةٍ، هُوَ (الْفِتْنِ)، وَأَنَّهَا وَاقِعَةٌ، لَا مُحَالَةٌ، قَبْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَيَجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ تَجَنُّبُهَا، فَقَدْ عَمِدَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِذِكْرِ

5- زيادة الإيضاح والتقرير:

روى أبو هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسَ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبْنَةُ؟»⁽¹³⁾، قال: فأنا اللَّبْنَةُ وأنا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ»⁽¹⁴⁾.

والشاهد: في قوله -صلى الله عليه وسلم- (أنا خاتم النبيين)؛ إذ ذكر -صلى الله عليه وسلم- المسند إليه (أنا)؛ لزيادة الإيضاح؛ ولتقرير أنه -صلى الله عليه وسلم- آخر لبنة وُضعت في هذا البناء، فأكسبه الحسن والجمال والكمال الذي كان مفقودًا بدونه -صلى الله عليه وسلم-.

6- إشعار المخاطب بخصوصية المسند إليه:

من ذلك ما روته أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- «أَنَّ أَبَا بَكْرٍ -رضي الله عنه- دَخَلَ عَلَيْهَا، وَعِنْدَهَا جَارِيَتَانِ فِي أَيَّامِ مَيِّ تُغَيَّبَانِ، وَتَدْقِفَانِ، وَتَضْرِبَانِ، وَالنَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- مُتَغَبِّثٌ بِثَوْبِهِ، فَانْتَهَرَهُمَا أَبُو بَكْرٍ، فَكَشَفَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ: دَعُّمَا يَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّهَا أَيَّامٌ عِيدٍ. وَتِلْكَ الْأَيَّامُ أَيَّامٌ مَيِّ»⁽¹⁵⁾.

شرح الحديث: «كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يرخص لهم في أوقات الأفراح، كالأعياد والنكاح وقدم الغياب، الضرب للجواري بالدقوف، والتغني مع ذلك بهذه الأشعار، وما كان في معناها»⁽¹⁶⁾.

والشاهد: في قوله -صلى الله عليه وسلم- (فإنها أيام عيد)، (وتلك الأيام أيام مئى)، فقد ذكر -صلى الله عليه وسلم- المسند إليه (تلك الأيام)، ويمكن أن يُكتفى بالمسند (أيام مئى) بدلالة قرينة (فإنها أيام)، وإنما كان ذلك لما أحسنه النبي -صلى الله عليه وسلم- عليه وسلم- من إنكار أبي بكر -رضي الله عنه- ذلك الأمر على ابنته عائشة، وفي حضوره -صلى الله عليه وسلم- فكان في ذكره للمسند إليه ما لا يُغني عنه لو حذف. فلهذه الأيام خصوصية من دون غيرها، سوَّغت هذا الفعل بالقدر المباح.

7- تعظيم المسند إليه، وإظهار الفخر:

من ذلك ما رواه جبير بن مطعم -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «لِي خَمْسَةٌ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاجِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي

الكُفْرَ، وأنا الحاشِرُ الَّذِي يُحَشِّرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمِي، وأنا العاقِبُ»⁽¹⁷⁾.

شرح الحديث: (إنَّ لي أسماء)؛ أي: ألفاظ متحدة في المدلول مختلفة في الاشتقاق. (أنا محمَّد)، قدَّمه لأنه أشرفها وأشهرها، ومعناه: أكثر النَّاسِ محمودية يحمده كل أحد، (وأنا أحمد) أكثر النَّاسِ حامديَّة لربه والأول أبلغ؛ لأنه لا يحمد حتى يصير أكثر النَّاسِ حامديَّة (وأنا الحاشِر الذي يحشر النَّاس على قدمي)، يُزوى بتخفيف الياء وتشديدها، والمراد: على إثر نبوتي ليس بعدي نبي، وهذا إسناد مجازي؛ لأنه سبب في حشر النَّاس، وأنهم لا يحشرون حتى يحشر إذ هو يحشر قبلهم كما في عدة أخبار، ... (وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر)؛ أي: يزيله من جزيرة العرب، ومن أكثر البلاد حتى لا يبقى له أثر، (وأنا العاقب)؛ أي: ليس بعده نبي، قيل فيه دلالة على جواز التسمية بأكثر من واحد⁽¹⁸⁾.

والشَّاهد: هنا في تكرار ذكر المسند إليه (أنا)؛ لأنَّ المقام هنا مقام فخر، وإظهار للعظمة الَّتِي خصَّ الله بها نبيِّه محمَّد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لذا تعدَّدت هذه الأسماء، وتلك الأوصاف الَّتِي تختلف في مدلولها عن بعضها البعض، إشعارًا بعظمته -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

8- إظهار التَّعجب:

من ذلك ما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ، وَلَعْنَهُمْ؟! يَشْتُمُونَ مُدْمَمًا وَيَلْعَنُونَ مُدْمَمًا، وَأَنَا مُحَمَّدٌ»⁽¹⁹⁾.

شرح الحديث: «(أنا محمَّد)؛ أي: كثير الخصال الحميدة، وألهم الله -تعالى- أهله أن يُسْمُوهُ به لما عَلِمَ من حميد صفاته، وفي المثل المشهور: الألقاب تنزل من السَّمَاءِ، وكانت العوراء زوجة أبي لهبٍ تقول: مُدْمَمٌ قَلِينَا، وَدِينَهُ أَبِينَا، وَأَمْرَهُ عَصِينَا»⁽²⁰⁾.

والشَّاهد: في قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (أنا مُحَمَّدٌ)؛ إذ ذكر -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المسند إليه (أنا) تعجبًا من حماية الله له بكيفية عجيبة، فالكفار يسبُّون مذمومًا، ومُذْمَمٌ ليس باسمه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولقد نقل النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذا الأمر المثير للعجب لأصحابه في قوله: "أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ؟!".

9- التَّبَرُّكُ بِذِكْرِهِ:

من ذلك ما رواه عروة بن الزبير -رضي الله عنه- قال: «قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين بركت به راحلته: هذا -إن شاء الله- المنزل، ثم دعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً، فقالا: لا، بل مهبة لك يا رسول الله، فأبى رسول الله أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما...»⁽²¹⁾.

شرح الحديث: «قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين بركت به راحلته: (هذا -إن شاء الله- المنزل)؛ أي: هذا هو الموضع والمكان الذي نزل فيه إن شاء الله تعالى؛ لأن الله تعالى اختاره لنزولنا»⁽²²⁾.

والشاهد: في قوله -صلى الله عليه وسلم- (إن شاء الله)؛ وذلك حرصاً منه -صلى الله عليه وسلم- وهو القدوة، أن يعلمنا ذكر الله في الأمور كلها، وأن نعلق الأمر كله بمشيئة الله -عز وجل- التماساً للبركة، وطلباً للتوفيق.

10- التلذذ بذكره:

روى أبو سعيد الخدري -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- جلس على المنبر فقال: «إن عبداً خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده، فأختار ما عنده»⁽²³⁾.

شرح الحديث: جلس -صلى الله عليه وسلم- على المنبر في مرضه الأخير الذي مات فيه، وذلك في العام الحادي عشر من الهجرة، فقال: (إن عبداً خيره الله...)، والمعنى: أن الله يُعطي لهذا العبد مقدار من البقاء في الدنيا، والتمتع بنعيمها وزينتها، ففضل هذا العبد ما عند الله -سبحانه-، مما أعد له من أنواع النعيم المقيم، والأجر الجزيل، ولذة اللقائ، والنظر إلى وجهه الكريم⁽²⁴⁾.

والشاهد: قوله -صلى الله عليه وسلم- (إن عبداً خيره الله...)، فالمقام هنا مقام إخبار، ورجاء لقرب أجله -صلى الله عليه وسلم- وقد استدعى ذلك ذكر الفاعل (الله) تلذذاً به -عز وجل- ورغبة فيما عنده من الفضل والنعيم.

11- التهويل والتخويف:

من ذلك ما رواه أبو ذر الغفاري -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «ليس من رجل ادعى لغير أبيه -وهو يعلمه- إلا كفر، ومن ادعى قومًا ليس له فيهم، فليتبوأ مقعده من النار»⁽²⁵⁾.

شرح الحديث: «من انتسب لغير أبيه الحقيقي، واتخذه أباً رغبةً عن أبيه،

وهو يَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ أَبَاهُ؛ إِلَّا كَفَرَ بِالنَّعْمَةِ الَّتِي كَانَتْ لِأَبِيهِ عَلَيْهِ، وَفَعَلَ مَا يُشْبِهُ أَفْعَالَ أَهْلِ الْكُفْرِ، وَإِنْ اسْتَحَلَّ ذَلِكَ خَرَجَ عَنِ الْإِسْلَامِ، أَوْ وَرَدَ هَذَا الْقَوْلُ عَلَى سَبِيلِ التَّغْلِيظِ لِرَجْرِ فَاعِلِهِ، وَقَدْ يُعْضَى عَنْهُ، أَوْ يَتَوَبُّ فَيَسْقُطُ عَنْهُ الْعِقَابُ. وَقِيْدَ بِالْعِلْمِ؛ لِأَنَّ الْإِثْمَ إِنَّمَا يَتَرْتَّبُ عَلَى الْعَالِمِ بِالشَّيْءِ، الْمُتَعَمِّدِ لَهُ»⁽²⁶⁾.

والشَّاهد: في ذكر المسند إليه في قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- (وهو يعلمه...)، فلا شكَّ من أَنَّ المقام يقتضيه لخطورة هذا الفعل الشَّنِيع، وما يترتب عليه من الحكم على فاعله المتعمد بالكفر في الدنيا، والعذاب في الآخرة، (فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)؛ أي: هذا جَزَاؤُهُ، فجاء ذكر المسند إليه لجزره والتَّغْلِيظِ عليه إن كان عالمًا.

12- بسط الكلام افتراضًا:

روى أبو موسى الأشعريّ -رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرِيْمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»⁽²⁷⁾.

شرح الحديث: «(وفضل عائشة على سائر النساء)؛ أي: نساء هذه الأمة ببعض الوجوه؛ كحسن الخلق وفصاحة اللسان ورزانة الرأي، لا في كل الوجوه، فخرجت فاطمة وخديجة "كفضل الثريد على سائر الطعام"؛ أي: باقيه؛ أي: (كفضل الثريد) في بعض الوجوه (على سائر الطعام)، فإنه أفضل طعام العرب؛ لأنه مع اللحم جامع بين اللذة والقوة وسهولة التناول وقلة المؤنة في المضغ، ولهذا ذكر فضل عائشة بكلام مستقل، ولم يعطف عائشة على السابقتين»⁽²⁸⁾.

والشَّاهد: المقام هنا مقام ذكر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لمناقب أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- وهذا يقتضي بسط الكلام، وعدم الاكتفاء بعطفه، على آسية ومريم، وإنما ذكرها بجُمْلَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ؛ تَبَيَّنًا عَلَى اخْتِصَاصِهَا بِمَا امْتَاَزَتْ بِهِ.

13- إظهار الفرح والمسرة:

من ذلك ما روته أمُّ المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «دَخَلَ عَلَيْهَا مَسْرُورًا، تَبْرُقُ أَسَارِيرُ وَجْهِهِ، فَقَالَ: أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ الْمُدْلِجِيُّ لَزِيدٍ، وَأَسَامَةَ، وَرَأَى أَقْدَامَهُمَا: إِنَّ بَعْضَ هَذِهِ الْأَقْدَامِ مِنْ بَعْضٍ»⁽²⁹⁾.

والشَّاهد: في ذكره -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- للمسند إليه "قَالَ الْمُدْلِجِيُّ..." ولو حذفه، وقال: أَلَمْ تَسْمَعِي (ما قيل) أي: ببناؤه للمجهول، لكان المعنى مستقيمًا، لكنَّه لن يحمل

هذه الشحنة من الفرح والمسرة التي ظهرت على أسايريه -صلى الله عليه وسلم- ولأحظتها السيدة عائشة -رضي الله عنها-.

14- إرادة التأكيد على المخاطب في الإخبار عن أمور غيبية:

روى عقبة بن عامر -رضي الله عنه-: «أَنَّ -صلى الله عليه وسلم- خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمُنْبَرِ فَقَالَ: إِنِّي فَرَطُكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، إِنِّي -والله- لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ خَزَائِنَ مَفَاتِيحِ الْأَرْضِ، وَإِنِّي -والله- مَا أَخَافُ بَعْدِي أَنْ تُشْرِكُوا، وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا»⁽³⁰⁾.

شرح الحديث: «(فَرَطُكُمْ) هو الذي يتقدم بين يدي القوم لتهيئة الأسباب في المنزل (وأنا شهيد عليكم)؛ أي: لكم، وإنما عداه بعلی للدلالة على أن تلك الشهادة عن اطلاع، كأنه رقيب عليهم، (وإني قد أعطيت خزائن مفاتيح الأرض) كذا وقع، فإما أن يكون من غلط النسخ أو المراد أن المفاتيح من كثرتها في خزائن، والمراد بها ما فتح الله عليه، ويفتحه على أمته إلى قيام الساعة، و(تنافسوا فيها)؛ أي: تنازعوا»⁽³¹⁾.

والشاهد: أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- عن جملة من الغيبات سواء الدنيوية، أم الآخروية، يحمل بعضها بشارات، وبعضها نذارات؛ لذا فقد عمد النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى ذكر المسند إليه في كل خبر (إني فرطكم، وأنا شهيد...، إني والله...، وإني قد...، وإني...)، وإنما اقتضى المقام ذلك إمعاناً في توكيد تلك الأخبار بنوعها، وبتنوعها، وكأتمها تقع رأي عين فلم يدع فيها مجالاً للشك.

● المطلب الثاني: ذكر المسند.

المسند: «هو الخبر، والفعل التام، واسم الفعل، والمبتدأ (الوصف) المستغنى بمرفوعه عن الخبر، وأخبار النواسخ، والمصدر النائب عن الفعل. وأحوال المسند، هي: الذكر، والحذف، والتعريف، والتنكير، والتقديم والتأخير، وغيرها»⁽³²⁾.

«فقد ذكر البلاغيون أن المسند يذكر في الكلام؛ لكون ذكره هو الأصل، وليس في الكلام ما يقتضي العدول عنه. وذلك كقولك ابتداءً: (زيد صالح). وتذكر المسند؛ لأنه ليس في الكلام ما يدعو إلى حذفه. وملاحظة مقتضى المقام هنا هو المزية البلاغية، قالوا: ويذكر للاحتياط لضعف التعويل على القرينة؛ أي: أن في الكلام قرينة تدل على المحذوف لو حذف، إلا أنه ليس لها من القوة والإيضاح ما يلهم السامع المعنى، ويضعه من أول الأمر بين عينيه، وذلك كقولك لمن سأل: من أكرم العرب وأشجعهم في الجاهلية؟

فتقول في جوابه: عنتره أشجع العرب، وحاتم أجودهم. فتذكر أشجع، وأجود؛ خشية أن يلتبس على السامع، إذا قلت: عنتره وحاتم، من غير أن تعين صفة كل واحد منهم، فلا يدرى أيهم الأشجع والأجود؟»⁽³³⁾.

➤ الأغراض التي عدت في ذكر المسند إليه يمكن أن تُعد هنا في ذكر المسند كذلك، ومنها:

1- لأنه الأصل، ولا مقتضى للعدول عنه:

من ذلك ما رواه عمرو بن تغلب -رضي الله عنه- سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يَقُولُ: «بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا يَنْتَعِلُونَ الشَّعْرَ، وَتَقَاتِلُونَ قَوْمًا كَأَنَّ وَجُوهُهُمْ الْمَجَانُ الْمَطْرَقَةُ»⁽³⁴⁾.

شرح الحديث: «المجان المطرقة: هي التي ألبست الأطرقة من الجلود، وهي الأغشية منها، شبه عرض وجوهمهم، ونتوء وجناتهم بظهور الترس»⁽³⁵⁾.
والشاهد: قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (قَوْمًا كَأَنَّ وَجُوهُهُمْ الْمَجَانُ الْمَطْرَقَةُ)، فذكر -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المسند هنا (المجان المطرقة)؛ لأنه الأصل، ولا مقتضى للعدول عنه، ولا يوجد قرينة تدل عليه، ولو حذف لكان الكلام أبتى؛ لأنَّ المقام مقام وصف لقوم سيقاتلون المسلمين قبل قيام الساعة.

2- ألا يكون المسند إليه دالاً على المسند، ولا موحياً به:

رَوَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ حَفْصَةُ -رضي الله عنها- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ لَهَا: «إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ رَجُلٌ صَالِحٌ»⁽³⁶⁾.

شرح الحديث: وقد تواترت الأخبار عن فضل ابن عمر «قال عبد الله بن مسعود: لقد رأيتنا ونحن متوافرون فما بيننا شابُّ أملك لنفسه من عبد الله بن عمر. وعن السُّدي: رأيت نفرًا من الصحابة كانوا يَرُونَ أنه ليس أحدٌ فيهم على الحالة التي فارق عليها النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلا ابن عمر»⁽³⁷⁾.

والشاهد: في قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (رَجُلٌ صَالِحٌ)، فالمسند إليه غير دالٍ على المسند، ولا موحياً به، فلزم ذكر المسند، وإلا كان الكلام ناقصاً.

3- زيادة التقرير:

من ذلك ما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه-: أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ، كَلِمَةٌ لَبِيدٍ: "أَلَا كُلُّ نَبِيٍّ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ"»⁽³⁸⁾. وكاد أُمِّيَّةُ بِنْتُ

أبي الصَّلْتِ أَنْ يُسَلِّمَ»⁽³⁹⁾.

شرح الحديث: يُثْنِي النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى بَيْتِ قَالِهِ الشَّاعِرُ الْمُخَضَّرَمُ الصَّحَابِيُّ لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَقَوْلُهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (أَصْدَقُ كَلِمَةً قَالَهَا الشَّاعِرُ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلًا)، «فالمراد به الخصوص؛ لأنَّ كلَّ ما قرب من الله فليس بباطل، وإنَّما أراد أن كلَّ شيءٍ من أمور الدُّنْيَا الَّتِي لَا تُؤْوِلُ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَلَا تَقْرُبُ مِنْهُ فِي بَاطِلَةٍ»⁽⁴⁰⁾.

والشَّاهِدُ: فِي ذِكْرِ الْمُسْنَدِ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (كَلِمَةٌ لَبِيدٍ)؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهَا تُفَهِّمُ مِنَ السِّيَاقِ بَقْرِينَةَ قَوْلِهِ: (أَصْدَقُ كَلِمَةً)، لَكِنَّهُ عَمِدَ إِلَى ذَلِكَ لِزِيَادَةِ التَّقْرِيرِ وَالْإِيضَاحِ.

4- عدم التَّعْوِيلِ عَلَى الْقَرِينَةِ، وَعَدَمُ أَمْنِ اللَّبْسِ:

مِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: «إِنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، نَعَى زَيْدًا، وَجَعْفَرًا، وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبْرُهُمْ، فَقَالَ أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ، فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ، وَعَيْنَاهُ تَدْرِفَانِ حَتَّى أَخَذَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ»⁽⁴¹⁾.

شرح الحديث: إنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- كَشَفَ لِنَبِيِّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ أَهْلِ مَوْتَةٍ، وَهَمَّ مِنْهُ عَلَى مَنَازِلٍ حَتَّى نَظَرَ مِنْ أَخَذِ الرَّايَةَ مِنْهُمْ وَاسْتَشْهَدَ وَعَدَ الْأَمْرَاءَ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ⁽⁴²⁾.

والشَّاهِدُ: نَعَى النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- "زَيْدًا، وَجَعْفَرًا، وَابْنَ رَوَاحَةَ" لِلنَّاسِ بِذِكْرِ الْمُسْنَدِ الْفِعْلِيِّ (أَخَذَ) مَعَ كَلِّ صَحَابِيٍّ، وَلَوْ قَالَ: (أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ، فَأُصِيبَ، ثُمَّ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ...)، لَوَقَعَ لِبَسٍ فِي ذَهْنِ الْمُتَلَقِّيِّ وَتَوَهَّمَ أَنَّ جَعْفَرًا، وَابْنَ رَوَاحَةَ رَّبَّمَا اسْتَشْهَدَا دُونَمَا أَنْ يَتَسَلَّمَا الرَّايَةَ، فَعَمِدَ لِذِكْرِ الْمُسْنَدِ لِلِاحْتِيَاطِ لضعف التَّعْوِيلِ عَلَى الْقَرِينَةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْمَحْذُوفِ لَوْ حَذَفَ، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ لَهَا مِنَ الْقُوَّةِ، وَالْإِيضَاحِ مَا يَلْهَمُ السَّمَاعَ الْمَعْنَى، وَيَضَعُهُ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَفَاتَ عَلَيْنَا أَنْ نَسْتَشْعِرَ مَدَى حِرْصِ هَؤُلَاءِ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ فِي تَضْحِيحَتِهِمْ مِنْ أَجْلِ بَقَاءِ رَايَةِ الْإِسْلَامِ مَرْفُوعَةً خَفَاقَةً، وَلَوْ كَلَّفَهُمْ ذَلِكَ أَنْ يَبْذُلُوا أَرْوَاحَهُمْ هَيْئَةً رَخِيصَةً.

5- إفادة تخصيص المسند بالمسند إليه:

رَوَى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ:

«لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ، فَأَصْلِحِ الْأَنْصَارَ، وَالْمُهَاجِرَةَ»⁽⁴³⁾.

شرح الحديث: «كانت الأنصار يوم الخندق تقول، وهم يحفرون الخندق حول المدينة وينقلون التراب: "نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما حينئذ أبداً" ما بقينا أبداً فأجابهم -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ مُسْتَمِرَّ أَوْ مَعْتَبَرٍ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ فَأَكْرَمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ"»⁽⁴⁴⁾.

والشاهد: في قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- (لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ)، إذ حصر -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقصر، وخصَّص العيش الحقيقي على عيش الآخرة، وحال المخاطبين والمقام يستدعون ذلك، فهذا الحديث كان في غزوة الأحزاب وقت حفر الخندق، وفيه حثٌّ على الجهاد والزهد في الدنيا.

6- إفادة التَّجَدُّد، وعدم التَّبَوُّت:

سألت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- والنبي -صلى الله عليه وسلم- قائلة: «يا رسول الله تَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ؟ قَالَ: تَنَامُ عَيْنِي وَلَا يَنَامُ قَلْبِي»⁽⁴⁵⁾.

شرح الحديث: سألت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ؟) قيل: إِذْ ظَنَنْتَ أَنَّ الْوِتْرَ إِنَّمَا يَكُونُ فِي إِثْرِ الْعِشَاءِ فَأَجَابَهَا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- "تَنَامُ عَيْنِي وَلَا يَنَامُ قَلْبِي"، وقد بيَّن ابن عَبَّاسٍ ما يَتميز به الأنبياء؛ إِذْ يَقُولُ: «رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ يُفَارِقُونَ سَائِرَ الْبَشَرِ فِي نَوْمِ الْقَلْبِ وَيَسَاوُوهُمْ فِي نَوْمِ الْعَيْنِ وَلَوْ تَسَلَّطَ النَّوْمُ عَلَى قُلُوبِهِمْ كَمَا يَصْنَعُ بَعْضُهُمْ لَمْ تَكُنْ رُؤْيَاهُمْ إِلَّا كَرُؤْيَا مَنْ سِوَاهُمْ وَقَدْ خَصَّهَّمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ بِمَا شَاءَ أَنْ يَخْصَهُمْ بِهِ»⁽⁴⁶⁾.

والشاهد: في قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- "تَنَامُ عَيْنِي وَلَا يَنَامُ قَلْبِي"، إذ ذكر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المسند الفعلي المنفي "لا ينام" الذي يدلُّ على التَّجَدُّد، والسِّيَاق يستدعيه تفضيلاً واختياراً على المسند إليه الاسمي "قلبي لا ينام" الذي يفد التَّبَوُّت؛ حتى يدرك المخاطب مقصوده من هذه البنية العميقة، التي تحلُّ إشكالية الجمع بينه، وبين نومه عليه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن صلاة الفجر؛ التي أجازت أن يكون -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- له نوعان من النَّوْمِ، أحدهما: نوم العين والقلب، والآخر: العين دون القلب، وكان نومه عن الفجر من النَّوْمِ الأوَّلِ، فلو قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "قلبي لا ينام" ما ساع ذلك. والله أعلم.

7- الاحتراز من فهم ما ليس مراداً للمتكلم:

من ذلك ما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- «النَّاسُ تَبِعُوا لِقُرَيْشٍ فِي هَذَا الشَّأْنِ؛ مُسْلِمُهُمْ تَبِعُوا مُسْلِمِيهِمْ وَكَافِرُهُمْ تَبِعُوا لِكَافِرِيهِمْ، وَالنَّاسُ مَعَادِنٌ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَهَمُوا، تَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَشَدَّ النَّاسِ كَرَاهِيَةً لِهَذَا الشَّأْنِ حَتَّى يَقَعَ فِيهِ»⁽⁴⁷⁾.

شرح الحديث: «معنى "مسلمهم تبع لمسلمهم" الأمر بطاعتهم؛ أي: من كان مسلماً فليتبعهم ولا يخرج عليهم، وأما معنى "كافرهم تبع لكافرهم"، فهو إخبار عن حالهم في متقدم الزمان يعني أنهم لم يزالوا متبوعين في زمان الكفر، وكانت العرب تقدم قريشاً وتعظمهم، وكان لهم السدانة والسقاية والرئاسة يسقون الحجيج ويطعمونهم، فحازوا به الشرف والرئاسة عليهم ويريد بقوله: "خيارهم إذا فهموا" أن من كانت له رئاسة وشرف في الجاهلية فأسلم وفقه في الدين فقد أحرز رياسته القديمة وشرفه الثابت إلى ما استفاده من المزيد بحق الدين ومن لم يسلم فقد هدم شرفه»⁽⁴⁸⁾.

والشاهد: في توالي ذكر المسند (تبع)، في قوله -صلى الله عليه وسلم- "النَّاسُ تَبِعُوا لِقُرَيْشٍ"، "المُسْلِمُونَ تَبِعُوا مُسْلِمِي قُرَيْشٍ"، "وَكَافِرُهُمْ تَبِعُوا لِكَافِرِيهِمْ".

وإنما ذلك للاحتراز من فهم أن الناس تبع لقريش في كل الأحوال، وهذا ليس مراداً لكلامه -صلى الله عليه وسلم- وإنما بين حال قريش في الجاهلية، وأن قريشاً كانت تسود العرب، وتقودها مع كفرها وضلالها، فهذا يدل أن قريشاً كانت رأساً في الضلال قبل البعثة، وكذلك هي رأس في الخير بعد الإسلام، وبعد فتح مكة.

8- للتأكيد إذا دلت قرائن الأحوال على احتمال وقوع إنكار:

عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- «أَنْشَقَّ الْقَمَرَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شِقَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «اشْهَدُوا»⁽⁴⁹⁾. وفي رواية أخرى: «اشْهَدُوا، اشْهَدُوا»⁽⁵⁰⁾.

شرح الحديث: «إن القمر انشق في زمنه -صلى الله عليه وسلم- فكان نصفين، نصفاً من وراء حراء، ونصفاً أمامه، ليكون معجزة له -صلى الله عليه وسلم- على صدق نبوته؛ لأن أهل مكة سألوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما في حديث أنس أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر، أخرجه البخاري، فلما وقع ذلك، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «اشْهَدُوا»؛ أي: انظروا ماذا حدث، لأنها معجزة عظيمة»⁽⁵¹⁾.

والشاهد: هذه واقعة عين، ولقد كان الحاضرون يرون انشقاق القمر بدليل

الروايات الأخرى التي لم يرد فيها ذكر المسند الفعلي (اشهدوا)⁽⁵²⁾، فلماذا ذكره -صلى الله عليه وسلم-، بل كرره مرتين في رواية أخرى لنفس الراوي؟ كان ذلك؛ لأن مقام ظهور المعجزات، وخوارق العادات مدعاة للتعجب، والإنكار، ولذا فقد ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- المسند الفعلي مرتين؛ ليكون حجة على من ينكرها ممن لم يحضر هذه الواقعة.

9- بسط الكلام، والمقام مقام بسط:

يقول عدي بن حاتم الطائي: «بيئنا أنا عند النبي -صلى الله عليه وسلم-، إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال: يا عدي، هل رأيت الحيرة؟ قلت: لم أرها، وقد أنبتت عنها، قال: فإن طالت بك حياة، لترين الطعينة ترتجل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة، لا تخاف أحدا إلا الله -قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دعار طيي الذين قد سعروا البلاد؟!- ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى، قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة، لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة، يطلب من يقبله منه، فلا يجد أحدا يقبله منه، ويلقي الله أحداكم يوم يلقاه، وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له، فليقولن له: ألم أبعث إليك رسولا فيبلغك؟ فيقول: بلى، فيقول: ألم أعطك مالا وأفضل عليك؟ فيقول: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم. قال عدي: سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: اتقوا النار ولو بشقعة تمر، فمن لم يجد شقعة تمر فبكلمة طيبة. قال عدي: فرأيت الطعينة ترتجل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة، لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة، لترون ما قال النبي أبو القاسم -صلى الله عليه وسلم-: يخرج ملء كفه...»⁽⁵³⁾.

شرح مفردات الحديث: "لترين الطعينة": أي: المرأة، استعارة من اسم

هودجها.

"ترتل من الحيرة": بكسر الحاء المهملة: مدينة النعمان، معروفة من بلاد العراق. "فأين دعار طيي؟": جمع داعر، وهم قطاع الطريق، "الذين قد سعروا البلاد": أي: ملؤها شرًا وفسادًا، وهو مستعار من استعار النار، وهو توقدتها والتهاؤها⁽⁵⁴⁾.

والشاهد: فقد ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- الجملة المحورية المصدرية

بأداة الشرط، والمسند الفعلي "ولئن طالت بك حياة"، وإنما استدعي ذلك إرادة بسط

الكلام، والمقام مقام بسيط، ويفيد هذا التكرار استنهاض قوى النفس، وبعث نشاطها من جديد، وقد كُزرت الجملة مع الأداة نفسها ثلاث مرات؛ لاستغراق خبايا الشعور، ولجذب الانتباه، ولتحريك الشوق، والتطلع لمراد المخاطب، ولتتمكّن في النفس حتمية تحقّق نبوءة تلك الأمور الغيبية التي يُخبر عنها.

10- التّنصيص على المسند إمعاناً في التّحذير، وقبول النّصح:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنّ النبيّ -صلى الله عليه وسلّم- قال: «يا بني عبد مناف، اشترُوا أنفسكم من الله، يا بني عبد المطلب اشترُوا أنفسكم من الله، يا أمّ الزبير بن العوام عمّة رسول الله، يا فاطمة بنت محمّد، اشترِيا أنفسكما من الله لا أمّلك لكما من الله شيئاً، سلاني من مالي ما شئتم»⁽⁵⁵⁾.

شرح الحديث: «اشترُوا أنفسكم من الله» -عز وجل-؛ أي: باعتبار تخليصها

من العذاب، كأنه قال: أسلموا تسلموا من العذاب. فيكون ذلك كالشراء كأنهم جعلوا الطاعة ثمن النجاة»⁽⁵⁶⁾.

والشاهد: لقد نادى النبيّ -صلى الله عليه وسلّم- على بني قرابته، لكنّه نصّ على كلّ درجة قرابة بجملة محورية ألا وهي: المسند الفعليّ "اشترُوا أنفسكم من الله"، وقد يُقال: إنّه من باب الإيجاز أن ينادي على كلّ درجات قرابته إجمالاً، ثم يذكر مراده مرّة واحدة، وليس في ذلك إخلالاً للمعنى، فما الداعي لذلك؟ فيجاب على ذلك بأن لهذا التّنصيص، ولذلك التكرار قيمة بلاغية أشبه ما تكون بدنونة تستعدها نفس المتلقّي للخطاب، توثّق فيها المعاني، فجاء المسند مكرراً في هذه المواضع؛ ليؤكّد التّحذير، وليبث الخوف في أرجائها، ويملؤها بالإشفاق والحذر؛ فتزعن وتتقبّل النّصح طواعيةً.

11- الإشعار بحقارة المسند:

من ذلك ما رواه ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- يقول: «تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم، ثم يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي ورائي، فاقتله»⁽⁵⁷⁾.

شرح الحديث: «فيه إخبار من النبيّ -صلى الله عليه وسلّم- عن أمر سيقع، وهو أيضاً من علامات نبوته صلى الله عليه وسلّم»⁽⁵⁸⁾ وفيه دليل «على ظهور الآيات بتكلم الجماد وما شاكلة عند نزول عيسى ابن مريم الذي يستأصل الدجال واليهود معه. وفيه دليل على بقاء دين محمد ودعوته بعد نزول عيسى»⁽⁵⁹⁾.

والشاهد: قوله -صلى الله عليه وسلم- "يهودي" إذ نجد في إشارة الحجر إليهم (هذا يهودي) إرادة التحقير والإهانة لهم، ولا عجب فحقد اليهود وعداؤهم للإسلام وأهله قائم منذ ظهور الإسلام، ومستمراً إلى أن تقوم الساعة، وذلك ما دلَّ عليه ذكر المسند.

12- بثُّ الطمأنينة، وإزالة مشاعر الخوف والرَّهبة:

عن أبي بكر -رضي الله عنه- قال: قُلْتُ: «قَدْ أَنْ الرَّحِيلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: بَلَى. فَارْتَحَلْنَا وَالْقَوْمُ يَطْلُبُونَنَا، فَلَمْ يُدْرِكْنَا أَحَدٌ مِنْهُمْ غَيْرُ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشَمٍ عَلَى فَرَسٍ لَهُ، فَقُلْتُ: هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لِحِقْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا»⁽⁶⁰⁾.

شرح الحديث: سأل الصديق -رضي الله عنه- النبي -صلى الله عليه وسلم-: "قد آن الرحيل يا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ أي: دخل وقته (قال): عليه الصلاة والسلام: (بلى) قد آن، "فارتحلنا والقوم"، كفار قريش "يطلبوننا"، "فلم يدركنا أحد منهم غير سراقَةَ بن مالك بن جعشم على فرس له"، "هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله"، فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لا تحزن، إنَّ اللهَ مَعَنَا"، فدعا عليه النبي -صلى الله عليه وسلم-، فارتطمت به فرسه؛ أي: غاصت به قوائمها إلى بطنها⁽⁶¹⁾.

والشاهد: في ذكر المسند الفعلي "لا تحزن"، فهو متحقق ضمناً من تقرير، وتوكيد جملة "إنَّ اللهَ مَعَنَا"، فمن كان الله معه فهو لا يحزن. فلماذا ذكره النبي -صلى الله عليه وسلم-؟ لأنَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- أحسَّ أنَّ الحزن قد بدأ يتملك أبا بكر من فرط خوفه عليه -صلى الله عليه وسلم- أن يصيبه أدنى مكروه لا سيَّما أنه رأى سُرَاقَةَ بن مالك -رضي الله عنه- يتتبعهما ويبحثُ عنهما، فأراد النبي -صلى الله عليه وسلم- بثُّ الطمأنينة، وإزالة مشاعر الخوف والرَّهبة من صدر الصديق، فأنسه بقوله: "لا تحزن".

13- إمعاناً في ذمِّه، وبيان صفاته، والتَّحذير منه:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قال: «تَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ: الَّذِي يَأْتِي هُوَ لَاءَ بَوَّجِهِ، وَيَأْتِي هُوَ لَاءَ بَوَّجِهِ»⁽⁶²⁾.

شرح الحديث: «ذُكِرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نَمُودَجًا سَيِّئًا مِنَ النَّاسِ ذَا مَعْدِنٍ حَسِيْسٍ، وَيَصِفُهُ بِأَنَّهُ شَرُّ النَّاسِ، وَهُوَ الْمُنَافِقُ الْمُتَلَوُّنُ ذُو الْوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي كُلَّ طَائِفَةٍ مِنَ النَّاسِ بِمَا يُرْضِيهَا، فَيَأْتِي هُوَ لَاءَ بَوَّجِهِ يُرْضِيهِمْ، فَيُظْهِرُ لَهُمْ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ أَنَّهُ مِنْهُمْ، وَيَأْتِي أَعْدَاءَهُمْ بِوَجْهِ آخَرَ نَقِيضٍ مَا كَانَ مَعَ الطَّائِفَةِ الْآخَرَى؛ كِي يَسْتَرْضِيَهُمْ، وَيَنَالَ خَيْرَهُمْ. وَهَذَا الذَّمُّ حَاصِلٌ لَمَنْ كَانَ فِعْلُهُ مِنَ السَّعْيِ فِي الْأَرْضِ بِالْفَسَادِ، أَمَا إِنْ فَعَلَ ذَلِكَ

لِإِصْلَاحِ بَيْنِ مُتَخَاصِمِينَ وَنَحْوِهِ، فَلَا يَشْمَلُهُ هَذَا التَّقْبِيحُ. وَيَدْخُلُ فِي وَصْفِ ذِي الْوَجْهِينِ مَنْ يُظْهِرُ الْخَيْرَ وَالصَّلَاحَ، وَإِذَا خَلَا خَلَا بِالْمَعَاصِي الْقَبَاحِ»⁽⁶³⁾.

والشاهد: في قوله -صلى الله عليه وسلم- "الَّذِي يَأْتِي هَوْلَاءَ بَوَجْهِهِ، وَيَأْتِي هَوْلَاءَ بَوَجْهِهِ"، فقد ذكر المسند الفعلي (يأتي) مرتين مع أن السياق يسوغ حذفه، ويكتفى بعطفه فيقال: "الَّذِي يَأْتِي هَوْلَاءَ بَوَجْهِهِ، وَهَوْلَاءَ بَوَجْهِهِ"، لكننا نلمح في ذكره ملمحاً بلاغياً رائعاً؛ إذ إنّه فضح ذلك المنافق المتلَوّن، وبَيّن أن إتيانه هؤلَاء القوم، والقوم الآخرين، كان عن قصدٍ وعمدٍ، وليس عن عفوية، أو أمر عارض ساقه القدر إليه، بل تعمّد ذلك؛ لإحداث الفساد في الأرض، ولذلك كان ذكر المسند إمعاناً في ذمّه، والتّحذير منه.

الهوامش

- (1) قاسم، محمد أحمد: علوم (البيان والبديع والمعاني)، ص312.
- (2) البلاغة العربية (أسسها وعلومها وفنونها)، ج1/ص314.
- (3) السابق، ج1/ص214.
- (4) مناهج جامعة المدينة العالمية: البلاغة ٢- المعاني، ج1/ص152.
- (5) البلاغة العربية (أسسها وعلومها وفنونها)، ج1/ص315.
- (6) الحديث رقم3714، سبق تخريجه ص56.
- (7) الترمذي، محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله: نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، تح: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ج/3، ص184.
- (8) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ [المناقب]، باب مناقب عمر بن الخطاب، أبي حفص القرشي العدويّ ﷺ، الحديث رقم3681، ص500.
- (9) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج6/ص99.
- (10) الحديث رقم3613، سبق تخريجه، وشرحه ص86.
- (11) كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، الحديث رقم3609، ص490.
- (12) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج16/ص141.
- (13) اللَّبْنَةُ هِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ الطَّيْنِ، تُعَجَّنُ وَتُعَدُّ لِلْبِنَاءِ، وَيُقَالُ لَهَا - مَا لَمْ تُحَرَّقْ -: لَبْنَةٌ، فَإِذَا أُحْرِقَتْ فَهِيَ أَجْرَةٌ.
- (14) الحديث رقم3535، سبق تخريجه، وشرحه ص83.
- (15) الحديث رقم3529، سبق تخريجه ص50.
- (16) ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي ثم الدمشقي أبي الفرج زين الدين:

- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تح: محمود بن شعبان بن عبد المقصود، وآخرون، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، ط1، 1417هـ-1996م، ج8/ص426.
- (17) كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ رقم الحديث، 3532، ص482.
- (18) ينظر: الكحلاني: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين: التَّنْوِيرُ شَرْحُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ، تح: محمد إسحاق محمد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، ط1، 1432هـ-2011م، ج4/ص97.
- (19) الحديث رقم 3533، سبق تخريجه، وشرحه ص125.
- (20) اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، ج10/ص119.
- (21) كتاب مناقب الأنصار [المناقب]، باب هجرة النبي وأصحابه إلى المدينة، طرف من الحديث رقم 3906، ص530/531.
- (22) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، ج4/ص314.
- (23) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ [المناقب]، باب قول النبي ﷺ "سدوا الأبواب، إلا باب أبي بكر"، الحديث رقم 3654، ص497.
- (24) ينظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج6/ص214.
- (25) طرف من الحديث رقم 3508، سبق تخريجه ص73.
- (26) توفيق الرب المنعم بشرح صحيح الإمام مسلم، ج1/ص150.
- (27) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ [المناقب]، باب فضل عائشة ؓ، الحديث رقم 3769، ص511/512.
- (28) الكوكب الوهاج والروض المہاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج19/ص243.
- (29) الحديث رقم 3555، سبق تخريجه، وسبق شرحه ص127.
- (30) الحديث رقم 3596، سبق تخريجه ص70.
- (31) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، ج6/ص398.
- (32) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ص131.
- (33) كتاب البلاغة 2- المعاني - جامعة المدينة، ص284.
- (34) كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، الحديث رقم 3592، ص489.
- (35) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، ج2/ص1405.
- (36) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ [المناقب]، باب مناقب عبد الله بن عمر بن الخطاب ؓ، الحديث رقم 3740، ص509.
- (37) الشنقيطي محمد الخضر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني: كوثر المعاني الدراري في كشف حبايا صحيح البخاري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1415هـ-1995م ج1/ص403.

- (38) العامري، ليبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل: ديوان ليبيد بن ربيعة العامري، اعتنى به: حمدو طمّاس، دار المعرفة، ط1، 1425هـ-2004م، ص85.
- ألا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ. وكلُّ نعيمٍ لا مَحَالَةَ زائلٌ. البيت من (البحر الطويل)
- (39) كتاب مناقب الأنصار [المناقب]، باب أيام الجاهلية، الحديث رقم 3841، ص520.
- (40) شرح صحيح البخاري لابن بطال، ج10/ص198.
- (41) الحديث رقم 3757، سبق تخريجه ص84.
- (42) الإفصاح عن معاني الصحاح، ج5/ص332.
- (43) كتاب مناقب الأنصار [المناقب]، باب الحديث دعاء النبي ﷺ "أصْحِحِ الْأَنْصَارَ، وَالْمُهَاجِرَةَ"، رقم 3795، ص515.
- (44) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج6/ص155.
- (45) طرف من الحديث رقم 3569، سبق تخريجه ص53.
- (46) شرح صحيح البخاري لابن بطال ج3/ص141.
- (47) كتاب المناقب، باب قول الله تعالى: **سَمِحَ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا** [الحجرات: 13]، الحديث رقم 3495، ص478.
- (48) ينظر، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، ج14/ص114.
- (49) الحديث رقم 3636، سبق تخريجه ص106.
- (50) كتاب التفسير، سورة النجم والقمر، باب **سَمِحَ أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ** ١ **سَجَى** [القمر: 1] الحديث رقم 4865، ص690.
- (51) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، ج4/ص254.
- (52) كتاب مناقب الأنصار [المناقب]، باب انشقاق القمر، الحديث رقم 3871، ص524.
- (53) الحديث رقم 3595، ص489، سبق تخريجه ص96.
- (54) ينظر: مصابيح الجامع، ج7/ص226.
- (55) الحديث رقم 3527، سبق تخريجه، وشرحه ص80.
- (56) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج6/ص19.
- (57) الحديث رقم 3593، سبق تخريجه ص149.
- (58) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج16/ص134.
- (59) شرح صحيح البخاري لابن بطال، ج5/107.
- (60) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ [المناقب] باب مناقب المهاجرين وفضلهم منهم أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة التيمي ؓ، طرف من الحديث رقم 3652، ص496.

(61) ينظر: إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري، ج6/ص82.

(62) التحديث رقم 3494، سبق تخريجه ص45.

(63) موقع الدرر السنية، الموسوعة الحديثية، <https://www.dorar.net/hadith/sharh/26199>.

المراجع:

1. ابن الدماميني، محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد المخزومي القرشي بدر الدين: مصابيح الجامع، تح: نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، ط1، 1430هـ-2009م.
2. ابن بطلال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك: شرح صحيح البخاري لابن بطلال، تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط2، 1423هـ-2003م.
3. ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي ثم الدمشقي أبي الفرج زين الدين: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تح: محمود بن شعبان بن عبد المقصود، وآخرون، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، ط1، 1417هـ-1996م.
4. ابن هبيرة، يحيى بن هبيرة بن محمد أبو المظفر عون الدين: الإفصاح عن معاني الصحاح، تح: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، ط2، 1417هـ-1996م.
5. أبو سليمان، حمد بن محمد الخطابي: أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، تح: محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي) ط1، 1409هـ-1988م.
6. اليزماوي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني المصري الشافعي: اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، تح: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، ط1، 1433هـ-2012م.
7. الترمذي، محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله: نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، تح: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت.
8. الراجعي، الشيخ عبد العزيز بن عبد الله: توفيق الرب المنعم بشرح صحيح الإمام مسلم، مركز عبد العزيز بن عبد الله الراجعي، ط1، 1439هـ-2018م.
9. الشنقيطي محمد الخضر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني: كوثر المعاني الدراري في كشف حبايا صحيح البخاري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1415هـ-1995م.
10. العامري، ليبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل: ديوان ليبيد بن ربيعة العامري، اعتنى به: حمدو طماس، دار المعرفة، ط1، 1425هـ-2004م.
11. العيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

12. قاسم، حمزة محمد: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، تح: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، الجمهورية العربية السورية، 1410هـ-1990م.
13. قاسم، محمد أحمد، ومحيي الدين ديب: علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1، 2003م.
14. القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القتيبي المصري أبو العباس شهاب الدين: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط7، 1323هـ.
15. الكحلاني: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين: التَّنْوِيرُ شَرْحُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ، تح: محمّد إسحاق محمّد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، ط1، 1432هـ-2011م.
16. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، وصاحبه شمس الدين محمد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرمانّي.
17. الكوراني، أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الشافعي ثم الحنفي: الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، تح: الشيخ أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1429هـ-2008م.
18. مناهج جامعة المدينة العالمية: البلاغة 2- المعاني، جامعة المدينة العالمية.
19. الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة: البلاغة العربية (أسسها وعلومها وفنونها)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1416هـ-1996م.
20. الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تد: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، 1999م.
21. الهزري، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي: الكوكب الوهاج والروض الهجاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور: هاشم محمد علي مهدي، دار المنهاج، دار طوق النجاة، ط1، 1430هـ-2009م.
22. موقع الدرر السنية، الموسوعة الحديثية، <https://www.dorar.net/hadith/sharh/26199>

معاني "من" و "في" و "عن" في ديوان مجمع الفيض للشاعر تكرر الباغوي:

دراسة نحوية

إعداد:

محمد منير بلو

مخلص المقالة:

يعمد الشعر مع اختلاف الأزمنة والأماكن على الذوق والخيال، وذلك للتعبير عن الأحاسيس في صور مختلفة، ولم يكن بنأى عن هذا الحقل أدباء نيجيريا، حيث أتاحت لهم الفرصة أن أتو على واد العشر، وقرضعوفيه بمختلف الأغراض، فكان ديوان الفيض للشاعر محمد تكرر الباغوي مكتبة ثمينة ومنبعًا نفيسًا للأدب النيجيري في تنمية حركة الشعر مع مختلف الأغراض، من مديح ووصف وثناء، ويبد ذلك في قصائده المتدافقة، فنتجب من خلالها صور بيانية رائعة، متعلقة بنفس السامع، وقد استعان الباحث في التنفيذ المقالة، منهج الإستقراء والتحليل في دراسة هذه الديوان النفيس.

مقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على معلم البشرية للهدى، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعتم بإحسان إلى يوم الدين.
وبعد:

فإن الوريقات التي بين أيدينا، عبارة عن المقالة بعنوان "صور من معاني "من" و "في" و "عن" في ديوان مجموع الفيض للشاعر محمد تكرر الباغوي دراسة النحوية" وعلى هذا ستعتمد المقالة على مخورين، الأول يجد عن الشاعر والديوان، حيث أن الثاني يكشف عن معاني "من" و "في" و "عن" ثم التطبيق عنها في الديوان، وتطويعها بالخاتمة وذكر الهوامش والمراجع.

المحور الأول:

- نبذة تاريخية عن حياة الشاعر.

هو الشيخ محمد تكرر بن هارون الباغوي⁽¹⁾ إشتهر بـ "مالم تكرر" وأما والده فهو الشيخ هارون بن محمد الفقيه الصوفي، قدم من بلاد غوز إلى قرية مَشَايَا، فمكث بها بعض السنوات، ثم انتقل منها إلى قرية دُورُنْ بَاغَا، واستقر بها إلى أن التقى بزمره الناشطاً

رحمة الله عليه سنة 1416هـ - 1996م فلما طاب له المقام أنشأ في منزله حلقة علمية يقصد إليها طلاب العلم، كما يتوجه إليه الناس أفواجا للإفتاء والتفقه في الدين، ويشتهد بذلك في أرجوزته قائلا:

وأبوه هارون إمام الأدبا * من صكتوجاء لغوبرنسيا⁽²⁾

مولده ونشأته:

ولد الشاعر الباغوي يوم الأربعاء 7 من شهر ربيع الأول سنة 1381هـ الموافق 1962م، في بيت تضاء قاعته بالعلم بقرية مَشَايَا الواقعة في حكومة المحلية غَشُوا ولاية يُوبِي حاليا، نشأ الباغوي تحت رعاية والديه الكريمين، فتربى على العفاف والتقوى، وعلى سيرة طيبة وحالة حميدة من طلب العلم والفتنة والحفظ⁽³⁾ ويشبر بذلك، في أرجوزته التي قرضها عن مولده:

سبع ربيع أول قد ولد * تكرر لهارون فتى محمدا

وسط ربيع في انسكاب المطر * بورك فيه قد أتى كالبدر⁽⁴⁾

ولما بدأت حركة بُوكُو حُرَامٌ في ولاية بَرْنُو وما جاورها، وعظمت إعتدائها على سكان المنطقة، انتقل الباغوي من دُورُنْ بَاغَا إلى بلد أبيه وأجداده "مدينة كَلْغُو" في ولاية كَيِّي، واستقرها مع جمعاة من طلابه.

تعلمه:

اغترف الباغوي غرفة علمية من أرباب العلوم، فقرأ القرآن على والده وهو لم يناهز العاشرة من عمره، فلما استوى على سوقه بادرفي تحصيل العلوم الإسلامية، فهضم كتب جملة أعانته في توسيع نطاق فكرته، فشدّ الرحاب في تحصيل العلم إلى بعض المراكز العلمية من زَارِيَا وكَانُوا، كما استفاد بالشيخ أحمد أبي الفتح اليرواوي في علوم التفسير.⁽⁵⁾

التعريف بالديوان:

اعتبارا بأن الشعر مقوم على ثلاثة أعمدة التي هي: اللغة والموسيقى والخيال في تمثيله للصورة الفنية، وتعد هذه الصورة الفنية من المميزات الفارقة بين الخطاب والشعري، وعلى هذا فإن ديوان الفيض للباغوي مكلل بهذه الصورة الفنية وعليها أسس قصائده الرائعة التي تبلغ عند وقوف الباحث عليها على مائتين وإحدى عشر قصيدة، مكونة من أربعة آلاف وأربع مائة وثلاثة عشر بيتاً.

الميزته بين دواوين:

امتاز ديوان الباغوي بين دواوين الشعراء النيجيري بأسلوب رائع من الطبيعة التي هي مصدر الخيال عند الشعراء، كما تعدها من المصادر الرسمية لمكونات التصوير الفني في الشعر، على هذا فالديوان قاصر على خيال الطبيعة ممتزج بروح الإسلام، يعتمد على المدح والوصف، وفقا لعادة الدين الحنفي الذي أحل لهم المدح والوصف والرثاء، وكره إليهم الفخر والهجاء والتغزيل، وأما من ناحية المعاني، فقد استحس الباغوي في اختياره لمعان تتميز بوضوحها وقربها وسهولة ادراكها، ومما يؤكد ذلك قوله في إحدى لأميته:

بروح الهدى سلمت مالها * من النور الشمس تبغي الرحيل

فئاتهم الشمس من ضوءها * على النور قد كان فيهم حفيلا

هو الشيخ برهام من برنا * كذاهام في الله ربًا جليلا

تتجل براعة الباغوي على توصيل الإحساس والفكر من أقصر طريق حيث عبر عن ذكر مكانة الممدوح وفضله، وأجاد في استعمال "النور" لإمشاء علاقة التفاضل بين "البروح" و "الشمس" فكان الشيخ الكولخي هو الشمس وسائر المشايخ هم البروح، فستضاء واضوء الشيخ إبراهيم الكولخي.

وممان جاء في تصوير الحج للممدوح مع ذكر مكة والمدينة، وما يقام فيهما من العبادات في البقاء المباركة، منها قوله:

فقادوا المطايا إلى مكة * إلى كعبة الله حطوا ثقيلا

يطوفون بالبيت سبعا كذا * ك يسعون سبعا وصلوا طويلا

إلى قوله:

إلى طبيعة النوى حبَّالها * وطابت عبيرا وطابوا حلولا

أقاموا على روض أفراحهم * فيالينتنى كنت فيهم زميلا

أحال الشاعر بالأبيات إلى الأماكن التي أقام فيها مناسخها، منها الكعبة الشريفة، والسعي بين الصفا والمروة، في زيارته للروضة الشريفة، ومهما يكن من أمر، فإن هذه المواضع مدار تصوير الشاعر، إذ تفجر مشاعر الحنين لها، فكانت مصدرالصوره الفنية.

المحور الثاني:

معاني "من" و "في" و "عن"

من المعلوم أن الحروف الثلاثة من الحروف التي تجر الإسم المأتي بعدها، وتكون أصلية في ملتقى الكلام وحينئذ لا يمكن الإستغناء عنها مهما دار الكلام وإنطجم كما يمكن الإستغناء عنها في كونيتها زائدة، وفيما يلي ذكر معانيها واحد تلو الأخرى.

معاني "من" وهي من الحروف الزائدة، حيث أن الكلام يستقيم بدونها، ويشترط لزيدتها أن يسبقها نفي أو استفهام، وأن يكون مجرورها نكرة، فمثلا تقول: ما أكلت اليوم من شيء، كما يمكن أن تقول: ما أكلت شيء الشيء، ومن المعاني التي تفيد عنها "من" إبتداء الغاية، والتبعيض وبين الجنس، وفي ذلك يقول ابن مالك:

بعض وبيّن وابتدئ في الأمكنة * بمن وقد تأتي لبدء الأزمنة

فمثالها للتبعيض قول الباغوي:

حوى من خصال التقى كلما * تفرق في الرسل فردًا وكيلا

مع الأّل من أهل البيت له * وأصحابه والتجاني جميلا

ويقول في ابتداء الغاية:

بدات كما في ذكر سعي من الصفا * بمروة سعيًا في ذهاب ورجعه

- معاني "في" وهي من الحروف الجر المفيدة للظرفية والسببية

فمثالها للظرفية قول الباغوي:

ولولم يكن في بكّ مولد مصطفى * بكيت دمًا يجرى على كل زفرة

ويقول فيها للسببية:

نطوف بيت الله سبعا وإننا * سكارى حيارى في جلال لعزة

- معاني "عن" يستعمل "عن" في التراكيب العربية من حيث أنها حرف جر مفيدة معنى

المجاوزه، وتأتي في بعض الأماكن تفيد معنى "بعد" و "على" ومما قاله الباغوي في

مجاوزتها:

أخذت عن الشيخ التجاني أمانة * أمام رسول الله في خاصة الصحب

فمثالها في معنى "بعد" قوله تعالى: (لتركبن طبقا عن طبق، أي بعد طبق، وفي إتيانها

بمعنى على "على" قول الشاعر

بعدل وإحسان ليأمر شيخنا * أبو الفتح ينهى الناس عن كل ريبة

أي ينهى الناس على كل ريبة.

- تطبيق ل "من" و"في" و"عن" في الديوان:

ومجمل هذه الأحرف الثلاثة وردت في الديوان في معاني مختلفة مع تباين المواقع وفيما اطلع عليه قلم الباحث أنها وردت في الديوان حوالي ألفين وخمسة مائة وخمسة عشر مرة، وبالفصل عن هذا العدد المجمل ما يأتي:

- "من": وردت في تسع مائة وأربع وتسعين مرة

- "في": وردت في ألف وأربع مائة وعشرة مرة

- "عن": وردت في مائة وأحدى عشرة مرة

ومن بين أدينا ذكر بعض هذه الأماكن مع محل الإستشهاد.

"من" بمعنى إبتداء الغاية:

استعملها الشاعر في الديوان مفيداً بها إبتداء الغاية، في قصيدته الهائية فقال:

هدانا إلى خير الصراط مبلغاً * بخير كتاب منزل الكتاب من السمائه

الشاهد في البيت: من سمائه.

فحرف الجر في البيت يفيد إبتداء غاية إنزال الكتاب من السماء

"من" بمعنى الظرفية:

ورد حرف "من" بمعنى الظرفية، في قافية الشاعر عن حيث قال:

على أولياء الله كل كرامة * بجنات عدن منه يأتهم الرزق

الشاهد في البيت: جنات عدن منه،

والتقدير: جنات عدن كائنة منه.

"في" بمعنى الظرفية:

استعمل الشاعر حرف "في" مفيدة للظرفية في داليتها فقالك

هدانا إلى الدين لاللدنا * إلى الذكر بالذكر في مسجد.

والشاهد في البيت: في المسجد،

والتقدير: الذكر كائن في مسجد، فأفادت "في" هنا الظرفية المكانية

"في" بمعنى السببية:

ورد حرف "في" السببية ف لأمية الشاعر حيث قال:

وأنشدته الشعر في شدة * من الشوق يشمل قلبي شمولاً

الشاهد في البيت: في شدة،

والمعنى أن إنشاده للشعر قاصر لسبب شدة الشوق.

"عن" بمعنى المجاوزة:

أفاد الشاعر معنى المجاوزة بحرف "عن" في قصيدته النونية فقال:

واطرد كثير النوم عن أجفاني * والكسل في الأعضاء يامناني

الشاهد في البيت: عن أجفاني

و"عن" في البيت تفيد معنى مجاوزة النوم عن أجفان الشاعر.

"عن" بمعنى "على"

قول الشاعر في بائية:

ويرضي به المولى عن كل صحبه * بعين ونعت واسم كل ومنصب

الشاهد في البيت: عن كل صحبه،

أي ويرضى المولى على كل صحبه.

الخاتمة:

تناول الباحث في هذه المقالة سيرة ذاتية للشاعر الباغوي، من ميلادته ونشأته مع تعلمه للعلم، ثم انطلق مباشرة عن الكشف بالديوان من حيث مضمون قصائده وأبياته، وميزاته التي تجلت به بين دواوين الشعر النيجري العربي، وما انفك الباحث إلى أن ذكر معاني "من" و"في" و"عن" من خلال حقل النحو العربي مستشهداً بالأبيات من الشعر العربي، وما اختتم الباحث مقالته حتى طبق هذه الأحرف مع هذا الديوان النفيس.

الهوامش والمراجع:

1- نسبة إلى دُوْرُنْ بَاغَا، قرية في ولاية برنو.

2- محمد تکر الباغوي، أرجوزة في تاريخ ولادته، ص 1

3- المرجع نفسه، ص: 1

4- مجلة الأفاق، قسم العربي بجامعة ولاية بوتشي غطو 2017م

5- شوقي ضيف، دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، مصر، 2018م

6- بشرى موسى صالح، الصورة الشعرية في النقد الأدبي الحديث، المركز الثقافي العربي ط\1 1987م.

7- الباغوي، محمّح تکر، الفيض الرباني.

8- حاشية الحضري على شرح ابن عقيل، عالم الكتب، 1998م

9- جلال الدين السيوطي، الإقتراح في أصول النحو وجدله، مكتبة الصفا، 1999م

10- الدكتور محمد بكر إسماعيل، قواعد النحو بأسلوب العصر، دار المنار ط\1 2000م.

مخطوط لوامع الأنور في سيرة الأبرار - دراسة كوديكولوجيا

إعداد:

ا.د.رائد امير عبدالله الراشد

P.Dr.Raed Ameer Abdullah alrashed

كلية التربية الأساسية - جامعة الموصل

الملخص

يعد كتاب (لوامع الانوار) لأبن زقاعة ، من المؤلفات السياسية التي اشتهرت في تاريخ الفكر السياسي الإسلامي ، اذ يشتمل على مسائل السياسية الشرعية، وقضايا الحكم في الإسلام، وفلسفة الاجتماع البشري، وتحديد شرائط السياسة، ورسم هرم السلطة، وأركان الدولة، وسياسة الرئاسة، وعلاقة الراعي بالرعية. وعلاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الأمم. ولقد سار على من قبله في التأليف في هذا المضمار كماوردى وأبو بكر الطرطوشي .

تهدف الدراسة الى التعريف بالكتاب والمصنّف، والكشف عن جهده واسهامه العلمي، والتعرف على خوارج النص للمخطوط.
المخطوط - ابن زقاعة - خوارج النص

Summary

The book (Lawa'a Al-Anwar) by Ibn Zaka'a is considered one of the political works that became famous in the history of Islamic political thought, as it includes issues of legal politics, issues of governance in Islam, the philosophy of human society, defining the conditions of politics, drawing the pyramid of power, the pillars of the state, and the politics of the presidency. The relationship of the shepherd to his flock, and the relationship of the Islamic state to other nations. He followed those before him in writing in this field, such as Al-Mawardi and Abu Bakr Al-Tartushi. The study aims to introduce the book and the compiler, reveal his effort and scientific contribution, and identify the outliers of the text of the manuscript . Manuscript - Ibn Zuqaa - Khawarij text

المقدمة

شهد العصر المملوكي نهضة علمية على جميع المستويات، وبرز في تلك المدة العديد من العلماء في التأليف والتصنيف والتدريس.... ومن العلماء الذين قلت شهرته عند الناس

(ابن زقاعة) الذي لم يكن معروفا كبقية العلماء المشهورين آنذاك، وحاولنا من خلال هذه الدراسة تسليط الضوء على دراسة أحد مصنفاته في هذا الباب، ومن مصنفاته (كتاب لوامع الأنوار في سيرة الأبرار). ليبين لنا أثر النهضة العلمية والتعليمية على مستويات العلماء وتخصصاتهم في ذلك العصر.

وهذه الدراسة تحاول ان تسلط الضوء على أحد تلك الآثار، من خلال دراسة نموذج من هذا التراث الاسلامي، لأحد علمائها والتعريف بها، وقد وقع اختيارنا على مخطوط نادر وبنسخة فريدة. ولعلّ السبب الرئيسي لاختيار هذا الموضوع هو محاولة الوقوف على هذا المخطوط وكشف خباياه وتحليل مضامينه دراسة كودولوجية.

وتكمن أهمية الدراسة في كونها توثيقاً لتراثنا الاسلامي في التعريف بالمؤلف وكتابه لاسيما انه غير معروف. فضلاً عن أهمية موضوع الدراسة الذي تناوله المصنف في السياسة الشرعية.

تهدف الدراسة الى التعريف بالكتاب والمصنّف، والكشف عن جهده واسهامه العلمي، واخراج قسم من تراثه يقينا منا بأن هذا المخطوط يمثل أثراً نفيساً سيسهم وضعه بين ايدي الباحثين في علم السياسة الشرعية بدراسته والتعرف على خوارج النص للمخطوط

والدراسة جاءت في مبحثين مع مقدمة وتمهيد وخاتمة

المبحث الأول تناول دراسة الكتاب

المبحث الثاني تناول دراسة المخطوط المادي.

التمهيد:

صاحب المخطوط ومصنفه هو ابراهيم⁽¹⁾ بن محمد بن بهادر بن عبد الله بن أحمد القرشي النوفلي المعروف بـ(ابن زُقاعة الغزّي)، وذكر ابن تغري بردي⁽²⁾ لقبه وكنيته فقال: "الشيخ الإمام العالم العلامة برهان الدين أبو إسحاق القرشي النوفلي الغزي"، وذكر ابن حجر: "وكان يدعي أنه من بني نوفل بن عبد مناف"⁽³⁾، ويضيف عبد الباسط الملطي "بن أحمد المقرئ، النوفلي، الفوّي"⁽⁴⁾، الشافعي"⁽⁵⁾، وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُ الرَّأْيَ سِينًا مُهْمَلَةً⁽⁶⁾ أي "سقاعة، وفضل ما جاء في نسبه ما ذكره السخاوي: "هو إبراهيم بن مُحَمَّد بن

بهادر بن أحمد بن عبد الله برهان الدين القرشي النوفلي الغزي الشافعي ويعرف بابن زقاعة" (7).

واضاف حاجي خليفة لقب القادري (8). نسبة إلى الطريقة القادرية. وذكره النهائي من ضمن الأولياء الذين ترجم لهم إلا أنه نسبه إلى بلاد المغرب (9)، وهذا وهم منه. ويستدل مما تقدم أن الشيخ إبراهيم بن زقاعة ينتسب إلى سلالة قريشية، أي أنه عربي الأصل، ونسبته بالغزي يشير على ولادته في مدينة غزة، أما صفته بابن زقاعة، فيشير ذلك بأنه دقيق بالوقت. يُقال: زَقَعَ الدَّيْكَ زَقْعًا: صَاحَ كَصَقَعَ، وَمِمَّا يُسْتَدْرَكُ عَلَيْهِ: زُقَّاعَة، بضم الزاي، وفتح القاف المُشَدَّدة: البرهان إبراهيم بن مُحَمَّد بن بهادر بن أحمد الغزي الحوفي العشاب، الشهير بابن زُقاعة (10)، وقال ابن ناصر الدين حول لفظ اسمه: (زُقاعة بزاي مضمومة، وقاف مُشَدَّدة مَفْتُوحَة: ابن زقاعة، الشيخ الصالح العالم المقرئ أبو إسحاق إبراهيم بن مُحَمَّد القرشي النوفلي، كذا رأيت نسبه، وأراه مولى لهم، لأن اسم جده بهادر، وهو عربي) (11).

المبحث الأول: دراسة المؤلف

أولاً: توثيق نسبة المخطوط إلى المُصنِّف:

لقد اثبتت المصادر والمراجع القديمة والحديثة اسم هذا الكتاب (لوامع الأنوار في سيرة الأبرار)، ونسبته لمؤلفه ابن زُقاعة، والذي أكدته العديد من المصادر منها: ذكره الباباني البغدادي (12) في كتابه وقال: "لوامع الأنوار في سيرة الأبرار، تأليف إبراهيم ابن محمد بن بهادر". وقال خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي (13): "وألف رسائل، منها... لوامع الأنوار في سيرة الأبرار". وذكره عمر بن رضا كحالة (14) "له القصيدة التائية... و لوامع الأنوار في سيرة الأبرار".

فضلاً عن أن المخطوط قد ذكر فيه العنوان واسم المؤلف كاملاً على الورقة الأولى وكما يلي: ((لوامع الأنوار في سيرة الأبرار الملك الصالح ظهير أمير المؤمنين، بن مولانا السلطان الأعظم سلطان سلاطين العرب والعجم محيي قواعد العدل والانصاف ماحي مراسم الجور والاعتساف شمس الحق والدين، ادام الله تعالى له العز والتمكين، ما دامت الأيام والسنين، بمحمد واله وصحبه الطيبين الطاهرين، الفه وجمعه أضعف عباد الله تعالى إبراهيم بن محمد بن بهادر غفر الله تعالى لهما. امين))

(15) وجاء ذكر اسم الكتاب في مقدمة المخطوط: ((وقد وسمته بلوامع الأنوار في سيرة الأبرار)) (16).

ثانياً: وصف عام للمخطوط:

يعدّ كتاب (لوامع الأنوار في سيرة الأبرار)، وهو مخطوط قيد الدراسة والتحقيق وهو من المصادر المهمة التي يصنف في سياسة الملوك، تناول فيه المؤلف عدة مواضيع منها: أمور في سياسة الملك، وبعض النوادر وكلام الحكماء، وبعض الادعية النبوية التي تخص الملوك، وقد وضع المؤلف خطته في مقدمة الكتاب اذ يقول: ((ورتبته على أربعة فصول تحتوي على أبواب ومعاني وأصول، وابتدأت بالسياسة إذ هي المقصود والأهم، واتبعتها بالنوادر التي يحتاج إليها في أوقات الخلوات وانتهاء المسرات، وختمته بالأدعية المروية عن الأنبياء والصالحين إذ لا يُستغنى عنها أحد من الملوك والسلطين، ومن الله تعالى أسأل المعونة والتوفيق والارشاد إلى طريق التحقيق)) (17).

وجاءت فصوله كما يلي:

الفصل الأول: في السياسة وتدير الرئاسة ويشتمل على أربعة أبواب:

الباب الأول: في العدل وما ورد فيه، وحسن المواعظ التي تليه

الباب الثاني: في السياسة الملكية ورسوم الملوك والرعية التي يستدفع بها كل مفسدة وأذية.

الباب الثالث: في سياسة الوزراء وأن لا غنى للسلطان عنهم إذ بهم اشتداد الأزر ومشاركتهم في الأمر.

الباب الرابع: في معرفة صُحبة السلطان ومُعاشرته والتَّحذير من مخالفة طاعته.

الفصل الثاني: في وجيزة مختصرة من كلام الحكماء ومنافع تمس الحاجة إليها من قوانين الأطباء ويشتمل على باين:

الباب الأول: في فقه من كلام الحكماء ومحاسن ما روي من وصايا العلماء.

الباب الثاني: في اختيارات من فوائد الأطباء وما نهوا عليه من المنافع والمضار في الغذاء

الفصل الثالث: في النوادر الجديدة والمضاحك الهزلية.

الفصل الرابع: في الدعوات ورفع الحاجات والحث على انتهازها في شريف الأوقات.

ثالثاً: أهمية المخطوط:

تتجلى أهمية هذا الكتاب المخطوط ما تضمنه من علوم الادب وفنون السياسة والادارة واقوال الفلاسفة والحكماء فضلاً عن النصوص التي وردت التي أخذت من المصادر تعد من المفقودات، إذ يعد هذا المخطوط بحق مصدراً مهماً في كتب سياسة الملوك، جمع فيه ابن زُقاعة خلاصة من سبقه من المؤلفين، وحدد فيه العلاقة بين السلطان والرعية، وقدم العديد من النصائح والاقوال والحكم للسلطان التي تعينه في إدارة الحكم للرعية.

وتكمن أهمية المخطوط أيضاً كون ان المخطوط موجه لآحد سلاطين المماليك البارزين إذ قال في المقدمة: "فإني لما رأيتُ سيرة مولانا السلطان العالم العادل المجاهد المعظم ملكِ ملوكِ العرب والعجم، مُحيي قواعد العدل في الأمم، الملك الصالح شمس الدنيا والحق وألدين ... وحيث جعلني الله من عبيد دولته، وغرس نعمته، جعلتُ العلم إليه أفضل هدية تهدي، وأعظم نصيحة تُسدى، لما ورد من فصيح الكلام إن الملك والعلم تؤمان لا غنى لأحدهما عن الآخر،... فهذا الذي حداني على جمع هذا [3ب] الكتاب، وترتيب هذه الأبواب"⁽¹⁸⁾. وبتحقيقه قد نضيف للمكتبة العربية الإسلامية مصدراً جديداً من مصادر التاريخ العربي الاسلامي لينتفع به طلاب العلم.

رابعاً: مصادر المؤلف:

يبقى الفضل لابن زقاعة الذي وضع بين أيدينا هذا المخطوط القيم، ولولا جهوده في تأليف المخطوط وتنقيحه وسد خلله الذي اعتمد على بعض المصادر التي اندثرت او فقدت ولم تصل الينا، وسأذكر هذه الكتب حسب ما جاءت في ثنايا النصوص فقد اعتمد ابن زقاعة في كتابة هذا المخطوط على مصادر عديدة، منها صرح بها، والآخر لم يصرح بها، وهي كما يلي:

أولاً: القرآن الكريم:

في مقدمة الكتب القرآن الكريم: ورد ذكر الآيات القرآنية تسعة وعشرين آية في الكتاب في جميع المواضع.

ثانياً: كتب الحديث الشريف:

اعتمد على عدد من كتب الحديث الشريف وسنوتهم حسب عدد الروايات التي اعتمدها ابن زقاعة: السنن، الترمذي: محمد⁽¹⁹⁾ بن عيسى بن سؤرة، (ت: 279هـ/892م)

وهو أشهر مؤلفات الترمذي وله مكانة كبيرة بين كتب الحديث، فهو من الكتب الستة، ومن كتب السنن الأربعة، ويبلغ عدد أحاديثه (3956) حديثاً، وتضمن الحديث مصنفاً على الأبواب، والفقه، وعلل الحديث، واشتمل على الاسماء والكنى، وعلى التعديل والتجريح، ومن أدرك النبي ومن لم يدركه، وقسم الكتاب إلى (55) باباً، وقد كان النصيب الأوفر من الحكم على هذه الأحاديث من نصيب الإمام البخاري فقد ذكره واحد وثلاثين مرة في عدة مواضع.

عمل اليوم والليل، ابن السُّنِّي: أحمد⁽²⁰⁾ بن محمد بن إسحاق الدِّيْنَوْرِيُّ، (ت: 364هـ/974م)

وهو من الكتب المهمة في التراث الإسلامي التي صنفت في الأذكار، فقد جمع المؤلف ابن السني عن قول النبي (أثناء يومه . بل أثناء حياته كلها . من الأذكار والأوراد، وقد اشتمل هذا الكتاب على (771) نصاً مسنداً، رتبها المؤلف تحت عدد من الأبواب، بدأها ب(باب في حفظ اللسان) وقد يظن أنه لا مدخل لهذه الترجمة في موضوع الكتاب، لكن المؤلف قد قصد بها؛ حفظ اللسان عن غير الذكر، وإطلاقه في كلام وخيمة عاقبته أو غير نافعة. ثم أعقب ذلك ب(باب ما يقول إذا استيقظ من نومه)، (باب ما يقول إذا لبس ثوبه) ... الخ، فقد ذكره ثلاثة وعشرون مرة في عدة مواضع.

- المسند الصحيح، مسلم⁽²¹⁾ بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: 261هـ/874م) وهو الثاني من الكتاب الستة، وأحد الصحيحين، اللذين هما أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز، وصنف هذا المسند من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة، شرط مسلم في صحيحه أن يكون الحديث متصل الإسناد بنقل الثقة عن الثقة من أوله إلى منتهاه سالمًا من الشذوذ، وهذا حد الصحيح على شرط مسلم وليس بصحيح على شرط البخاري، لكون الرواة عنده ممن اجتمعت فيه الشروط المعتمدة، ولم يثبت عند البخاري ذلك فيهم، وأنه قسم الأحاديث ثلاثة أقسام: الأول: ما رواه الحفاظ المتقنون، والثاني: ما رواه المستورون المتوسطون في الحفاظ والإتقان، والثالث: ما رواه الضعفاء المتروكون ذكره في ثمانية عشر مرة في عدة مواضع.

- الصحيح، البخاري، محمد⁽²²⁾ بن إسماعيل بن إبراهيم (ت: 256هـ/869م)

أراد المؤلف أن يجمع كتاباً مسنداً مختصراً مشتملاً على الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه دفعه إلى ذلك ما بينه بقوله: كنا عند إسحاق بن راهويه فقال: لو جمعت كتاباً مختصراً لصحيح سنة رسول الله ، فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع الجامع الصحيح فقام بانتقاء هذه المادة من ستمائة ألف حديث، واستغرق ذلك منه ستة عشرة سنة، وقد تحصل له بنقده لهذه المرويات الضخمة، بشروطه التي اشترطها (7167) نصاً مسنداً تمثل أصح الصحيح لأنه قد أضاف إلى ما اشترط في حد الصحيح تحقق اللقاء بين كل راوٍ من فوقه، والتزم هذا. ثم رتب هذه المادة ترتيباً عجيباً في كتب تندرج تحتها أبواب، وتحت كل باب عدد من النصوص يقل أو يكثر حسبما يتفطن المؤلف في إيراد ذلك. وقد أتت مادة الكتاب مقسمة على (97) كتاباً بدأها بكتاب بدأ الوحي، فكتاب الإيمان، فكتاب العلم، ثم دخل في كتب العبادات الوضوء.. إلخ، وختم الكتاب بكتاب التوحيد يسبقه كتاب الاعتصام بالسنة، ذكره في أربعة عشر مرة في عدة مواضع.

- السنن، أبو داود سليمان⁽²³⁾ بن الأشعث بن إسحاق السجستاني (ت: 275هـ/888م)

ذكره في عشر مواضع. قال: كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث. انتخبت: ما ضمنته. وجمعت في كتابي: هذا أربعة آلاف حديث، وثمانية أحاديث، في: (الصحيح)، وما يشبهه، ويقاربه. ويكفي الإنسان لدينه، من ذلك أربعة أحاديث، أحدها: (إنما الأعمال بالنيات)، والثاني: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)، والثالث: (لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يرضى لأخيه ما يرضاه لنفسه)، والرابع: (الحلال بين، والحرام بين، وبين ذلك مشتميات).

- السنن الكبرى، النسائي: أحمد (24) بن شعيب بن علي الخراساني (ت: 303هـ/915م)

اذ ذكره سبع مرات. السنن الكبرى هو أكبر مجموعة من سنن النسائي، إذ يحتوي على ما يقرب من اثني عشر ألف حديثاً مقارنة بما يقرب من ستة آلاف حديث في النسخة المختصرة، تعد المجموعة الأقصر ثاني أكثر كتب الحديث أصالة بعد صحيح البخاري ضمن الكتب الستة، من قبل معظم علماء الحديث، يتضمن الكتاب 12 جزء كل جزء يحتوي على مسائل عدة.

- المسند، أحمد⁽²⁵⁾ بن محمد بن حنبل الشيباني (ت: 241هـ/855م)

ذكره ثلاث مرات في عدة مواضع، كتاب نفيس من كتب السنة النبوية جمع فيه مؤلفه قرابة الأربعين ألف حديث بالمكرر، ورتبه على مسانيد الصحابة؛ فيذكر الصحابي ثم يسوق تحته ما عنده من أحاديثه غير مرتبه وهذه الطريقة تعرف عند أهل الحديث بالتصنيف على طريقة المسانيد. وهو ثلاثة أقسام: الأول قسم رواه الإمام أحمد بسنده، والثاني: قسم زاده ابنه عبد الله ويسمى زيادات عبد الله والثالث قسم زاده القطيعي. والكتاب في جملة من المصادر الهامة من مصادر السنة إذ أنه يحتوي على كثير من الأحاديث الصحيحة ومعظم الضعيف الذي فيه مما يجبر، وندر فيه الموضوع.

- السنن، ابن ماجه، محمد⁽²⁶⁾ بن يزيد القزويني (ت: 273هـ/886م)

ذكره ثلاث مرات في عدة مواضع. وقال شمس الدين بن الجزري، في سنن ابن ماجه، وهو: سادس الكتب الستة، عند أئمة الحديث احتوى هذا الكتاب على (4341) نصًا مسندًا، وقد رتبها المؤلف على (37) كتابًا، تضمنت تحتها (1534) بابًا. وقد استوعب المؤلف في هذا الكتاب الأصول التي أنبنى عليها الدين الإسلامي، في جوانب العقيدة والعبادة والمعاملات. على أنه لم يكتفي بالثابت من النصوص، بل ربما ذكر الضعيف والواهي، لكنه يسند كل ما يذكر، وبذلك برأت عهده، عملاً بقول المحدثين: من أسند لك فقد أحالك، وقد انفرد المؤلف بقدر كبير من الأحاديث عن باقي الكتب الخمسة، منها ما هو ثابت، وما ليس كذلك، وقد تضمنت هذه النصوص الثابتة أصول مهمة من أصول الدين.

دلائل النبوة، البيهقي: أحمد⁽²⁷⁾ بن الحسين بن علي (ت: 458هـ/1065م)

ذكره مرة واحدة في موضع. جمع المؤلف هذا الكتاب في معجزات النبي (ودلائل نبوته، وبيان شرف أصله، وطهارة مولده، وبيان أسمائه وصفاته، وقدر حياته، ووقت وفاته، وغير ذلك مما يتعلق بمعرفته، بشرط الاكتفاء بالصحيح من السقيم، والاجتزاء بالمعروف من الغريب، إلا فيما لا يتضح المراد من الصحيح أو المعروف دونه، فيورده مع كون الاعتماد على جملة ما تقدمه من الصحيح، أو المعروف عند أهل المغازي والتواريخ. بهذه العبارات قرر المصنف منهجه الذي اختطه لنفسه في هذا الكتاب، وقد بلغت النصوص التي أوردها المؤلف (3281) نصًا مسندًا).

– الأذكار، النووي: أبوزكريا محيي الدين (28) يحيى بن شرف النووي (ت:676هـ/1277م)

لخص فيه: (الأذكار) للنووي؛ وما في الكتب المشهورة الثمانية: يعني (الصحيحين)، و (السنن الأربعة)، و (ابن السني)، و (الدارمي). وهو كتاب مختصر ممن ذكرناهم وحذف من أغلبه الاسانيد ورتبه على عدة ابواب كل باب يحتوي على عدة مواضع حتى يسهل على القارئ مراده. وقد اعتمده كثيرا في باب الادعية.

ثالثاً: مصنفات العلماء

ومن الكتب والمؤلفين الذين ذكرهم ابن زقاعة في كتابه المخطوط وأخذ منهم، كل من:

1. التبر المسبوك في نصيحة الملوك، محمد⁽²⁹⁾ بن محمد الغزالي (المتوفى: 505هـ/1111م): الكتاب للإمام أبو حامد الغزالي، صنّفه في أواخر أيامه باللغة الفارسية للسلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي (ت:511هـ / 1117م)، ونقله إلى العربية أحد تلامذته وهو صفي الدين علي بن مبارك بن موهوب الأربلي في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر للميلاد بطلب من الأتابك ألب قتلج حاكم الموصل (ت:595هـ / 1199م)، الكتاب يضم موضوعات متنوعة في النصيحة للملوك، والسياسة، والاجتماع، جاءت بشكل نصائح ومواعظ ووصايا أخلاقية، هدفها منفعة الحاكم والسياسي، اذ شملت على أصول الدين وإرشاده في حكم الرعية وتأديب الحاشية وعمال البلاط، اعتمده ابن زقاعة في تصنيف كتابه (لوامع الدرر)، وصرح به في موضعين: الأول (وقال الامام أبو حامد الغزالي في الإحياء: الدعاء عشرة: الأول: أن يتصد الأيمان الشريفة كيوم عرفة، وشهر رمضان، ويوم الجمعة، والثالث الأخير من الليل، ووقت الأسحار)⁽³⁰⁾، وفي موضع ثاني ذكر الغزالي وقال: (قال الغزالي: فان قيل: فما فائدة الدعاء مع أن القضاء لا مرد له؟ فاعلم أن من جملة القضاء رد البلاء بالدعاء، والدعاء سبب لرد البلاء، ووجود الرحمة، كما أن الترس يدفع السهم)⁽³¹⁾.

2. كليلة ودمنة: المنسوب إلى عبد الله ابن المقفع (ت:142هـ/752م):

هذا الكتاب يقال ترجمه عبد الله بن المقفع من الفهلوية إلى اللغة العربية في العصر العباسي وتحديداً في القرن الثاني الهجري الموافق للقرن الثامن الميلادي، وصاغه بأسلوبه الأدبي مُتصرفاً به عن الكتاب الأصلي. ويتضمن مجموعة من القصص التي

أبطالها من الحيوانات، إذ يتألف الكتاب من خمسة عشر باباً، ومن أبرز شخصيات الحيوانات التي يتضمّمها الكتاب، الأسد الذي يلعب دور الملك، وخادمه الثور الذي يُدعى شَتْرِيَه (أو شَنْزَرِيَه في بعض النسخ)، بالإضافة إلى اثنين من بنات آوى وهما (كليلة)، و(دمنة). كما يتضمن أربعة أبواب أخرى جاءت في أولى صفحات الكتاب، وهي: باب مقدمة الكتاب، وباب بعثة برزويه إلى بلاد الهند، وباب عرض الكتاب (ترجمة عبد الله بن المقفع)، وباب بروزيه (ترجمة بُرْجَمِهْر بن البُخْتَكَن). وصرح به ابن زقاعة في كتابه، من ذلك: (وقال صاحب كليلة ودمنة: إذا رأى الملك أن رجلاً يساويه في المنزلة والرأي والهمة والمال فليصرعه، فإن لم يفعل، فهو المصروع)⁽³²⁾.

3. البيان والتبيين، للجاحظ⁽³³⁾: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت: 255هـ/868م)

يُعد كتاب البيان والتبيين ثاني أهم كُتُب الجاحظ، بعد كتابه الحيوان، إذ يتضمن الكتاب مختارات من الأعمال الأدبية، بما في ذلك الخطب والقصائد والتعليقات والرسائل ويتطرق الكتاب للبلاغة والخطابة، وقد اعتمده ابن زقاعة في كتابه وصرح به ابن زقاعة إذ قال: (قال الجاحظ: ثلاث كلمات لأمير المؤمنين علي عليه السلام هنّ خير من الدنيا وما فيها وهي قوله: احتج إلى من شئت تكن أسيره، واستغن عن من شئت تكن نضيره، وتفضل على من شئت تكن أميره)⁽³⁴⁾.

4. ديوان صفي الدين الحلي (ت: 752هـ/1351م)

ديوان شعر، وقد اخذ ابن زقاعة من هذا الديوان بعض أبيات الشعر من ذلك: (ولله در صَفِيِّ الدِّينِ الحَلِيِّ حيث يقول فيه

سَقَى اللهُ أَرْضًا نَوْرَ وَجْهِكَ شَمْسُهَا وَحَيًّا سَمَاءً أَنْتَ فِي أَفْقِهَا بَدْرُ

وَرَوَى بِلَادًا أَجْوَدُ كَفِّكَ غَيْثُهَا وَفِي كُلِّ قَطْرٍ مِنْ نَدَاكَ بِهَا قَطْرٌ⁽³⁵⁾)

5_ وأخذ من سليمان بن عبد الحق (ت: 761هـ/1360م)، إذ قال في الكتاب المخطوط

ولله در سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الحَقِّ حيث جاد بقوله في مولانا السُلطان الملك الصالح خلد

الله مُلْكُهُ.⁽³⁶⁾

أما المصنفات التي لم يذكرها في نص المخطوط

من خلال تتبع الروايات فإننا وجدنا انه يكثر من النقل من بعض المصادر من دون الإشارة إلى المؤلف او المصدر وهي:

_ التذكرة الحمدونية، لابن حمدون: بهاء الدين⁽³⁷⁾ محمد بن الحسن بن محمد (ت: ٥٦٢هـ/1166م)

يعد كتابه التذكرة الحمدونية من الكتب الأدبية التاريخية التي ضمت فنون النثر والأدب والتاريخ اذ احتوى على النوادر والمجون، والفوائد التاريخية، والفنون الشعرية، والنثرية، وقد نقل منه ابن زقاعة كثيراً.

_ البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي: علي⁽³⁸⁾ بن محمد بن العباس (ت نحو ٤٠٠هـ/1009م)

هو عبارة عن موسوعة ادبية، انتخبها أبو حيان من روائع ما حفظ وسمع وقرأ، والكتاب يتكون من أبواب وفصول متناثرة. يبدأ التوحيدي عادة فصوله بابتهالات شديدة البلاغة والبيان وينتهي بذات الطريقة، وبين البداية والنهاية يورد أخبارا وحكايات وقصص وفوائد في كل علم، وضم الكتاب فوائد فقهية، تفسيرية، حديثية، لغوية باختلاف علوم اللغة، ونجد فوائد تاريخية، والنكات والطرائف والملاحظات والنقد، وأشعار مختارة، وحكم، وأقوال لبعض أئمة الزهد والتصوف.

- ربيع الأبرار، الزمخشري: محمود⁽³⁹⁾ بن عمر (ت: ٥٨٣هـ/1187م)

كتاب ادبي تاريخي اخباري، جمع الزمخشري فيه ما يتصل بكل موضوع من أحاديث الرسول ﷺ، ثم ما ورد عنه من أقوال الصحابة ويتبعه بأقوال التابعين والعباد والزهاد والنسك، والحكماء من العرب والفرس، والشعراء وأقوال أبناء بني إسرائيل وغيرهم، وما كان يسرد قصصاً مسلية، وأخباراً متصلة بتاريخ العرب وملوكهم وخلفائهم وأمراءهم وقوادهم ومغنيهم وشعرائهم. ينقسم الكتاب إلى خمسة أجزاء مقسمة إلى ثمان وتسعين باباً.

- سراج الملوك، الطرطوشي: أبو بكر⁽⁴⁰⁾ محمد بن محمد ابن الوليد

الفهري المالكي (ت: ٥٢٠هـ/1126م)

يصنف الكتاب في فن السياسة والحكم، وما يجب أن يكون عليه الراعي والرعية، وأتم هذا وقدمه إلى الوزير (مأمون البطائحي)، ويتألف الكتاب من أربعة وستين فصلاً تتناول سياسة الملك وفن الحكم وتدير أمور الرعية، وقد تناول في كتابه الخصال التي يقوم عليها الملك، والخصال المحمودة في السلطان والتي تمكّن له ملكه، وتسبغ الكمال عليه، والصفات التي توجب ذم السلطان، وعرّج على ما يجب على الرعية فعله إذا جنح السلطان إلى الجور، وتناول صحبة السلطان وسيرته مع الجند، وتحدث الطرطوشي في كتابه عن الوزراء وصفاتهم وأدابهم، وتكلم عن المشاورة والنصيحة باعتبارهما من أسس الملك، وعرض لتصرفات السلطان تجاه الأموال والجباية، ولسياسته نحو عماله على المدن، وتناول سياسة الدولة نحو أهل الذمة، وما يتصل بذلك من أحكام، وتحدث عن شئون الحرب وما تتطلبه من سياسة وتدير.

- التمثيل والمحاضرة، الثعالبي: عبد الملك⁽⁴¹⁾ بن محمد بن إسماعيل (ت: 429هـ/1037م)

من عيون كتب الأمثال في الأدب العربي، وقد تفنن الثعالبي في تبويبها ودراستها، وتناولها من أوجه مختلفة، امتازت بالتبويب البارع الذي أخضع له منهج الكتاب فأبعده عن النسق المعجمي لكتب الأمثال. ولم يقتصر فيه على جمع الأمثال المتداولة المعروفة، بل ذهب إلى جمع كل ما يجري مجرى المثل من أقوال القدماء والمحدثين، جمع فيه: من الكتب المنزلة، وكلام الأنبياء، والأكابر، وعيون أمثال العرب، والعجم، وحكم الفلاسفة. ورتب على أربعة فصول: الأول: في المدخل، والثاني: فيما يجري مجرى الأمثال، والثالث: فيما يكثر التمثيل به، والرابع: في سائر الفنون والأغراض.

- درر السلوك، الماوردي: علي(42) بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (ت: 450هـ/1058م)

مما دفع الماوردي على كتابة هذا الكتاب هو تقديمه لهيئة الدولة أحمد بن عضد الدولة بن بويه، الذي تولى إمارة بغداد سنة 379هـ/989م، اعتمد الماوردي في كتابه على مصادر متنوعة فاستدل بالكتاب ورجع إلى دواوين السنة، وكتب السير والأخبار، وركز على تجربته الفرس في الحكم، قسم الكتاب إلى قسمين الأول: في أخلاق الملك، والثاني: في سياسة الملك.

خامساً: منهج المؤلف ابن زُقاعة:

اختط ابن زُقاعة في كتابه منهجا سار عليه وتتضح معالم هذا المنهج في النقاط

الآتية:

- 1- بدأ ابن زُقاعة بمقدمة يسيرة أفتتحها بالبسملة والحمدلة، اقتداءً بالقرآن الكريم والسُنَّة الفعلية للنبي ﷺ وسيراً على منهج أهل العلم والمصنفين، ثم تلت بالصلاة والسلام على النبي ﷺ اظهاراً لعظمة قدره، وأداءً لبعض حقوقه الواجبة، وامثالاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾⁽⁴³⁾، ثم عطف عليه بالصلاة والسلام على الانبياء والأتباع والأولياء، وبعد هذا الاقتداء تحدث عن فضل العلم والعدل وقال: (فاني لما رأيت سيرة مولانا السلطان العالم العادل المجاهد المعظم ملك ملوك العرب والعجم، محيي قواعد العدل في الامم، الملك الصالح ناصر الحق بالبراهين، منصف المظلوم من الظالمين)⁽⁴⁴⁾.
- 2- رتب ابن زُقاعة كتابه إلى أربعة فصول: تحتوي على أبواب ومعاني وأصول، ففي الاول: ابتداءً بالسياسة، وأتبعها بالنوادر التي يحتاج اليها في اوقات الخلوات وانتهاء المسرات، وختمها بالأدعية المروية عن الانبياء والصالحين. وفي الفصل الثاني: اختصر من كلام الحكماء ومنافع تمس الحاجة اليها من قوانين الاطباء. والفصل الثالث اتخذ النوادر الجديدة والمضاحك الهزلية. وختم الفصل الرابع: في الدعوات ورفع الحاجات والحث على انتهازها في شريف الأوقات.⁽⁴⁵⁾
- 3- أتبع ابن زُقاعة في الشرح الاسلوب المزجي الذي جمع فيه عبارة المتن مع الشرح، وهذه التي لا يجيدها الا الأديب البارع في صناعة الأدب وفنونه في الكتابة والانشاء والترسل، والماهر الحذق في اساليب الكتابة والتحرير.
- 4- اعتمد ابن زُقاعة منهج الايجاز والاختصار في نقل الأخبار والروايات لاسيما في المواعظ والنصح والارشاد، تجنباً للإطالة وخشية من ملل السلطان، واكتفى بالاستشهاد من القرآن الكريم، أو الاحاديث النبوية، وأقوال الحكماء والفلاسفة.

- 5- يكتفي ابن زقاعة احياناً بذكر ونقل آراء أحكام العلماء، وأقوال الملوك والسلاطين، ومن روايات بعض كتب المؤلفين من دون الاشارة إلى المصدر ونسبته مؤلفه او قائله، ويكتفي بذكر لفظة: "قال بعضهم"، او "قال"، او "قيل"⁽⁴⁶⁾.
- ولم يكتف بنقل الآراء والأقوال، بل كان يعمل فكره فيها، ويسير اغوارها، ويناقش ويعلل ويعلق ويعترض ويرجح، مما يستدل على سعة علمه واطلاعه في فنون العلوم والمعارف و فلسفتها والحكمة منها.
- 6- يذكر ابن زقاعة سلسلة اسناد الأحاديث النبوية، مع ذكر صحته الحديث ومرتبته أحياناً.⁽⁴⁷⁾
- 7- يعلق احياناً على بعض الأحاديث مثل.. " فيستحب في كل موطن "⁽⁴⁸⁾ على سبيل الحث والنصح والارشاد والترغيب
- 8- يروي بعض الأخبار والأقوال والحكم بصيغة: روى، روي، ورواه. من دون الاشارة إلى مصدر المؤلف⁽⁴⁹⁾.
- 9- احياناً يؤكد ابن زقاعة على بعض الادعية التي تخص الملوك والسلاطين بعبارة (أهم ما يفتقر اليه)⁽⁵⁰⁾.
- 10- كثيراً ما يتصرف في النصوص التي ينقلها من الكتب، بل حتى رأيناها يتصرف في متون الأحاديث. وربما يستدل بذلك على سعة وقوة حفظه للنصوص والأخبار والروايات والأحاديث التي تعتمد إلى الحفظ ما في الصدور لا النقل ما في الكتب والسطور.
- 11- أحياناً يعلق على بعض النصوص من ذلك: (ولا شك أن أولى الناس بفعل الخيرات الملوك والسلاطين؛ ليظفروا في العاجلة بجميل الذكر المستطاب، وفي الآجلة بجزيل الأجر والثواب، ويجب على الملوك اجتناب هذه الخصال وهي: الكبر، والتجبر، والإعجاب، وكثرة الحجّاب، وارتكاب المعاصي، والاشتغال باللذات، وترك الاطلاع على باب الولايات، والاستبداد برأيه، وترك المشورة، وخلف الوعد والوعي، والحدة، وسوء الخلق، والبخل، والجبن، والتواني، والكسل، والهزل، والجهل، ولولا خوف الاطالة لشرحنا ما جاء [11ب] في هذه الخصال المذمومة من سوء العاقبة"⁽⁵¹⁾.
- 12- أحياناً يقدم النصائح للسلطان على سبيل النصيح والارشاد والحث والتعليم والترغيب والترهيب من ذلك: (فعلى مولانا السلطان العادل والملك المعظم الفاضل بمجالسة العلماء النصحاء الذين يُشوقون إلى الأخرة، ويرغبون في العمل الصالح،

- وإنه ليس أحد من أهل المراتب والدرجات العلية أحوج إلى العلم ومجالسة العلماء ومذاكرة الفقهاء، وسير الملوك والأنبياء، وكلام الحكماء من السلطان؛ لأنه قد نصّب نفسه لممارسة أخلاق الأنام، وفصل الأحكام، وجب عليه إقامة شرائع الإسلام، وكشف المظالم بين الخاص والعام، لأن الله قلده أمر خليقته، وسياسة بريته، فهو أحوج إلى العلم؛ لمدارة الخلق لأنه المسؤول عنهم⁽⁵²⁾.
- 13- يكثر من الدعاء للسلطان في ثنانيا النصوص منها: (مولانا السلطان الملك العالم العادل المجاهد المرابط الملك الصالح شمس الدنيا والدين، خلد الله تعالى دولته بكل سعادة تخضع لها أعناق العباد، وأمهه بالتوفيق والسداد، إلى يوم الحشر والمعاد)⁽⁵³⁾.
- 14- يستخدم بعض العبارات الموجهة للسلطان على سبيل الالتزام مثل: (فعلى مولانا السلطان العادل والملك المعظم الفاضل بمجالسة العلماء النصحاء الذين يشوقون إلى الآخرة، ويرغبون في العمل الصالح، وإنه ليس أحد من أهل المراتب والدرجات العلية أحوج إلى العلم ومجالسة العلماء ومذاكرة الفقهاء)⁽⁵⁴⁾.
- 15- يستشهد كثيراً بأقوال الحكماء بقوله: قال الحكماء، أو قال حكيم. من ذلك: وقال بعض الحكماء: (إذا زادك السلطان تانيساً فزده اجلالاً وتعظيماً، وإذا جعلك أخاً فاجعله أباً، وإذا زادك قرباً فزده تواضعاً وخضوعاً كفعل العبد مع سيده، وقال حكيم: اصْحَبُ السُّلْطَانَ بِالْحَدَرِ، وَالصَّدِيقَ بِالتَّوَاضُّعِ، وَالْعَدُوَّ بِالْجَهْدِ، وَالْعَامَةَ بِالْبِشْرِ، وقال حكيم: صاحب السلطان كراكب الأسد، يخافه الناس وهو لمركبه أخوف)⁽⁵⁵⁾.
- 16- يستشهد كثيراً بأقوال الفلاسفة وقصصهم كأرسطو، وسقراط. من ذلك: وقال أرسطو طاليس للإسكندر وهو صبي [10أ]: (إن وليت الملك أين تضعني؟ قال: حيث تضعك طاعتك، قال: الآن علمت أنك تستحق الملك)⁽⁵⁶⁾، والنقل من الوزراء والحكماء العجم مثل: موبذ موبذان، انوشروان، بزرجمهر من ذلك: "وقيل لبزرجمهر كيف اضطرب بعض أمور آل ساسان وفيهم مثلك؟ قال: لأنهم استغنوا بأصاغر العمال على أشرف الأعمال فآل أمرهم إلى ما آل"⁽⁵⁷⁾.
- 17- يستشهد كثير بالأشعار، ألا أنه في أغلب الأحيان لا ينسبها إلى قائلها من ذلك: غيره في

الكرم:

كَرِيمٌ لَا تُغَيِّرُهُ اللَّيَالِي وَلَا الْأَيَّامُ عَن خُلُقِي جَدِيدِ
يَزِيدُ سَمَاحَةً وَيَزِيدُ مَجْدًا وَيُصْبِحُ كُلَّ يَوْمٍ فِي مَزِيدٍ⁽⁵⁸⁾.

المبحث الثاني: دراسة المخطوط

أولاً: وصف المخطوط:

المخطوط هو نسخة فريدة، فبعد البحث والتقصي في معظم فهرس ومكتبات المخطوطات لم نجد نسخة ثانية غير هذه النسخة، كما أكد ذلك المحقق الذي حقق ديوان ابن زقاعة الذي قال عن كتاب لوامع الأنوار في سيرة الأبرار: ((من خلال البحث عن مؤلفات ابن زقاعة في الفهارس المتاحة وجدنا البعض منها مفقوداً مثل لوامع الأنوار في سيرة الأبرار حاولنا الوقوف على نسخة منه فلم نجد له ذكراً في فهرس الكتب والمكتبات و إنما مجرد عنوان من عناوين مؤلفاته من خلال كتب التراجم))⁽⁵⁹⁾ والنسخة التي بين أيدينا مصورة عن الأصل، والموجودة في مكتبة أيا صوفيا في تركيا برقم (2899)، وقد عدناها نسخة الاصل (الام)، إذ بلغ عدد ورقاتها: (80) ورقة، قياس كل صفحة من صفحتي الورقة (9×13) سم، وفيها: (13) سطراً، وفي كل سطر (9) كلمة تقريباً.

ثانياً: خوارج النص

المخطوط قد كتب بخط النسخ على الورق الأصفر، باللون الأسود. واستخدمت فيها الألوان الزاهية في تحلية وتزيين المخطوط، فكتبت الابيات الشعرية بالحبر الأحمر والعناوين باللون البني الغامق وبخط عريض، أما بداية اسماء التراجم فكتبت بخط عادي.

أما سنة النسخ فقد ورد في نهاية المخطوط بما نصّه: ((وكان الفراغ من نسخه يوم السبت تاسع عشر جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين وسبعمئة والحمد لله وحده وصلى الله على نبينا محمد واله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً))⁽⁶⁰⁾

ثم تأتي ورقة الغلاف الثانية وعلى صفحتها ما نصّه: ((بِرِسْمِ مَوْلَانَا الْجَنَابِ الْكَرِيمِ الْعَالِي الْمَوْلَوِيِّ الْأَمِيرِيِّ الْكَبِيرِيِّ الْمَخْدُومِيِّ الْأَصِيلِيِّ الْفَصِيلِيِّ السَّيِّدِيِّ ابْنِ السَّنْدِيِّ النَّوِيِّ الْوَهْبِيِّ الْعَضْدِيِّ الْأَمِيرِيِّ أَحْمَدَ الْمَسْمِيِّ بِقُرْجَا⁽⁶¹⁾ الْبَاشَا كَانَ مَتَوَلِيَا بِحَلْبِ الْمَحْرُوسَةِ اعْزَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَاسْبَغَ ظِلَالَهُ، وَجَعَلَ الْجَنَّةَ دَارَهُ، أَحْمَدُ أَجْمَعِينَ

على يد فقيره وحقييره المحب الأكبر، والمكين الأصغر محمود بن مصطفى الخطيب بالجامع الاموي بحلب بالمحروسة، غفر الله ولوالديه ولجميع المسلمين اجمعين.

بوجودكم نزل السرور بساحتي وغدا بها عين طمير الهناء وبكبر
سبحان من أبدل بالعزّ ذلّي وأنا لي عزّاً عليه أحد⁽⁶²⁾:

وعليها تملكيات الورقة الثانية من الجانب الايمن: ((قد وقفَ هذه النُسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم، مالك البرين والبحرين، خادم الحرمين الشريفين، السلطان بن السلطان الغازي محمود خان، وقفاً صحيحاً شرعياً لمن طالع واسترشد وانا ب واستسعد، خلد الله ملكه الامجد، حرره الفقير أحمد شيخ زاده، المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين، غفر لهما))

وفي نهاية المخطوط بعد ان انتهى من كتابة النص ختم النص بدعاء ونصه: ((وأرجو من الله الملك الوهاب أن يتجاوز عمّا صدر من مؤلف الأبواب، فقد يكبو الحليم، وينبوا الحسام، ولو لم يكن هفو لما عرف عفوّ، اللهم بقدرتك ورحمتك تب عليّ إنك أنت التواب، وبحلمك اعفُ عني إنك أنت الوهاب الغفار، واحشرنا في زمرة محمد صلى الله عليه وعلى آله الأخيار وذويه، يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه)). وفي آخر المخطوط، انتهى النص بعبارة: ((لصاحبه السيادة، وطول العمر ما ناحت حمّا)).

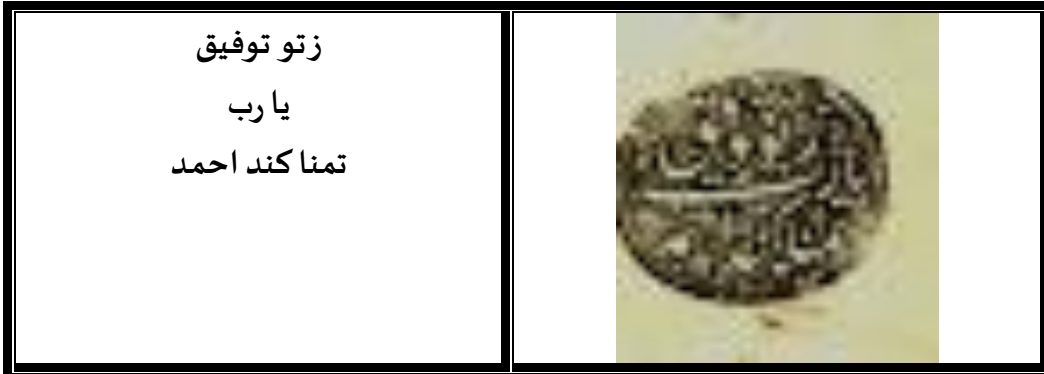
وكذلك العبارة التالية (طالع العبد الفقير الحقير الكبير أفر خلق الله عثمان بن محمد بن عثمان المقري القادري البكري الشافعي بلغه الله العلم وزينه بالحلم انه كريم منان).

كما وجد على المخطوط عدة اختام منها:

على الورقة الأولى: وضع ختم مدور في أعلى الصفحة مكتوب فيه: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ثم توقيع .



الورقة الثانية: يوجد ختم المفتش و نقشه على يمين الورقة: (زتو توفيق تمنا كند احمد يا رب)



كما جاء بيتان شعر من وضع الممتلك

شعر

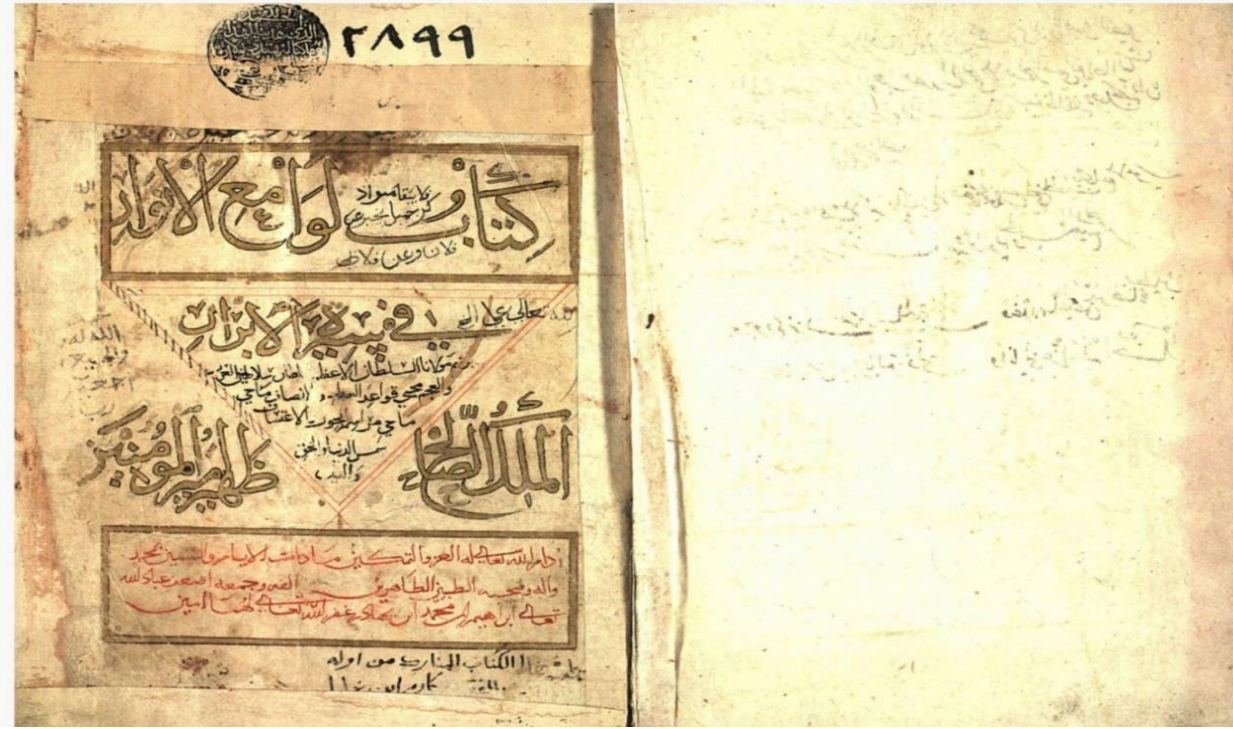
ولدتك أُمُّكَ يَا بَنَ آدَمَ بَاكِيًا مَسْتُوحِشَا⁽⁶³⁾ وَالنَّاسَ حَوْلَكَ يَضْحَكُونَ سُورًا
فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ أَنْ تَكُونَ إِذَا بَكُوا فِي حَالٍ⁽⁶⁴⁾ مَوْتِكَ ضَاحِكًا مَسْرورًا

غيره

إِذَا هَبَّتْ رِيَا حُكَّ فَآغْتَنِمَهَا فَانْ لِكُلِّ خَافِقَةٍ سُكُونُ
وَلَا تَغْفَلْ⁽⁶⁵⁾ عَنِ الْإِحْسَانِ فِيهَا فَمَا تَدْرِي السُّكُونُ مَتَى يَكُونُ

ثالثاً: صور من المخطوط:

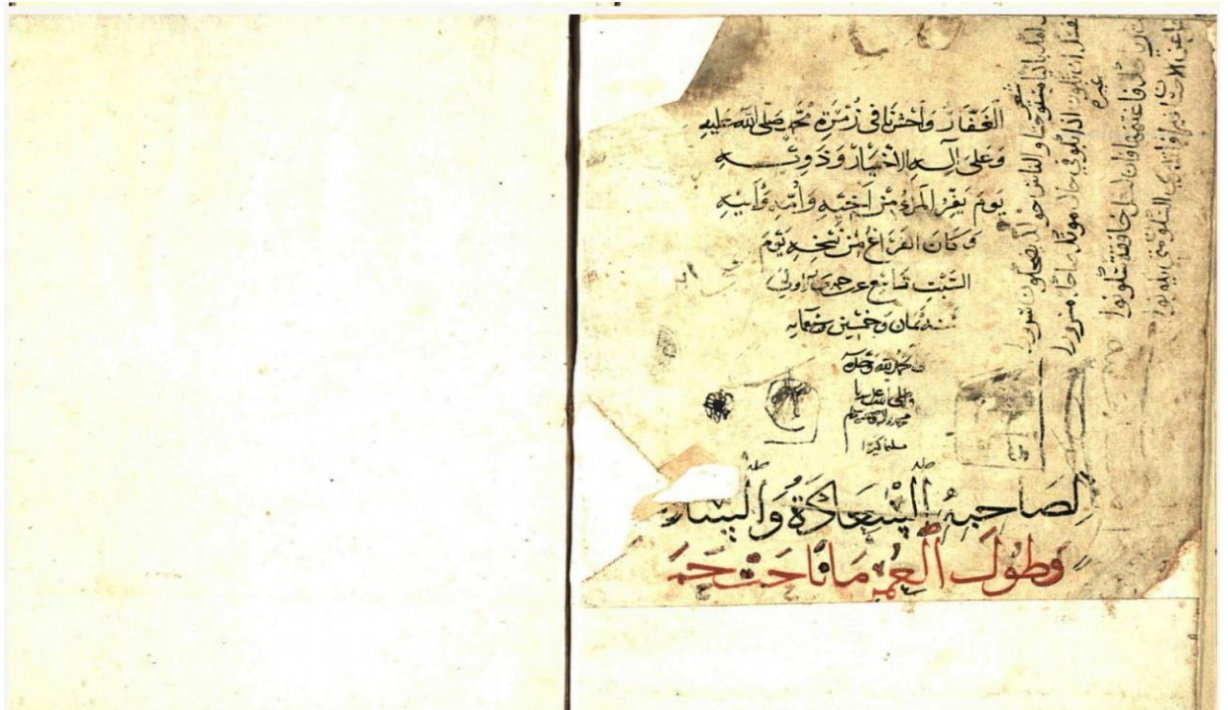
اللوحة الأولى من المخطوط



اللوحة الثانية من المخطوط (مقدمة المخطوط)



اللوحة الأخيرة من المخطوط



الهوامش

- (1) ينظر ترجمته: ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني (ت:852هـ/1449م)، إنباء الغمر بأبناء العمر، تح: حسن حبشي، (لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، 1969م)، 17/3؛ ابن تغري بردي، يوسف بن عبد الله (ت:874هـ/1470م)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تح: محمد محمد أمين، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ت)، 165/1؛ السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت:902هـ/1497م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت)، 130/1؛ ابن العماد: عبد الحي بن أحمد بن محمد العكبري الحنبلي (ت:1089هـ/1678م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، (دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1986م)، 172/9؛ الطبايع الغزي: عثمان مصطفى (ت:1370هـ/1950م)، إتحاف الأعزة في تاريخ غزة، تحقيق ودراسة: عبد اللطيف زكي أبو هاشم، (مكتبة اليازجي، غزة، 1999م)، 29-26/4؛ الزركلي: خير الدين بن محمود الدمشقي (ت:1396هـ/1977م)، الأعلام، (دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م)، 64/1؛ كحالة، عمر بن رضا الدمشقي (ت:1408هـ/1988م)، معجم المؤلفين، (مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت)، 89/1.
- (2) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، 165/1.
- (3) إنباء الغمر بأبناء العمر، 17/3.
- (4) قُوَّةٌ: بالضم ثم التشديد، بلفظ القُوَّة العروق التي تصبغ بها الثياب الحمر: وهي بليدة على شاطئ النيل من نواحي مصر قرب رشيد، بينها وبين البحر نحو خمسة فراسخ أو ستة، أي 30 أو 36 كم وهي ذات أسواق ونخل كثير. الحموي: ياقوت بن عبد الله الرومي (ت:626هـ/1228م)، معجم البلدان، (دار صادر، بيروت، ط2، 1995م)، 280/4.
- (5) الملطي: زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدين خليل (ت:920هـ/1514م)، نيل الأمل في ذيل الدول، تح: عمر عبد السلام تدمري (المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 2002م)، 260/3،
- (6) السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، 13/1.
- (7) السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، 130/1.
- (8) حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني (ت:1067هـ/1657م)، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تح: محمود عبد القادر الأرناؤوط، (مكتبة إرسیکا، إستانبول، 2010م)، 51/1.

- (9) النهباني، يوسف بن إسماعيل (1350هـ/1932م)، جامع كرامات الأولياء، تحقيق ومراجعة: إبراهيم عطوة عوض، (المكتبة الثقافية، بيروت، 1991م)، 403/1.
- (10) الزبيدي: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (ت: 1205هـ/1790م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2001م)، 152/21.
- (11) محمد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمد الدمشقي الشافعي (ت: 842هـ/1438م)، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسائهم وألقابهم وكنائهم، تح: محمد نعيم العرقسوسي، (مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م)، 210/4.
- (12) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، 413/4.
- (13) الأعلام، 64/1.
- (14) معجم المؤلفين، 49/1.
- (15) و [1ب].
- (16) و [3ب].
- (17) و [3ب].
- (18) و [2ب]، [3ب].
- (19) أحد الأئمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث. صنف كتاب الجامع، والعلل، ومصنّف السنن، وهو تلميذ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري. اُخْتُلِفَ فِيهِ، فَقِيلَ: وُلِدَ أَعْمَى، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ أَضْرَّ فِي كِبَرِهِ، بَعْدَ رَحْلَتِهِ وَكِتَابَتِهِ الْعِلْمَ. ينظر ترجمته: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 270/13؛ حاجي خليفة، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، 217/3؛ الزركلي، الأعلام، 322/6.
- (20) محدث ثقة، شافعي من تلاميذ النسائي. ناهز الثمانين. من أهل الدينور. سمع بالعراق ومصر والشام والجزيرة. وصنف كتابا، منها (عمل اليوم والليلة) و (فضائل الأعمال في الأزهرية)، و (القناعة في الظاهرية)، و (الطب النبوي في الفاتح)، و (الصراط المستقيم في شسترتي 3303)، و (المجتبى) اختصر به سنن النسائي. ومات فجأة وهو يكتب، وكان جده أسباط مولى لجعفر بن أبي طالب. يُنظر ترجمته: الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: بشار عواد معروف (دار الغرب الإسلامي، 2003م)، 224/8؛ الزركلي، الأعلام، 209/1.
- (21) من أئمة المحدثين. ولد بنيسابور، ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق، وتوفي بظاهر نيسابور. أشهر كتبه (صحيح مسلم) جمع فيه اثني عشر ألف حديثا، كتبها في خمسة عشر سنة، وهو أحد الصحيحين المعول عليهما عند أهل السنة، في الحديث، وقد شرحه الكثير. ومن كتبه (المسند الكبير) رتبته على الرجال، و (الجامع) مرتب على الأبواب، و (الكنى والأسماء). ينظر ترجمته: ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله (ت: 571هـ/1175م)، تاريخ دمشق، تح: عمرو

- بن غرامة العمروي (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.م، 1995م)، 85/58؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 557/12؛ الزركلي، الأعلام، 221/7.
- (22) شيخ الإسلام وإمام الحفاظ صاحب الصحيح والتصانيف، رحل في طلب العلم إلى جميع مُخَدِّثِي الأمصار، وكتب بخراسان والجبال، والعراق والحجاز، والشام ومصر، ومن أشهر كتبه صحيح البخاري. ينظر ترجمته: الشافعي، عبد الفتاح بن السيد عجي بن السيد العسس المرصفي المصري (ت: 1409هـ/1988م)، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري (مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ط2، د.ت)، 703/2؛ ابن الاثير، المبارك بن محمد بن محمد الجزري (ت: 630هـ/1232م)، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تح: عبد القادر الأرنؤوط، التتمة تح: بشير عيون (مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، 1969م)، 185/1.
- (23) إمام أهل الحديث في زمانه. وله (السنن) أحد الكتب الستة جمع فيه ثمانمائة وأربعة آلاف حديثاً انتخبها من خمسمائة ألف. توفي سنة خمس وسبعين ومائتين، وهو أحدُ حفاظ الحديث وعلمه وعلله، وكان في الدرجة العالية من النسك والصلاح، طُوِّف البلاد، وكتب عن العراقيين، والخراسانيين، والشاميين. ينظر ترجمته: الشافعي، هداية القاري، 648/2؛ ابو الطيب، التاج المكلل، ص40.
- (24) أحد الأئمة الجامعين بين الفقه والحديث له (السنن الكبرى) و(الصغرى) وغيرهما، سمع ابن راهويه وغيره، وأخذ عن يونس بن عبد الأعلى، مات سنة ثلاث وثلاثمائة، ودفن بالرملة وقيل بمكة. ينظر ترجمته: ابن عساكر، تاريخ دمشق، 170/71؛ حاجي خليفة، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، 151/1.
- (25) أحد أئمة الإسلام، والهداة الأعلام، وأحد الأربعة الذين تدور عليهم الفتاوي والأحكام، في بيان الحلال والحرام، قدم به أبوه وأمه وهو حمل من مرو إلى بغداد، فولد بها، ونشأ، وطلب العلم، وطاف البلاد في سماع الحديث والعلم، فدخل الكوفة، والبصرة، ومكة، والمدينة، واليمن، والشام، والجزيرة، وروى عن الجهم الغفير والعدد الكثير من أهل العلم ومشايخ الحديث. ينظر ترجمته: ابن شجاع، محمد بن عبد الغني (ت: 629هـ/1231م)، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تح: كمال يوسف الحوت، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م)، ص158؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 12/11.
- (26) أحد الأئمة في علم الحديث. من أهل قزوين. رحل إلى البصرة وبغداد والشام ومصر والحجاز والري، في طلب الحديث. وصنف كتابه (سنن ابن ماجه)، وهو أحد الكتب الستة المعتمدة. وله (تفسير القرآن) وكتاب (تاريخ غزوين). ينظر ترجمته: حاجي خليفة، سلم الوصول، 287/3؛ الزركلي، الأعلام، 115-114/7.

- (27) شيخ السلام مُصَنِّف (السُّنن الكبير)، و(السنن الصغير)، و(السنن والآثار)، و(دلائل النبوة) وغير ذلك. كان واحد زمانه، وفرد أقرانه، وحافظ أوانه، ومن كبار أصحاب أبي عبد الله الحاكم. أخذ مذهب الشَّافِعِيِّ عَن أَبِي الفتح ناصر المَرْوَزِيِّ، وغيره، وبرع في المذهب. وكان مولده في شعبان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة. ينظر ترجمته: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 163/18؛ الذهبي، تاريخ الإسلام وَوَفِيَّاتِ المَشَاهِيرِ وَالْأَعْلَامِ، 95/10.
- (28) الفقيه المَحَدِّث الشَّافِعِيِّ، والمها نسبه. علامة بالفقه والحديث مولده ووفاته في نوا من قرى حوران بسورية والمها نسبه، وله تصانيف كثيرة وجلييلة منها: (المنهاج والمجموع شرح المهذب) كلاهما في فقه الشافعية و (التبيان: في آداب حملة القرآن) و (شرح صحيح مسلم) وغيرها كثير. توفي سنة ست وسبعين وستمائة. ينظر ترجمته: الشافعي، هداية القاري، 737/2؛ حاجي خليفة، سلم الوصول، 403/3؛ الزركلي، الأعلام، 149/8.
- (29) حجة الإسلام، نسبه إلى صناعة الغزل فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف بعضها بالفارسية، مولده ووفاته في الطابران (قصة طوس، بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد وعقد مجلس الوعظ بجامع القصر وبالمدرسة التاجية وغيره فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلده. ينظر ترجمته: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد وذيوله، تح: مصطفى عبد القادر عطا (دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م)، 29/21-51؛ الزركلي، الأعلام، 22/7.
- (30) و [69ب].
- (31) و [70أ].
- (32) و [9أ].
- (33) من أئمة الأدب العربي، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. من أهل البصرة مولدا ووفاة، وقدم بغداد، فأقام بها مدة، وقد أسند عنه أَبُو بَكْرُ بْنُ أَبِي داود الحديث، وهو كناني، قيل: صليبة، وقيل: مولى، وكان تلميذ أبي إسحاق النظام. ينظر ترجمته، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 124/14؛ عادل نويهض، معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، قدم له: مُفْتِي الجُمهُورِيَّةِ اللَّبْنَانِيَّةِ الشَّيْخُ حَسَنُ خَالِدٍ (مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1988م)، 403/1؛ الزركلي، الأعلام، 74/5.
- (34) و [26أ].
- (35) و [3أ].
- (36) و [2ب].
- (37) الكاتب المعدل، من بيت فضل ورياسة هُوَ وأبوه، وهو عالم بالأدب والأخبار. من أهل بغداد. صنف (التذكرة) في الأدب والتاريخ، وتعرف بتذكرة ابن حمدون. ثم وقف المستنجد على حكايات لابن حمدون رواها في التذكرة، توهم غضاضة من الدولة، فقبض عليه، قال ابن قاضي شهبه:

- وأخذ من دست منصبه وحبس. ولم يزل محبوباً إلى أن توفي. ودفن بمقابر قريش. ينظر ترجمته: الذهبي، تاريخ الإسلام، 284/12؛ الزركلي، الأعلام، 85/6.
- (38) صاحب المصنّفات، متصوف معتزلي، نعتة ياقوت بشيخ الصوفية وفيلسوف الأدباء. ولد في شيراز أو (نيسابور) وأقام مدة ببغداد. وانتقل إلى الريّ، فصحب ابن العميد والصاحب ابن عباد، فلم يحمداً ولاهما. ووشى به إلى الوزير المهلب فطلبه، فاستتر منه ومات في استتاره، عن نيف وثمانين عاماً. ينظر ترجمته: الذهبي، تاريخ الإسلام، 837/8؛ الزركلي، الأعلام، 326/4.
- (39) من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمناً فلقب بجار الله. وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفي فيها. ينظر ترجمته: الزركلي، الأعلام، 178/7.
- (40) نزيل الإسكندرية، وطرطوشة: آخر بلاد المسلمين من الأندلس، وقد عادت للفرنج، ويُعرف بابن أبي زندقة. صحب القاضي أبا الوليد الباجي بسرقة وأخذ عنه مسائل الخلاف ثم حجّ، ودخل العراق، وسمع بالبصرة (السُّنن) من أبي علي التُّستري، وسمع ببغداد من قاضي القضاة محمد بن علي الدَّامغاني، ومحمد بن أبي نصر الحميدي، ورزق الله التَّميمي، وجماعة وتفقه على أبي بكر الشَّاشي، ودخل الشَّام وأقام ببيت المقدس مدّةً، ثم سكن الإسكندرية ودرّس بها. ينظر ترجمته: الذهبي، تاريخ الإسلام، 325/11.
- (41) الأديب الشَّاعر، من أئمة اللغة والأدب، من أهل نيسابور، كان فراءاً يخطط جلود الثعالب، فنسب إلى صناعته، واشتغل بالعلم والأدب فنبغ فيهما. وصنف الكتب الكثيرة منها "المُبَّهَج"، وكتاب "يتيمة الدَّهر"، وكُتبه كثيرة جداً، وكان يُلقَّب بجاحظ. ينظر ترجمته: الذهبي، تاريخ الإسلام، 477/9؛ الزركلي، الأعلام، 163/4.
- (42) الإمام الجليل. تفقه بالبصرة على الصَّيمري وارتحل إلى الشيخ أبي حامد الإسفرايني ودرّس بالبصرة وبغداد سنين كثيرة. وله مصنّفات كثيرة في الفقه والتفسير والأصول، منها (الحاوي) والأحكام السلطانية) و(أعلام النبوة) و(أدب الدُّنيا والدين). ينظر: حاجي خليفة، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، 381/2.
- (43) الأحزاب، من الآية: 56.
- (44) و [2ب]
- (45) و [3ب]
- (46) و [14ب]، [16ب]، [21أ]، [22أ]، [26أ]، [26ب]، [27أ]...
- (47) و [67ب].
- (48) و [66ب].
- (49) و [20ب]، [47ب]، [60أ]، [24أ].

- (50) و[57 أ].
- (51) و[11 ب].
- (52) و[12 أ].
- (53) و[20 أ].
- (54) و[12 أ].
- (55) و[6 ب]، [10 أ]، [21 ب]، [22 أ].
- (56) و[10 أ].
- (57) و[10 أ].
- (58) و[31 أ]، [32 أ]، [32 ب]، [33 أ]...
- (59) الغزي، الديوان، ص34.
- (60) و[82 أ]
- (61) قره جا پاشا بالتركية (Karaca Paşa)، باللغة العثمانية: (قره جه پاشا)، ويُنطق «كاراجا پاشا» أو «قراجه پاشا»، المولود في بورصة، كان بكربك الروملي في عهد السلطان محمد الفاتح ولعب دورًا في فتح القسطنطينية عام 1453 م.، كان لقبه «داي» بالتركية (Dayı : ومعناه «عم باللغة التركية نظرًا لكونه شقيق والدة «علاء الدين» أحد أبناء السلطان محمد الفاتح. ذاعت شهرته في معركة فارنا في عهد السلطان مراد الثاني والد السلطان محمد الفاتح، وتوفي في حصار بلغراد عام 1456 م/866 هـ حاكم عثماني، هو قراجا أحمد باشا بن جعفر. وغدت الولاية نفسها مقرًا لدفتردار عُرف بـ (دفتردار عربستان) شملت صلاحياته كل من حلب ودمشق. أحمد باشا المشهور بقراجا باشا أول من كان باشا بحلب في الدولة العثمانية السليمانية
- (62) الجهة العليا اليمنى للورقة: [2أ].
- (63) زيادة في الثعالي، اللطائف والظرائف، ص271.
- (64) في الثعالي، اللطائف والظرائف، ص271 (يوم).
- (65) في الراغب الاصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، 1/ 221 (ولانزهده)

الجار والمجرور وإعرابهما في قصيدة بردة المديح- دراسة نحوية

إعداد:

موسى صحابي وعقيل علي

المحاضران بكلية الشيخ شاغاري للتربية صكتو، قسم الدراسات الإسلامية والتربية باللغة العربية
ملخص:

حروف الجر أحد أنواع الحروف المعاني العاهلة التي تغير إعراب الجملة عند دخولها عليها تقع أحادية وثنائية وثلاثية وتحري الأسماء الداخلة عليها بالجر ومن ثم تسمى الجار والمجرور وقد حظى مصطلح الجار والمجرور باهتمام الدارسي والباحثين قديما وحديثا لما يحتويه من المعاني الجميلة والدلالات السامية قرأ الباحثان قصيدة بردة المديح للبصيري فوجد أنها حظيت بعد كبير من استعمات الجار والمجرور وأيا أن يدرسها ويعربها حسب ورودها في الجمل، وقسما علمهما على النقاط التالية:

- نبذة التاريخية عن حياة الشاعر
- دراسة النظرية عن الجار والمجرور
- إعراب الجار والمجرور في بكرة امديح
- الخاتمة
- الهوامش
- المصادر والمراجع

Abstract

Genitivizing particles are part of letters of meanings which change the Prepronouncement of the sentence when it comes in. These particles come in one letter, two and there. It also change the nouns which followed to vowel of Kasra where the particles and the noun are called (Alja'r and Almajrur): dragging letters or dragging tools. of course this term: Alja'r and Almajrur got concern readers and researchers in the past and present for the good meanings and semological meanings it carry. The two researchers studded the anthology known as (Burdat al- maddeh) by Imam Al- Busairy, where they found that the anthology carries a lot of usage of Genitivizing particles and nouns :(Alja'r and Almajrur) according to their appearance in the sentences of the Anthology, where they divided functions in the following points:

- Biographical background of the poet
- Theoretical study of Alja'r and Almajrur
- Prepronouncement of the sentences in the Anthology of Burdat Al-madeeh
- Conclusion
- End notes
- Sources and References

• نبذة عن حياة البوصيري:

• نسبه وولادته ونشأته:

هو الإمام شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري أطلق عليه اسم البوصيري نسبة لمولده في بوصير بصعيد مصر وهي من قرى بني سويف، وكان مولده في شهر شوال عام 608 هجرية الموافق 1213 ميلادية¹.

ولادته: اشتهر البوصيري بمدائحه النبوية، التي ذاعت شهرتها في الآفاق، وتميزت بروحها العذبة وعاطفتها الصادقة، وروعة معانيها، وجمال تصويرها، ودقة ألفاظها، وحسن سبكها، وبراعة نظمها؛ فكانت بحق مدرسة لشعراء المدائح النبوية من بعده، ومثالا يحتذيه الشعراء لينسجوا على منواله، ويسيروا على نهجه؛ فظهرت قصائد عديدة في فن المدائح النبوية، أمتعت عقل ووجدان ملايين المسلمين على مرّ العصور، ولكنها كانت دائما تشهد بريادة الإمام البوصيري وأستاذيته لهذا الفن بلا منازع.

هو المحدث الحافظ شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي، أبو العباس².

ولد في العشر الأوسط من المحرم سنة اثنين وستين وسبعمائة؛ بأبوصير (من الغربية، قرب سمنود) نشأته العلمية وأشهر شيوخه:

وتعلمه:

نشأ وتعلم في "أبو صير" حفظ القرآن وجوده على الشيخ عمر ابن الشيخ عيسى، ثم انتقل إلى القاهرة³.

وكان كثير السكون والعبادة والتلاوة مع حدة الخلق.. ولم يزل مكباً على الاشتغال والنسخ إلى أن مات⁴.

أخذ الفقه عن النور الآدمي وحصلت له بركاته.. وسمع دروس العز بن جماعة في المنقول والمعقول ولازم الشيخ يوسف إسماعيل الأنباني في الفقه، وسمع عن الكثير من الجماعة منهم: التقي ابن حاتم والتنوخي والبلقيني والعراقي والهيثمي، وكثرت عنايته بهذا الشأن ولازم فيه ابن العراقي على كبر وولده الولي، وكذا لازم شيخنا شيخهما المذكور.. وخطه حسن مع تحريف كثير في المتون والأسماء.. وحدث باليسير، سمع منه الفضلاء كابن فهد⁵..

● رحلاته العلمية:

ارتاد البوصيري العديد من المدارس في القاهرة، إذ تلقى فيها علوم اللغة العربية، والأدب، وقد تتلمذ على يد عدد من العلماء وأدباء عصره البارزين منهم: الشيخ أبو الحسن الشاذلي، وأبو العباس المرسي، وغيرهم وقد أظهر البوصيري براعة كبيرة في مجال الكتابة والأدب، كما أجاد قرض الشعر البليغ، والذي يتميز بمظاهر الجزالة والسهولة، بالإضافة إلى ذلك، فقد اهتم البوصيري بقراءة السيرة النبوية، والتعرف على أخبار النبي عليه الصلاة والسلام، ودراسة سيرته⁶.

علماءه وتلامذته ومؤلفاته

علمائه: وبسبب تفوقه في شعر المديح النبوي أثنى عليه العديد من العلماء البارزين ومؤرخي هذا العصر، فقال عنه ابن حجر الهيتمي في مقدمة «المنح المكية شرح الهمزية البوصيرية»: «هذا وإن من أبلغ ما مدح به النبي ﷺ من النظم الرائق البديع، وأحسن ما كشف عن كثير من شمائله من الوزن الفائق المنيع وأجمع ما حوته قصيدة من مآثره وخصائصه ومعجزاته هو الشيخ الإمام العارف الكامل الهمام المتفنن المحقق، البليغ

الأديب المدقق الإمام، إمام الشعراء، وأشعر العلماء، وبلغ الفصحاء وأفصح البلغاء الشيخ أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن صنهاج بن هلال الصنهاجي⁷

وقال الشيخ بسام محمد بارود في حاشيته على العمدة «شرح بردة البوصيري»: «هو إمام الشعراء، وشاعر أئمة العلماء، بل هو الفرقد الوضاء الذي أنار الطريق إلى المدائح النبوية: شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن، بن عبد الله بن صنهاج بن هلال الصنهاجي البوصيري»⁸

● ثناء العلماء على البوصيري:

قال الحافظ ابن حجر في تبصير المنتبه (692/2): صاحبنا الفاضل شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم البوصيري، كتب عني واستملى عليّ، وله تخاريج وفوائد، بارك الله فيه. ونقل السخاوي في الضوء اللامع (1/ 251) أن ابن حجر وصفه بالشيخ المفيد الصالح المحدث الفاضل.

● تلاميذ البوصيري:

الكثير من الطلاب قد تتلمذوا على يد البوصيري، والذين أصبحوا فيما بعد من كبار العلماء المعروفين، نذكر منهم أبو حيان أثير الدين محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي. أبو الفتح محمد بن محمد العمري الأندلسي الإشبيلي المصري.⁹

● مؤلفاته:

فوائد المنتقى لزوائد البيهقي

- 1- مصباح الزجاجاة في زوائد ابن ماجه (زوائده على باقي الكتب الخمسة، مع الكلام على أسانيده)
 - 2- تحفة الحبيب للحبيب بالزوائد في الترغيب والترهيب (مات قبل تبييضه، فبيضه ابنه).
 - 3- إتحاف المهرة بزوائد المسانيد العشرة. ومختصره: " مختصر إتحاف السادة المهرة بزوائد المسانيد العشرة.
 - 4- جزء في أحاديث الحجامة.
 - 5- رفع الشك باليقين في تبين حال المختلطين.
 - 6- زوائد نواذر الأصول¹⁰.
- وفاته: قال الحافظ ابن حجر: ولم يزل مكباً على الاشتغال والنسخ إلى أن مات في ليلة الثامن عشري المحرم بمدرسة السلطان حسن بالرميلة، وله ثمان وسبعون سنة.
- وقال السخاوي: واستمر على طريقته حتى مات وقت الزوال من يوم الأحد سابع عشري المحرم وذلك يوم فتح السد عام أربعين بالحسنية بعد أن نزل به الحال وخفت ذات يده جداً وطالت عليه..
- سبب نظم هذه القصيدة: يقول البوصيري عن سبب نظمه لهذه القصيدة: كنت قد نظمت قصائد في مدح رسول الله ﷺ، منها ما اقترحه عليّ الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير، ثم اتفق بعد ذلك أن داهمني الفالج (الشلل النصفي) فأبطل نصفي، ففكرت في عمل قصيدتي هذه فعملتها واستشفعت بها إلى الله في أن يعافيني، وقررت إنشادها، ودعوت، وتوسلت، ونمت فرأيت النبي فمسح على وجهي بيده المباركة، وألقى عليّ بردة، فانتهيت ووجدتُ فيّ نهضة، فقممت وخرجت من بيتي، ولم أكن أعلمت بذلك أحداً، فلقيني بعض الفقراء فقال لي: أريد أن تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقلت: أي قصائدي؟ فقال: التي¹¹ أنشأتها في مرضك، وذكر أولها وقال: والله إنني سمعتها البارحة وهي تنشد بين يدي رسول الله ﷺ، وأعجبته وألقى على

من أنشدها بردة. فأعطيته إياها. وذكر الفقير ذلك وشاعت الرؤيا. وقد كتب البوصيري ميمية البردة من 167 بيتاً¹²

الدراسة النظرية والمجرورات: أما مفهوم الحروف المعجمي : الحرف : له عدة معان في اللغة العربية منها الحرف من كل شيء طرفه وجانبه يقال فلان على حرف من أمره أي ناحية منه، وفي القرآن الكريم قوله تعالى { وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ }¹³ أي يعبد في السراء لا في الضراء.

وتسمى الحروف القرآن بالحروف الهجائية ويقال ليس من حروف العربية وهي اللهجة العربية ومنه الحديث (تنزل القرآن على سبعة أحرف).

وأما مفهوم الحروف الجر الإصطلاحي عند النحاة: هو عبارة عن كلمة تأتي في أول الجملة أو وسطها ولا يظهر معناها كاملاً جيداً في الجملة إلا مع غيره مثل خرج محمد من البيت إلى المسجد صباحاً وتسمى هذه الحروف بحروف الإضافة لأنها تضيف معاني الأفعال قبلها إلى الأسماء.¹⁴

أنوع حروف الجر: فالحروف هي الأداة التي تسمى الرابطة لأنها تربط الاسم بالإسم والفعل بالفعل: كعن وعلى ونحوهما أو كل كلمة بنيت أداة عارية في الكلام لتعريف المعاني واسمها حرف، وأن كان بناؤها بحرف: أو فوق ذلك مثل: حتى وهل، وبل ولعل، ويتناول الكلام عليها على الأمرين الأتيين وهما: عددها وتقسيمها. فأما عددها فالمشهور منها عشرون كما قال: الأشموني وهي: من إلى حتى خلا عدا حاشا، في عن على مذ، منذ، رب، اللام، كي، الواو، التاء، الكاف، لعل متى. ثلاثة منها للإستثناء وهي

الأولى: عدا: نحو قولك (قام القوم عدا زيد)

الثاني: حاشا: نحو قولك (قام القوم حاشا زيد)

الثالث: خلا : نحو قولك (قام القوم خلا زيد) لا

وثلاثة منها شاذة وهي:

متى نحو قولك (اخرجها متى كمه) أي من كمه¹⁵

لعل نحو (لعل كيّمه) إذ سئل عنى علة الشئ

وأما تقسهما يكون في أربعة عشر حروف باقية حيث تنقسم إلى قسمين.

قسم يجر الظاهر والمضمر، وقسم يختص بالظاهر

مثال (الياء قوله تعالى (ءامنوا بالله)¹⁶

مثال (الكلام) قوله تعالى (لله ما في السموات والأرض)¹⁷

وأما القسم الثاني سبعة تختص بالظاهر وتنقسم أربعة أقسام القسم الأول ، ما

يختص بالظاهر بعينه وهو : (حتى) والكاف (والواو) مثال (حتى) لقوله تعالى: ليس

كمثله شيء مثال الواو قوله تعالى: (والطور)¹⁸

وأقوال العلماء النحويين في عدد حروف

الحروف جمع حرف والحرف في اللغة العربية يعنى الطرف والجانب ومعناه في الإصطلاح

: النحاة كل شيء لا يظهر معناه كاملا إلا مع غيره وليس له معنى بمفرده مثل إلى، عن

على حتى أن لن هل أم الباء¹⁹

قال جمال الدين أبو محمد القاسم ابن على الحريري البصرى

والحرف ما ليس له علامة ** فقس على قولي تكن علامة²⁰

أقسام الحروف إلى أربعة أقسام:

ما وضع على حرف واحد وهو خمسة (الباء) والتاء) واللام) والواو) والكاف)

ما وضع على ثلاثة أحرف : وهو سبعة (إلى ، على منذ رب حلا متى عدا .

ما وضع على حرفين وهو ستة (من ، ان في مذ كي) كم الخبرية .

ما وضع على أربعة أحرف ، وهو أربعة : متى ، لعل ، حاشا ، ولولا .

أما القسم الذي يختص بالظاهر وهي

مثاله قوله تعالى: (إلى الله مرجعكم) ²¹

وتنقسم حروف الجر باعتبار ما وضعت عليه إلى:

الأحادية: -وهي ما وضعت على حرف واحد - وهي: الباء، والتاء، والكاف، واللام، والواو، نحو: كتبت بقلمك، وتالله لأذاكرن، العلم كالنور، وحمزة كالأسد، وللعلم أهله، وربّ الكعبة لأجتهدن ²².

أما الأحادية) فثلاثة عشر وهي: الهمزة والألف والباء والتاء والسين والفاء والكاف واللام والميم والنون والهاء والواو والياء.

فالهمزة) للاستفهام وللتسوية وللنداء نحو: {أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ}، ²³ {وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}، ²⁴ أجازتنا إنا مقيمان ها هنا.

و(الألف) للاستغاثة وللتعجب وللندبة وللفصل بين النونين وللدلالة على التثنية نحو: (يا يزيدا لأملٍ نيل بر)، يا ماء ويا عشباً! واحسينا، اضربننا يا نساءً. (وقد أسلماه مبعدٌ وحميم).

و(الباء) للإصاق وللسببية وللقسم وللاستعانة نحو: أمسكت بأخي، {فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ}، ²⁵ أقسم بالله وآياته، كتبت بالقلم، وتجيء زائدة نحو {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ}. ²⁶

و(التاء) للتأنيث وللقسم نحو: {قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ}، {تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا}. ²⁷

و(السين) للاستقبال نحو: ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا.

و(الفاء) للترتيب مع التعقيب ولربط الجواب نحو: دخل عند الخليفة العلماء فالأمراء، {إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي}²⁸. وتجيء زائدة لتحسين اللفظ نحو: خذ سبعة فقط.²⁹ و(الكاف) للتشبيه وللخطاب نحو: العلم كالنور، {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً}³⁰، وتجيء زائدة نحو {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}³¹.

و(اللام) للأمر وللابتداء وللقسم وللاختصاص نحو {لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ}. {لِيُؤْسَفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيَّ أَيْنَا مِمَّا}. {لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ}³².. الجنة للطائعين. و(الميم) للدلالة على جمع الذكور نحو {بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ} و(النون) للوقاية من الكسر وللتوكيد نحو {وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ}، {لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ}. و(الهاء) للسكت في الوقف نحو لِمَهْ وَقَهْ وللغيبة نحو إياه وإياهم، فإن الضمير هو (إيا) فقط، وما بعده لواحق تدل على الغيبة كما هنا، أو على الخطاب كما في إياك وإياكم، أو على التكلم كما في إياي وإيانا.

و(الواو) لمطلق الجمع وللإستئناف وللحال وللمعية وللقسم نحو يسود الرجل بالعلم والأدب {لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرِّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ}³³، {خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ} سِرْتُ وَالْجِبَلِ، {وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ}³⁴.

ثنائية: -وهي ما وضعت على حرفين - وهي: (من، عن، في، مذ) تقول: خرجت من العمل في المساء، وما تخلفت عن العمل مذ يومين.

و(أما الثنائية) فستة وعشرون وهي آ واذ وأل وأم وأن وإن وأو وأي وإي وبل وعن وفي وقد
وكي ولا ولم ولن ولو وما ومُد ومِنٌ وما وهل ووا ويا والنون الثقيلة.

(أ) للنداء نحو أعبد الله

و(إذ) للمفاجأة بعد بيئنا وبينما، وللتعليل نحو

فبينما العسرُ إذ دارت مياسيرُ

إذ هم قريش إذ ما مثلهم بشر فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم³⁵

و(أل) لتعريف الجنس أو جميع أفرادها أو فرد منه معين نحو الرجل خير من المرأة، {إنَّ
الإنسانَ لفي خُسْرٍ. إلا الذين آمنوا}،³⁶ {وما آتاكم الرسول فخذوه}،³⁷ وتجيء زائدة نحو
الآن والنعمان.

الجار والمجرور في قصيدة بردة المديح لأحمد عبد المجيد البوصري

مولاي صلِّ وسلِّم دائماً أبداً * على حبيبك خير الخلق كلهم

الشاهد في البيت قول الشاعر: على حبيبك

الإعراب:

على - حرف جر

حبيب - مجرور ب على وعلامة جره الكسرة الظاهرة، وهو مضاف الكاف مضاف
عليه

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة * وأومض البرق في الظلماء من إضم

والثاني : من تلقاء

الإعراب:

من - حرف جر

تلقاء - مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

أمنتذكر جيران بندي سلم * مزجت دمعا جري من مقلة بدم
الشاهد في البيت قول الشاعر: من مقلة، بدم " من حرف جر الذي يجرى الاسم
الواحد " مقلة " مجرور بـ " من " ومن حرف جر الذي يجر الاسم الواحد " دم "
مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخرهما.
لولا الهول لم ترق دمعا على طلل * ولا أرقنت لذكر البان والعلم
فشاهد في البيت : على طلل، على حرف جر : طلل ، مجرور بـ "على" وعلامة جره
الكسرة الظاهرة على آخره.

أتيت الوجد خطي عبرة وضني * مثل البهار على خديك والغنم
فشاهد في البيت قوله: على خديك " على حرف جر " خديك مجرور بـ على وعلامة
جره الفتحة الظاهرة على آخره نيابة عن الكسرة.

نعم سرى عن طيب من أهوى فأرقني * الحب يعترض الندوات بالألم
والشاهد في البيت قوله: بالألم " بـ: حرف جر " الألم مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة
الظاهرة على آخره .

عدتك حالي لا سري بمستري * عن الوساة ولا دائي بمنحسم
والشاهد في البيت قوله: بمستري " و عن الوساة " وبمنحسم: حروف جر " الباء و عن
والبا " الأخيرة " البا حرف جر " مستري مجرور بالباء " وعن " حرف جر الظاهرة "
الوساة " مجرور بـ عن ، وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره . بـ حرف جر " ومنحسم
" مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره

محضتني النصيح لكن لست أسمع * إن المحب عن العذال في صمم
والشاهد في البيت قوله: عن العذال وفي صمم " عن : حرف جر " العذال، مجرور بعن ،
وفي " حرف جر " صمم " مجرور بفي وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره .

إني اتهمت نصيح الشيب في عدل * والشيب أبعد نصيح عن التهم
والشاهد في البيت قوله: في العذال ، وفي نصيح و " عن التهم : في حرف جر " العذال،
بفي ، وفي " حرف جر " نصيح " مجرور بفي ، وعن " حرف جر ، التهم ، مجرور بعن ،
وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخرهم

فإن أمارتي بالسوء ما اتعظت * من جهلها بنذير الشيب والهرم
والشاهد في البيت قوله: بالسوء ومن جهلها " الباء : حرف جر " السوء، بباء ، ومن "
حرف جر " جهلها " مجرور بمن وعلامة جرهما الكسرة الظاهرة على آخرهما
لو كنت أعلم أي ما أوقره * كتمت سرا بدالي منه بالكتم
والشاهد في البيت قوله: بالكتم " اسم يصبغ به الشعر المشيب، بـ " حرف جر " الكتم "
مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره
فلا ترم بالمعاص كسرت شهوتها * إن الطعام يقوي شهوة النهم
والشاهد في البيت قوله: بالمعاص " الباء : حرف جر " المعاص، مجرور بالباء وعلامة
جره الكسرة المقدرة على الألف
والنفس كالطفل إن تهمله شبا على * حب الرضاع وإن تفضمه ينفطم
والشاهد في البيت قوله: كطفل " الكاف : حرف جر " الطفل، مجرور بالكاف ، وعلى "
حرف جر " حب " مجرور بعلی وعلامة جرهما الكسرة الظاهرة على آخرهما
راعها في الأعمال سائمة* وإن هي استحللت المرعي فلاسم
الشاهد في البيت قول الشاعر: في الأعمال
الإعراب:

في - حرف جر

الأعمال – مجرور بفي وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

وأخشى دالسائس من جوع ومن شبع* قرب مخصصة شر من التخم

الشاهد في البيت قول الشاعر: من جوع ومن شبع ومن التخم

الإعراب:

من - حرف جر

الجوع – مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

والثاني : من شبع

الإعراب:

من - حرف جر

شبع – مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

والثالث: رب مخصصة

الإعراب:

رب - حرف جر

مخمصة – مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

واستفرتني الدمع من عين قد امتلأت* من المحارم والزم حمية الندم

الشاهد في البيت قول الشاعر: من عين و من المحارم

الإعراب:

من - حرف جر

عين – مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

والثاني: من المحارم

الإعراب:

من - حرف جر

المحارم – مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

ظلمت سنة من أحياء الظلام إلى* أن اشتكت قدماء الضر من ورم

الشاهد في البيت قول الشاعر: من ورم

الإعراب:

من - حرف جر

ورم – مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

و شد من شغب أخشائه وطوى* تحت الحجار كشحا مترف الأدم

الشاهد في البيت قول الشاعر: من شغب

الإعراب:

من - حرف جر

شغب – مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

وراودته الجبال الشم من ذهب* عن نفسه فأراها أيما شمم

الشاهد في البيت قول الشاعر: من ذهب

الإعراب:

امن - حرف جر

ذهب – مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

وأكدت زهده فيها ضرورته * إن الضرورة لا تعدوا على العصم

الشاهد في البيت قول الشاعر: على العصم

الإعراب:

على - حرف جر

العصم - مجرور بعلى وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

وكيف تدعوا إلى الدنيا ضروة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

الشاهد في البيت قول الشاعر: إلى الدنيا و من العدم

الإعراب:

إلى - حرف جر

الدنيا - مجرور بإلى وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

والثاني : من العدم

الإعراب:

من - حرف جر

العدم - مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

هو الجيب الذي ترجي شفاعته * لكل هول من الأهوال مقتحم

الشاهد في البيت قول الشاعر: من الأهوال

الإعراب:

من - حرف جر

الأهوال- مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

دعا إلى الله فلمستمسكون به * مستمسكون رجل غير منفصم

الشاهد في البيت قول الشاعر: إلى الله

الإعراب:

إلى - حرف جر

الله - مجرور بإلى وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

وكلمهم من رسول الله ملتمس * غرف من البحر أو رشف من الديم

الشاهد في البيت قول الشاعر: من رسول ومن الديم

الإعراب:

من - حرف جر

رسول - مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

والثاني : من الديم

الإعراب:

من - حرف جر

الديم - مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف * وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

الشاهد في البيت قول الشاعر: إلى ذاته، من شرف ، إلى قدره من عظم

الإعراب:

الأول: إلى - حرف جر

ذاته - مجرور بإلى وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

والثاني : إلى قدره

الإعراب:

إلى - حرف جر

قدره - مجرور بإلى وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

والثالث: من شرف

الإعراب:

من - حرف جر

شرف - مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

أبان مولده عن طيب عنصره * طوبي لمنثشق منه وملثثم

الشاهد في البيت قول الشاعر: عن طيب

الإعراب:

عن - حرف جر

طيب - مجرور بعن وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

والجن تهتف والأنوار ساطعة * والحق يقهر من معنى ومن كلم

الشاهد في البيت قول الشاعر: من معنى ومن كلم

الإعراب:

من - حرف جر

معني - مجرور بمن وعلامة جره الكسرة المقدرة على آخره منع من ظهورها التعذر.

والثاني : من كلم

الإعراب:

من - حرف جر

كلم - مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

كأنهم هربا أبطال أبرهة* أو عسكر بالحى من راحتيه رم

الشاهد في البيت قول الشاعر: بالحى ومن الرحتيه

الإعراب:

الباء - حرف جر

الحى - مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة المقدرة على الياء الألف .

وبعد ما عاينوا في الأفق من شهب * منقضة وفق ما في الأرض من صنم

الشاهد في البيت قول الشاعر: في الأرض وفي الأفق ومن شهب ومن صنم.

الإعراب:

في - حرف جر

الأفق - مجرور بفي وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

والثاني : في الأرض

الإعراب:

في - حرف جر

الأرض - مجرور بفي وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

والثالث: من شهب

الإعراب:

من - حرف جر

شهب - مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

والرابع من صنم

الإعراب:

من - حرف جر

صنم – مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

وقاية الله أغنت عن مضاعفة * من الدرود وعن عال من الأطم

الشاهد في البيت قول الشاعر: من الدرود وعن عال ، ومن الأطم

الإعراب:

من - حرف جر

الدرود – مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

والثاني : عن عال

الإعراب:

عن - حرف جر

عال – مجرور بعن وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

والثالث: من الأطم

الإعراب:

من - حرف جر

الأطم – مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

مضاعفة مجرور بـ "عن" وعن من حروف جر

يجر بحر خميس فوق سابعة * يرمي بموج من الأبطال ملتطم

الشاهد في البيت قول الشاعر: بموج ، من الأبطال

الإعراب:

الباء - حرف جر

الموج – مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

والثاني : من الأبطال

الإعراب: من - حرف جر الأبطال – مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

يا لائي في الهوى العذي معذرة * مني إليك ولو أنصفت لم تلم

الشاهد في البيت قول الشاعر: في الهوى

الإعراب:

في - حرف جر

الهوى – مجرور بـ في علامة جره الكسرة القدرة على الألف منع من ظهورها
التعذر.

العذري: نعت للهوى، ونعت المجرور مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة

فإن أمارتي بالسوء ما اتعظت * من جهلها بنذير الشيب والهزم

الشاهد في البيت قول الشاعر: بالسوء، بنذير

الإعراب:

الباء - حرف جر

السوء – مجرور بـ وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

الشاهد في البيت قول الشاعر: بنذير

الإعراب:

الباء - حرف جر

النذير – مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

ولأ أعدت من الفعل الجميل قري * ضيف ألم برأسي غير محتشم

الشاهد في البيت قول الشاعر: من الفعل الجميل

الإعراب:

من - حرف جر

الفعل – مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

الجميل : نعت للفعل ونعت للمجرور مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة

من لي برد جماح من غوايتها * كما ترد جماح الخيل بللجم

الشاهد في البيت قول الشاعر: برد ، ومن غوايتها ، باللجم

الإعراب:

الباء - حرف جر

رد – مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

جماح : مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة

والثاني : من غوايتها

الإعراب:

من - حرف جر

غوايتها – مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

الهاء : مضاف إليه

الثالث: باللجم

الإعراب:

الباء - حرف جر

اللجم – مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

فاق النبيين في خلق وفي خلق * ولم يدانوه في علم ولاكرام

الشاهد في البيت قول الشاعر: في خلق ، وخلق ، وعلم

الإعراب:

في - حرف جر

خلق – مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

الثاني: في خلق

الإعراب:

في - حرف جر

خلق – مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

والثالث: في علم

الإعراب:

في - حرف جر

علم – مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

كرم – معطوف على علم والمعطوف على المجرور وعلامة جره كسرة ظاهرة في آخره

وبات إيوان كسر وهو منصع * كشمّل أصحاب كسرى غير ملتئم

الشاهد في البيت قول الشاعر: كشمّل أصحاب

الإعراب:

الكاف - حرف جر

شمّل – مجرور بكاف وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

أصحاب: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة

كأنما سطررت سطرًا لما كتبت * فروعها من بديع الخط باللقم
الشاهد في البيت قول الشاعر: من بديع الخط وباللقم
الإعراب:

من - حرف جر

بديع – مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة. وهو مضاف
الخط : مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة
والثاني : باللقم

الإعراب:

الباء - حرف جر

اللقم – مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة.
ولا التمسست غني الدارين من يده * إلا استلمت الندى من خير مستلم
الشاهد في البيت قول الشاعر: من يده و من خير
الإعراب:

من - حرف جر

يده – مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة.
والثاني : من خيره

الإعراب:

من - حرف جر

خيره – مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة. وهو مضاف
مستلم : مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة
وأحييت السنة الشهباء دعوته * حتى حكمت غرة في الأعصر الدهم

الشاهد في البيت قول الشاعر: في الأعصر الدهم

الإعراب:

في - حرف جر

الأعصر – مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة.
الدهم : نعت للفعل ونعت للمجرور مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة

فما تطاول أمال المديح إلى * ما فيه من كرم الأخلاق والشيم

الشاهد في البيت قول الشاعر: من كرم الأخلاق

الإعراب:

من - حرف جر

كرم - مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة. وهو مضاف

الأخلاق: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة

قرت لها عين قاريها فقلت له * لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم

الشاهد في البيت قول الشاعر: بحبل الله

الإعراب:

الباء- حرف جر

حبل - مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة وهو مضاف

الله: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة

إن تتلها خيفة من حر نار لظى * أطفأت حر لظى من وردها الشيم

الشاهد في البيت قول الشاعر: من حر نار و من وردها

الإعراب:

من - حرف جر

حر - مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة وهو مضاف

نار: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة

والثاني: من وردها

الإعراب:

من - حرف جر

وردها - مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة. وهو مضاف

الهاء: مضاف إليه

وبت ترقى إلى أن نلت منزلة * من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم

الشاهد في البيت قول الشاعر: من قاب قوسين

الإعراب:

من - حرف جر

قاب - إسم مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

قوسين: مضاف إليه مجرور وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة لأنه مثنى والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات فهذه خاتمة المطاف لمقالة بعنوان الجار والمجرور وإعرابهما في قصيدة بردة المديح دراسة نحوية، وقد احتوت بعد الملخص على نبذة عن حياة الشاعر ودراسة نظرية عن الجار والمجرور وفي الأخير إعراب الجار والمجرور الوارد في القصيدة المدروسة، ثم قائمة الهوامش والمراجع واستنتجت النتائج الآتية:

- الإمام البوصيري من الشعراء الذين خاضوا غمار المديح النبوي وأتى بقصائد كثيرة أعلمها في مدح المصطفى ﷺ.
- الجار والمجرور مصطفى المرادية جرف الجار إذا دخل على الاسم يسمى الحرج جار والاسم مجرور
- أن البوصيري وظف عد كبير من جروف الجر بمختلف أنواعها ووضعها في أمكنها اللاتقة لها حسب مواضعها الاعرابية.

الهوامش :

- 1- قال الحافظ ابن حجر في إنباء الغمر (8/ 431-432):
- 2- هاشية الباجو في شرح يرده المديح لبوصري، ص5
- 3- ال الحافظ ابن حجر في إنباء الغمر (8/ 431-432):
- 4- وقال السخاوي في الضوء اللامع (1/251):
- 5- السخاوي في الضوء اللامع (1/251):
- 6- هاشية الباجو في شرح يرده المديح لبوصري، ص5
- 7- هاشية الباجو في شرح يرده المديح لبوصري، ص5
- 8- هاشية الباجو في شرح يرده المديح لبوصري، ص7
- 9- هاشية الباجو في شرح يرده المديح لبوصري، ص5
- 10- الشبكة العنكبوتية
- 11- هاشية الباجو في شرح يرده المديح لبوصري، ص5
- 12- هاشية الباجو في شرح، يرده المديح لبوصري، ص6
- 13- شبكة العنكبوتية
- 14- سورة الجح الآية 11
- 15- الدروس النحوية في شرح الألفية نسخة محفوظة 23 ديسمبر 2016 على موقع واي باك مشين
- 16- القواعد الأساسية العربية ص 239
- 17- جمال الدين عبد الله بن يوسف أوضح الجزء الأول ص 32
- 18- سورة الزيات 2
- 19- سورة الأحقاف ، الآية 31
- 20- سورة الطور الآية 1
- 21- ابن منظور لسان العرب ج 1 ص 400
- 22- شرح ألفية بن مالك Islamicport.com
- 23- جمال الدين عبد الله بن يوسف أوضح الجزء الأول ص 32
- 24- جمال الدين عبد الله بن يوسف أوضح الجزء الأول ص 33
- 25- سورة الأنبياء الآية 109
- 26- سورة يس الآية 10
- 27- سورة المائد الآية 13
- 28- سورة الزمر الآية 36

- 29- سورة يوسف الآية 19
 30- سورة آل عمران الآية 31
 31- جمال الدين عبد الله بن يوسف أوضح الجزء الأول ص 33
 32- سورة النازعة الآية 26
 33- سورة الشور الآية 11
 34- سورة الحشر الآية 11
 35- سورة الحج الآية 5
 36- جمال الدين عبد الله بن يوسف أوضح الجزء الأول ص 33
 37- وشرح المفصل 7/ 104؛ والشعر والشعراء 1/ 332؛ وبلا نسبة في شرح عمدة الحافظ ص 211.
 38- هاشة الباجو في شرح، بردة المديح للبوصري، ص 6
 المصادر والمراجع

- 1- القرآن الكريم
 2- ابن عقيل ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك لقاضى القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل، مطبعة ، درا الطلائع للنشر والتوزيع، مكتبة الساعي للنشر والتوزيع الرياض ، التاريخ ، 2003م 1323هـ
 3- أبي بكر تيام مديرمدرسة النجاح والفلاح – مالى، الرسالة النحوية، طبعة جديدة منقحة. مكتبة برهام أيوب.
 4- على الجارمي. النحو الواضح الجزء الثاني.
 5- أبي أنس مالك بن سالم بن مطر الهنذر ، في شرح الأجرومية، طبعة الثانية مكتبة صنعاء، 2013-1435
 6- جمال الدين عبد الله بن هشام، طبعة الأولى ، الطبعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان ، التاريخ ط، 1434-1433هـ 2012م.
 7- عمر بن يوسف، بن مصطفى ، مدير المركز الثقافي الإسلامى، والدراسات العربية أيصوبده ولاية نيجر حقوق الطبع محفوظة. الإغاثة في قواعد اللغة العربية لمدارس المرحلة الأولى.
 يوسف الشيخ محمد البقاعى أستاذ اللغة العربية وآدابها، التحفة الثنية شرح مقدمة الأجرومية. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

التأليف، أهميته، أنواعه، حقوقه وعناية الإسلام به

إعزاز:

أ.بصير أحمد بن سلطان أحمد نادي

عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة جامي

B.nadi@jami.edu.af / 0093796831483

المخلص

فقد أولت الشريعة الإسلامية اهتماماً بالغاً للعلم والبحث العلمي وأن أول ما أنزل من القرآن الكريم هو قوله تعالى: ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾، سورة العلق: 1، وموضوع التأليف والتصنيف من الموضوعات المهمة في الحياة العلمية والنتائج الفكرية ومكانتها رفيعة؛ لأنها متعلقة بحياة الإنسان وفكره وثقافته؛ لأن التأليف يكون أساس كل الاختراعات والابداعات العلمية والتكنولوجية، حيث اهتمت الشريعة بهذا الحق كثيراً، وفي الشريعة نصوص كثيرة تحث على طلب العلم والتعلم وهذا من خصائص هذه الشريعة الخالدة الكاملة، ومن نتائج هذا الاهتمام إيجاد فن الكتابة والتأليف، وفي الشريعة الإسلامية ضوابط وقواعد لحفظ هذه الحقوق والامتيازات التي تعطي له حقاً لحماية ما ابتكره، وتمكنه من التصرف والتمتع به، ومنع غيره من التصرف في هذا الحق إلا بإذنه، سواء كان أدبياً أو مالياً، وهذا الموضوع مهم رائع جداً، فله الحمد على ما أعانني في كتابة هذا البحث المبارك المتواضع إنه شاكر عليم.

الكلمات الرئيسية: التأليف، الحق، الإسلام.

Abstract:

The Islamic Sharia has accorded significant attention to knowledge and scientific research. The first revelation of the Holy Quran emphasized the importance of seeking knowledge. The subject of authorship and compilation is crucial in the scientific and intellectual spheres, holding a lofty status as it is intricately connected to human life, thought, and culture. Authorship forms the foundation of scientific and technological innovations, a right highly emphasized in Sharia. Numerous texts in Sharia encourage the pursuit and acquisition of knowledge, underscoring its perpetual significance. As a result of this emphasis, the art of writing and authorship has flourished. Islamic

Sharia establishes regulations and principles to safeguard these rights and privileges granted to authors, providing them with the authority to protect, manage, and enjoy the fruits of their intellectual endeavors. Unauthorized use of these rights, whether literary or financial, is prohibited without the author's consent. This topic is remarkably important, and gratitude is expressed for the guidance received in composing this humble and blessed research .

Keywords: Authorship, Rights, Islam.

أهمية الموضوع

أهمية الموضوع تتجلى في الأمور الآتية:

أهمية البحث لها صلة بموضوع البحث ومطالبه التي تندرج تحت عنوانه وإذا كان الموضوع ذا أهمية، فإنه يكون له أيضا من الأهمية، وألخص لكم أهميته فيما يأتي:

1. حماية التأليف والابداعات البشرية وصيانة الأمانة العلمية من الأمور المهمة.
2. التأليف لها شرف لأنها من أعظم الإبداعات البشرية ولهذا دور كبير في أهمية الموضوع.
3. حماية المؤلف تحمي المجتمع من الركود العلمي والثقافي والحضاري وبيان وسائل هذه الحماية يزيد في أهميتها.
4. إن حماية المؤلف والتأليف لها دور كبير في التعليم وإيجاد الثقافة والمجتمع الواعي وأي مجتمع لا يمكن أن يتقدم إلا بالتقدم العلمي والتعليم والتعلم.
5. إن حفظ حقوق الناس مقصد من مقاصد الشريعة وبِحماية هذه الحقوق نحفظ حقوق الناس، وحفظ المال يندرج تحت هذه المقاصد المهمة وفي حماية حقوق المؤلف المالية، أعمال مقاصد الشريعة الإسلامية.

أسباب اختيار الموضوع

أسباب اختيار الموضوع كثيرة، أذكر هنا أهمها:

1. رغبة الباحث في الكتابة حول هذا الموضوع المهم ودراسته.
2. بيان مكانة التأليف والمؤلف وأن له حقوقا مهمة وخاصة في مجال البحث العلمي.
3. هذا الموضوع من الموضوعات الحديثة المعاصرة ولا بد للباحثين أن يبحثوا عنه، لذا أحببت أن أطلع عليه من خلال الكتابة فيه.
4. نشر الوعي في المجتمع بمدى أهمية التأليف وحماية المؤلف.

أهداف البحث

من أهداف البحث ما يلي:

1. معرفة مكانة التأليف والمؤلف وأنواعها في الشريعة الإسلامية.
2. بيان أهمية الإنتاج الفكري وخصوصا حقوق المؤلف.
3. معرفة مدى حماية الشريعة للكتابة والقراءات والتأليف.
4. زيادة رصيد البحث العلمي في هذا الموضوع المهم في مكتباتنا.

إشكالية البحث

تتمثل مشكلة التي عالجها البحث هي:

1. ما أنواع التأليف وأحكامها؟ وهل كل أنواع التأليف محمي من قبل الشريعة أم لا؟
2. هل للمؤلف حقوق مادية ومعنوية أم لا؟ وما موقف الشريعة الإسلامية منها؟

الدراسات السابقة

لقد اطلعت على كثير من الكتب في الحقوق المعنوية وخصوصا حقوق المؤلف في الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية، فوجدت أن العلماء قد كتبوا في جوانب مختلفة من هذا الموضوع ولكن كل هذه الكتب منحصرة في جانب من الجوانب ومن هنا رأيت أن أشمر عند مساور الجد لأجل الكتابة في هذا الموضوع وأسدّ هذا الفراغ العلمي وأيضا ما وجدت كتابا ولا بحثا صغيرا أو كبيرا في المقارنة بين الشريعة الإسلامية. ومن الكتب التي ألفت في هذا الموضوع

1. كتاب "حقوق المؤلف: النماذج المعاصرة لحق المؤلف ووسائل حمايته" للدكتور نواف كنعان، دار الثقافة،. يتضمن هذا الكتاب بابا تمهيدا وثلاثة أقسام وقد بدأه المؤلف بمقدمة حول أهمية حماية الإنتاج الفكري.
2. كتاب "المبادئ الأولية لحقوق المؤلف والاتفاقيات والمعاهدات الدولية" للدكتور المحامي محمد أبوبكر، تكلم الكاتب عن المبادئ والاتفاقيات والمعاهدات الدولية حول حقوق المؤلف، في القوانين الوضعية ولم يتكلم عن الجانب الشرعي حول الموضوع.

3. وكتاب آخر بعنوان " حقوق الاختراع والتأليف في الفقه الإسلامي " للدكتور حسين بن معلوي الشهراني، وقد كتب أشياء جيدة حول البحث واهتم فيه الباحث بالجانب الشرعي وآراءهم.
4. وبحث بعنوان " حق التأليف والاختراع في الفقه الإسلامي " للدكتور فضل الله ممتاز وذكر الباحث تعريف حق التأليف ومقاصده وأحكامه الفقهية المتعلقة بالموضوع.

منهج البحث

اعتمدت في بحثي هذا على المنهج الإستقرائي دراسة تحليلية .

منهج التعليق والتمهيش

1. عزوت الآيات القرآنية إلى سورها حسب المنهج العلمي.
2. قمت بتخريج الأحاديث حسب مناهج المحدثين وعزو كل حديث إلى مصادره الأصيلة وذكرت رقم الحديث وبابه الذي أخذت منه.
3. بيّنت حكم المحدثين حول الأحاديث الواردة إلا أحاديث الصحيحين لاتفاق الأمة على صحتهما.
4. قمت احالة أقوال العلماء والفقهاء إلى أصحابها مع بيان المصادر والجزء والصفحة.

الناحية الشكلية في الكتابة

أعنتيت في كتابة بحثي هذا، بقواعد الكتابة والإملاء وبالنواحي الشكلية وعلامات الترقيم، وهي كالتالي:

1. وضعت الآيات بين القوسين بهذا الشكل ﴿ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ﴾ .
 2. وضعت الأحاديث بين القوسين بهذا الشكل « ١ ٢ ٣ ٤ ٥ » .
 3. ما نقلته من النص وضعته بين قوسي التنصيص " " .
- وفي الختام وضعت أهم النتائج التي توصلت إليها والاقتراحات والملاحق زينت خاتمة بحثي.

المبحث الاول

تعريف التأليف، أهميته، أنواعه، مقاصده، وعناية الإسلام به
وفيه خمسة مطالب:

ولا يخرج المعنى الاصطلاحي للتأليف عن المعنى اللغوي، فالمؤلف يجمع ويصل بين العبارات والمعاني ليخرج منه معنا مفيدا يريد إظهاره، ويندرج تحت اسم التأليف كل عمل إبداعي مهما كانت درجته من الأهمية نحو: اختراع معدوم، وجمع متفرق، وتكميل ناقص، وتفصيل مجمل، وتهذيب وتلخيص مطول، وترتيب مختلط، وتعيين مهم، وتبيين خطأ.¹⁰

فعرفه حاجي خليفة- رحمه الله - بأنه: "إيقاع الألفة بين الكلام، مع التمييز بين الأنواع"¹¹

ويطلق على كتابة البحث أو الكتاب تأليف، لأن الكاتب يجمع بين المعلومات على وجه التناسب، ويطلق على الكتاب مؤلفا، لأنه يجمع بين المعلومات التي تتعلق بعلم أو أدب أو فن"¹².

وعرفه الدكتور حسين بن معلوي الشهراني: "بأنه إبداع العالم أو الكاتب ما يحصل في الضمير من الصور العلمية في كتاب ونحوه"¹³.

وبعد ذكر تعريفات متعددة للتأليف، وشرحها نستطيع أن نأخذ من ذلك تعريفا وهو أنه: إبداع ما يحصل في القلب والضمير من صور علمية مع الترتيب المنسجم بين أجزاء الكلام في كتاب أو غيره.

والتأليف لا يكون تأليفا إلا إذا كان فيه شيء من الابتكار في شيء محسوس يمكن نقله والاستفادة منه بأي شكل من الأشكال.

المطلب الثاني: أهمية التأليف

لا يستطيع أحد أن ينسى أهمية التأليف والكتابة وأثرها على الأمم، خصوصاً أمتنا الإسلامية، سلبية كانت أم إيجابية، وأن المؤلفين، هم أصحاب الفكرة والعلم والأدب والثقافة والاقتصاد والصناعة والتكنولوجيا، وهم الذين يسيطرون مصائب الأمم بأقلامهم، وبأقلامهم تتضح معالم الحاضر والمستقبل، وبأقلامهم تسيطر على العالم، سواء كانت السيطرة العلمية، أم الثقافية، أم اقتصادية.

قال سبحانه وتعالى:

﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمَ ۝١٤﴾

فلا يستطيع أن يطلب العلم، ولا يمكن أن تمتلك أدوات المعرفة والقراءة إلا عن طريق القلم، والقلم الوسيلة الأولى للكتابة، ولهذا نعلم أن ديننا الإسلامي، دين العلم والقراءة ودين الكتابة والتأليف، كما قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾¹⁵ وكفى بذلك شرفاً. فالعلم له مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة في الدين؛ لأن فوائده غير محصورة، كما هي الوسيلة الأولى لزيادة العلم والطريق الأمثل للدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ونشر الدين الإسلامي وأحكامه، والتأليف يبدأ من العلم

قال الإمام الحسن البصري¹⁶ - رحمه الله -: " يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء، فيرجح مداد العلماء "

وقال في تفسير قوله تعالى:

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾¹⁷. إن الحسنه في الدنيا هي العلم والعبادة، وفي الآخرة هي الجنة¹⁸.

ونعرف قدر التأليف من خلال الدعوة وبيان معاني كتاب الله العظيم والحديث النبوي الشريف بالكتابة والتدوين، حيث قامت أقلام الكتاب والعلماء بالشرح والتفسير لتوصل هذا الدين إلى كل أنحاء العالم بهذه الوسيلة، وكان لدور القلم والكتابة المكانة الأولى في انتشار الخير العميم، خصوصاً عندما كان هذا القلم يخط خطه من خلال

العمل والقُدوة والالتزام بما جاء في الكتاب والسنة، لأجل هذا تحث شريعتنا على الكتابة والتأليف، لأنه وسيلة مؤثرة لهداية الناس وإرشادهم إلى طريق الحق والهدى.

وقال علي بن نايف: " لقد فاق المسلمون غيرهم قرونا وعقوداً من الزمان حينما كانوا أساتذة الدنيا في العلم والكتابة وفي التعليم والثقيف وفي نفس الوقت كانت أوروبا في ظلام الجهل والتخلف وكان المسلمون قد سبقوا عصرهم في شتى العلوم، وما نحن في هذا الزمان وقد تبدل حالنا وصرنا في مؤخرة الركب بعد أن كنا في مقدمته، ونسينا أن ديننا يرغب في العلم و البحث العلمي العميق ويدعو إليه ويمهد طريقه، ويدعو إلى رعاية طلابه وأساتذته مادياً ومعنوياً، ومن هنا فلا عودة لنا إلى سابق عزنا ومجدنا إلا إذا أقبلنا على العلم والكتابة والتأليف من منطلق إيماني خالص، فعندئذ نعود إلى سالف مجدنا وسابق عزنا"¹⁹.

كما قال الأستاذ أبو الحسن الندوي- رحمه الله -: " فإذا أراد العالم الإسلامي أن يستأنف حياته، ويتحرر من رق غيره، وإذا كان يطمح إلى القيادة فلا بد من الاستقلال التعليمي، بل لا بد من الزعامة العلمية وما هي بالأمر الهين، إنها تحتاج إلى تفكير عميق، وحركة التدوين والتأليف الواسعة، وخبرة إلى درجة التحقيق، والنقد بعلوم العصر مع التشبع بروح الإسلام والإيمان الراسخ بأصوله وتعاليمه، إنها لمهمة تنوء بالعصبة أولى القوة."²⁰ .
وبما تقدم ذكره في هذا الفرع وضحت لنا أهمية الكتابة والتأليف لأنه أساس العلم والاكتشاف وبه يكون انتشار الدين وانتقال الثقافات من بلد إلى بلد آخر.

المطلب الثالث: أنواع التأليف

لاشك أن أنواع التأليف كثيرة لاختلاف أغراض أصحابها في الوضع والتأليف ولكن المقصود هنا التعريف بالتأليف المحمية، والتي لصاحبها الاحتفاظ بحقوقه وهو بالتتابع ينقسم على تقسيمين²¹:

الفرع الاول: باعتبار الشكل أو طريقة العرض: وينقسم بهذا الاعتبار إلى نوعين

أ- المحررات: والمراد منها التأليفات المكتوبة في أي علم من العلوم كان، كالتوحيد والتفسير وعلومه، والحديث وعلومه، والفقه وأصوله، واللغة وعلومها، والشعر بأنواعه،

والطب، وعلوم الآلة، والرياضيات، والهندسة، والتاريخ، والجغرافيا، وما جرى مجرى ذلك من التأليفات المكتوبة.

ونوع الكتابة وأسلوبها العلمي يختلف باختلاف الفنون، بل إنه يختلف من شخص إلى آخر، فالمفسر الذي يفسر الآيات القرآنية غير الذي يكتب في بيان الأحكام الشرعية الفقهية وهكذا منهج كلهم متفاوت، بحسب موضوعه وأسلوبه العلمي والفني، ولكن كلهم يستفيدون من حماية مصنفاتهم.

وأيضاً يدخل تحت هذا النوع برامج الحاسب الآلي، وكل ما كان مكتوباً بواسطته، بشرط أن يمكن حفظها بوسيلة من الوسائل كإداعها في أشرطة أو اسطوانات وأن يمكن أيضاً قراءة مباحثها ومحتوياتها بواسطة الوسائل المختصة.

ب:- الشفويات: كالخطب، والمحاضرات، والمواعظ، والندوات، وما جرى مجرى ذلك مما يلقي شفاهاً كالدروس المسجلة والمسرحيات الابتكارية المسجلة وغيرها من الشفويات التي ليست مكتوبة بل مسجلة في أشرطة أو الحاسوب أو غير ذلك.

وعرفها بأنها: عبارة عن الأثر المتشكل من مجموعة التصاوير المرتبطة يمكن أن يستخدمه لرؤية الناس مع التسجيل الصوتي بواسطة المكينات أو غيرها من الوسائط، بغض النظر عن طريقة التثبيت، أو الدعامة المستخدمة، لإعداد مصنف سمعي بصري، بحيث يمكن من خلاله أن يتجسم الأثر ويستفاد منه.

أما الشيخ بكر أبو زيد - رحمه الله - قال في قضية الشفويات: " لا يصح في القانون الوضعي تسجيل أي من هذه الشفويات ونشرها دون سابق إذن المؤلف، لكن العرف في كثير من البلدان الإسلامية أن هذا حق مشاع لكل مسلم تلقيه وتسجيله ونشره لتأصيل عامل الحسبة فيه، ولهذا فلا يدخل في ماهية التأليف في بحثنا هذا " ²².

ولكن إذا حفظ في أشرطة وجهد في تأليفها ويوجد فيها إبداع فإنها تدخل في حكم التأليف المحمية، كما أنه محمي في القوانين في البلاد الإسلامية بحمايتها لسببين:

- 1- وجود القيم المادية لها في هذه الأيام.
- 2- أنه يوجد فيه معنى التأليف والكتابة؛ لإمكان إستماعه وحفظه وفهمه.

الفرع الثاني: باعتبار الإصالة وعدم الإصالة

وبسبب تشعب ميادين التأليف والكتابة العلمية وكثرة الإنتاجات الذهنية، كثرت التأليفات ويمكن تقسيمها من حيث مدى إصالتها وعدمها إلى قسمين:

الأول: المصنفات الأصلية

وهي المصنفات التي وضعها مؤلفوها مباشرة، دون أن تقتبس من المصنفات السابقة، وتعتبر هذه المصنفات أصلية لأنها وليدة أفكار مؤلفيها، وتتميز عادة بالإبداع والإصالة، ويظهر فيها ملكة المؤلف في ابتكارها وتأليفها وهذه كلها توجد لمن له ملكة تامة في العلم ولمن له تجارب وثيقة كافية.

و" المؤلف الأصلي أو الأثر الأصلي هو عبارة عن كل تأليف أدبي، ففاني أو علمي أياً كان نوعه أو طريقة التعبير عنه، أو أهميته أو الهدف منه".

وفي هذا النوع من المؤلفات يكون مشقته أكثر؛ لأنه أول من شمر عن ذراعيه للتأليف والكتابة، وتشمل هذه الحماية، المصنفات المعبرة عنها بطريقة الكتابة أو الصوت أو الرسم.

كما قال المرادوي الحنبلي²³ - رحمه الله -: " إن المؤلف إذا صنف كتابا قد سبق إلى مثله: يسهل عليه تعاطي ما يشابهه، ويزيده فوائد وقبولا، وينقحه ويهدبه، بخلاف من صنف في شيء لم يسبق إلى التصنيف فيه؛ لأنه يحصل له مشقة بسبب ذلك " ²⁴.

الثاني: المصنفات المشتقة

إن الحماية لا تقتصر على المصنفات الأصلية وإنما تمتد إلى المصنفات المشتقة، وهي: التي تعتمد على مصنف سابق عليه أو أكثر، وهو ما يظهر في الترجمة، أو التفسير، أو التحقيق، أو الاختصار أو التنقيح، أو غير ذلك من صور المؤلفات القابلة للإعادة.

ويمكن لنا تعريف للمصنف المشتق بأنه: " هو المؤلف الذي يستمد أصله من كتاب سابق أو كتب التي سبقت وجودها، أو يغير شكلها، كالترجمات والملخصات والمجموعات الشعرية مثل القصص، أو الإصطلاحات المحلية الفلكلورية أو تغيير بأي

شكل من الأشكال التي يستطيع أن يرتب المؤلف أثره أو يغير شكله أو أن يقتبس عنه بصورة جديدة، ما دامت مبتكرة من حيث الترتيب أو اختيار محتوياتها".
وأيضا يشمل أثر المقتبس، كتابة الحاشية على المتن وشرحه وإصلاحه، وإن ظهر في المجموع أنه أثر الأصلي، ويسمى الأثر اقتباسا إذ يأتي فيه بشيء جديد ليس موجودا في الأثر الأصلي.

ويتضح مما تقدم أن المصنف المشتق: هو الذي يظهر في صورة التلاصق أو المزج المادي أو المعنوي كالترجمة وغيرها من أنواع الآثار المتقدمة آنفا.
هذه هي كانت من أنواع التأليف بشكل عام ولكن توجد أنواع أخرى تأتي ضمن التقسيمات التي ذكرناها وتأتي تعريفاتها بشكل خاص لانفرادها بالحكم وخروجها من دائرة التقسيمات المذكورة في بعض الأحيان نحو:

- 1 - المصنف الجماعي: هو مجموع من الآثار الأدبي والعلمي والفني وتشمل دائرة المعارف ومجموعات متعددة من الأشعار وبقية الآثار التي تنتخب وترتب محتوياتها على ترتيب منسجم، بحيث يتشكل منها أثر مبتكر فكري مبتدع.
- 2 - المصنف المشترك: المصنف الذي يساهم في وضعه أكثر من شخص، ولا يمكن فصل بحث كل واحد منهم، بحيث تكون جهودهم لازما وملزوما بينهم.
- 3 - المؤلف المغفل عن الاسم: هو الأثر الذي لا يعرف اسم مؤلفه أو مغفل الاسم وتوثيق اسمه صعب.
- 4 - المؤلف باسم المستعار: وهو المصنف الذي يذكر فيه ألقاب أو ألفاظ أو اسم مستعار²⁵.

وسنناقش كل نوع من هذه الأنواع في بابه المناسب إن شاء الله.

المطلب الرابع: مقاصد التأليف

لاشك أن كل من عمل عملا يقصد من خلال عمله وجهده أن يصل إلى مقصده، والمؤلفون أيضا عندهم مقاصد أسمى من كل من يقصد في شيء لأنهم أهل العلم والكمال بحيث لا يؤلف عالم، إلا وعنده مقصد من المقاصد السامية الرفيعة.
وقد حصر ابن خلدون²⁶ - رحمه الله - مقاصد التأليف التي ينبغي الاعتماد عليها وإلغاء ما سواها، في سبعة مقاصد:

أولها: اختراع معدوم: وهو شيء لم يسبق إليه شخص فيخترعه، ويستتبط العلم بموضوعه وتقسيم أبوابه وفصوله وتتبع مسأله، نحو الرسالة للإمام الشافعي رحمة الله عليه.

ثانيها: شرح مغلق²⁷: أن يقف على كلام الأولين وتأليفهم فيجدها مستغلقة على الأفهام ويفتح الله له في فهمها فيحرص على إبانة ذلك لغيره ممن عساه يستغلط عليه. مثل فتح القدير، للعلامة ابن الهمام، فهو شرح الهداية، والهداية نفسه شرح للعناية. ثالثها: تبيين خطأ: أن يعثر المتأخر على غلط أو خطأ في كلام المتقدمين فيصلحه، ويستوثق ذلك بالبرهان الواضح الذي لا مدخل للشك فيه.

رابعها: تكميل ناقص: كأن يكون الفن قد نقصت منه مسائل أو فصول بحسب انقسام موضوعه فيقصد المطلاع على ذلك أن يتم ما نقص من تلك المسائل ليكمل الفن بكامل مسأله وفصوله، ولا يبقى للنقص فيه مجال. كتفسير الجلالين، فإنه شرع جلال الدين المحلي في تفسيره ولكن ما تم، وجاء بعده جلال الدين السوطي وتمه.

خامسها: ترتيب مختلط: أن تكون مسائل العلم قد وقعت غير مرتبة في أبوابها ولا منتظمة، فيقصد المطلاع على ذلك أن يرتبها ويهذبها، ويجعل كل مسألة في بابها.

سادسها: جمع متفرق: أن تكون مسائل العلم مفرقة في أبوابها من علوم أخرى، ويجمعها في فنه وينظمه من جملة العلوم التي ينتحلها البشر بأفكارهم ويجعل في كتاب واحد.

وسابعها: تلخيص مطول: أن يكون التأليف التي من أمهات الفنون مطولا، فيقصد بالتأليف تلخيص ذلك، بالاختصار والإيجاز وحذف المتكرر، إن وقع، مع الحذر من حذف الضروري لئلا يخل بمقصد المؤلف الأول²⁸.

وقد نظمها بعضهم فقال:

ألا فاعلمن أن التأليف سبعة *** لكل لبيب في النصيحة خالص

فشرح لإغلاق وتصحيح مخطئ *** وإبداع حبر مقدم غير ناكص

وترتيب منشور وجمع مفرق *** وتقصير تطويل وتتميم ناقص²⁹.

وقد زاد بعضهم مقصدا ثامنا: وهو تعيين المبهم³⁰.

وذكر ابن خلدون - رحمه الله - بعد بيان المقاصد السبعة كلامه وقال:

" فهذه جماع المقاصد التي ينبغي اعتمادها بالتأليف ومراعاتها، وما سوى ذلك ففعل غير محتاج إليه وخطأ عن الجادة التي يتعين سلوكها في نظر العقلاء، مثل انتحال ما تقدم لغيره من التأليف أن ينسبه إلى نفسه ببعض تلبيس، من تبديل الألفاظ وتقديم المتأخر وعكسه، أو يحذف ما يحتاج إليه في الفن أو يأتي بما لا يحتاج إليه، أو يبدل الصواب بالخطأ، أو يأتي بما لا فائدة فيه، فهذا شأن الجهل والقحة³¹ " ³².

والمقصود من ذكر هذه المقاصد هو التأكيد على ضرورة الإبداع والابتكار والحذر من الإتيان بالشيء الذي ليس فيه فائدة وعدم ضياع الأوقات والأموال بسبب بيان أشياء غير مفيدة في الكتب والتأليف.

كما قال علاء الدين الكاساني³³ - رحمه الله - في أغراض التأليف:

" إن الغرض الأصلي، والمقصود الكلي من التصنيف في كل فن من فنون العلم هو تيسير سبيل الوصول إلى المطلوب على الطالبين، وتقريبه إلى أفهام المقتبسين، ولا يلتئم هذا المراد إلا بترتيب تقتضيه الصناعة، وتوجيه الحكمة، وهو التصفح عن أقسام المسائل، وفصولها، وتخريجها على قواعدها، وأصولها ليكون أسرع فهما، وأسهل ضبطاً، وأيسر حفظاً فتكثر الفائدة " ³⁴.

وفي الأخير يبرز لنا أن المقصد من التأليف هو ما كان عملاً إبداعياً يظهر شخصية المؤلف ومكانته العلمية ويقدم شيئاً جديداً للمجتمع ويحل لهم مسألة غامضة، وأما النقل المجرد الخالي عن الجديد أو التجمع الذي لا يوجد فيه أي إبداع فلا يعد ابتكاراً، ولكن هو التشبع بما لم يعط وإنتاج مزور مقنع بدعوى كاذبة.

والابتكار يعني: أن يكون الإنتاج كالتأليف ذا قيمة، بمعنى أن تبرز مغالبة المؤلف في تأليفه، ويرجع تقدير الابتكار الذي بموجبه يحسب تأليفاً تحمي حقوقه لمؤلفه إلى القضاء³⁵.

ولا بد للمؤلف أن يصل في ختم تأليفه إلى الفوائد التي ذكرها حاجي خليفة في كشف الظنون كي لا يكون التأليف فارغاً من الأهداف السامية.

وهذا ما قاله حاجي خليفة - رحمه الله - في فوائد التأليف وأهدافه: " وينبغي لكل مؤلف كتاب في فن قد سبق إليه: أن لا يخلو كتابه من خمس فوائد، وهي استنباط شيء كان

معضلا، أو جمعه إن كان مفردا، أو شرحه إن كان غامضا، أو حسن نظم وتأليف، وإسقاط حشو وتطويل" ³⁶.

المطلب الخامس: عناية الإسلام بالكتابة والتأليف

لقد اهتمت الشريعة الإسلامية اهتماما كثيرا بالقراءة والكتابة والتأليف، بحيث إن أول آية نزلت على قلب الرسول الأُمي - صلى الله عليه وسلم - من القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، هي:

﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . . .﴾ ³⁷.

وأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالكتابة حيث قال: « اكتبوا لأبي شاه » ³⁸ وأيضا أمر الشفاء بنت عبد الله - رضي الله عنها - أن تعلم حفصة رقية النملة، كما جاء في سنن أبي داود، عن الشفاء بنت عبد الله قالت: دخل علي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنا عند حفصة فقال لي « ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة » ³⁹ فالنبي - صلى الله عليه وسلم - طلب منها، تعليم حفصة رقية النملة وحثها عليها، ونشطها لذلك بتذكيرها بتعليمها لها الكتابة؛ لأنها كانت من عاقلات النساء وعارفاتهن بالتعلم والكتابة.

وأیضا دعا الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى تعليم الكتابة حتى إنه كان بعد غزوة بدر يطلق سراح الأسير إذا علم عشرة من صبيان المدينة الكتابة والقراءة ⁴⁰.

وأیضا كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يدعو إلى تعلم اللغات الأجنبية، كما ورد في الحديث عن زيد بن ثابت، أنه قال: « أمرني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن أتعلم له كلمات من كتاب يهود قال: « إني والله ما آمن يهود على كتاب » قال: فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له قال: فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليهم قرأت له كتابهم، كما أمره بتعلم السريانية فتعلمها ⁴¹.

وأیضا من الصحابة من اشتهر بكتابة المصاحف منهم: ناجية الطفاوي، ونافع بن ظريب النوفلي ⁴².

وإن الرسالة السامية الإسلامية تؤمن بالعلم، وتمهد لتنوير القلوب والعقول، وإن أولى آيات كتابها العزيز لفظ *تَعْلَمُ* وقد عظم ومجد رب العزة مقام العلم والكتابة بتعظيم الحروف، والقلم الذي يكتب بها ومن يسطرونه من ملائكته، فأقسم بالحروف والقلم وما

يسطر وبالكاتب له، فقال جل من قائل ﴿تَوَلَّىٰ وَآلَقَمٌ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾⁴³. فالحرف والقلم ومن يسطر به كلها أدوات حرفة الكتابة، استحقت لأهميتها أن يقسم ربنا بها وهذا هو عناية الإسلام بالتأليف والكتابة.

كما كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا يقرأ ولا يكتب وذلك في حد ذاته معجزة كبرى فهو في حاجة إلى من يكتب له الوحي، فكان له كتاب يكتبون له ما ينزل من الآيات البينات، وكتاب الوحي عدد غير قليل من الصحابة، وكتابة الوحي بنفسه علامة على عناية الإسلام إلى العلم والكتابة.

كما قال بكر أبو زيد - رحمه الله -: " فكتاب النبي - ﷺ - وقد أفردت بأخبارهم المصنفات من أكبرها: المصباح المضيء لابن حديدة⁴⁴، وقد أوصلهم العراقي⁴⁵ في ألفيته إلى كاتباً⁴⁶.

وكان من الطبيعي أن المؤمنين بعد سماع هذه الدساتير المهمة يهدفون إلى تحصيل العلم كي يستطيعون القراءة والكتابة، ويعلموا أحكام دينهم ويعملوها ويتعلموها. عرفنا من النصوص الواردة عناية الإسلام وحثه على التعليم والتأليف والكتابة والبحث العلمي، بحيث يرغب من خلال دستاتيره الغراء وآياته البينات على كسب العلم ومدارسته ومكاتبته، ومن هذا نعلم أهمية العلم والكتابة والتأليف والمؤلف وعناية الشريعة الإسلامية بها، وهذه كله كانت شعاراً ورمزاً وعملاً في أمة أمية يرغبهم على التعليم والتأليف. ومن الواضح أن العرب قبل الإسلام لم تكن أمة كاتبة، والذي لا يكتب لا يملك كتاباً، لهذا كانوا بعيدين عن نطاق الثقافة التي تؤهلهم للإنتاج العلمي الذي يسموا درجاتهم على غيرهم من الأمم.

ولقد جاء الإسلام وليس في قريش مع أنها أكثر القبائل تمدناً غير عدد قليل من الكاتبين مثل: الشيخين، وأبي عبيدة وطلحة، وأبي سفيان بن حرب، ويزيد ومعاوية ابناه، وأبي حذيفة بن عتبة، وحاطب بن عمرو، وأبي سلمة المخزومي، وأبان بن سعيد بن العاص وأخيه خالد، وعبد الله بن سعيد بن أبي سرح العامري، وحويطب بن عبد العزى

العامري، وجهيم بن الصلت، وعثمان بن عفان، ومن النساء الكاتبات، كانت الشفاء بنت عبد الله وأم كلثوم ومن أمهات المؤمنين حفصة رضي الله عنهم. وأنصار الرسول - صلى الله عليه وسلم - كانوا من سعة الأفق ورحابة التفكير بحيث رحب شعبهم بالإسلام قبل أن تكون مدينتهم داراً للهجرة، ولم يكن بينهم من يعرف الكتابة غير عدد قليل، مثل: أبي بن كعب الأنصاري وزيد بن ثابت الأنصاري - رضي الله عنهم - اجمعين⁴⁷.

وفي نطاق هذه التوجيهات الحميدة، وعناية الدين الإسلامي بها، انتشر تعلم الكتابة والقراءة انتشاراً واسعاً، بحيث صارت المدن الإسلامية في مدة قليلة محل العلم والكتابة والتعليم والثقافة وفي كل مدينة كانت عشرات مجالس للتعليم والتعلم، ونشأت المدارس والمكتبات وبدأت الحركة العلمية العالمية، وهذه الحركة بدأت بالقرآن الكريم، ثم بالحديث الشريف جمعا وفهما وشرحا وتفسيرا وتأويلاً وتدويناً، وقد كان على رأس هذه الحركة عدد من علماء الصحابة الذين كانوا على مرتبة رفيعة من العلم والفطنة.

والنبي - صلى الله عليه وسلم - يبعث أصحابه إلى أمصار الدولة الإسلامية لتعليم الناس أحكام دينهم، كما بعث علي بن أبي طالب وأبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل - رضي الله عنهم - إلى اليمن، وبعث غيرهم إلى أماكن شتى.

ومن بعده الخلفاء الرشidon - رضي الله عنهم - كانوا يبعثون إلى كافة البلاد المفتوحة العلماء والقراء لتعليم الناس القراءة والكتابة وتوضيح أحكام القرآن والسنة.

كما أرسل عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - إلى الكوفة وأرسل معه بكتاب يخطب فيه أهل الكوفة فحينما بعث عمر عبد الله بن مسعود إلى الكوفة، وهو من خيرة الصحابة علماً وفضلاً، بعث الخليفة إلى أهل الكوفة يقول لهم: "إني بعثت إليكم عبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، وآثرتكم به على نفسي"⁴⁸.

وهذا الخطاب من الخليفة بمثابة تقديم وتكريم للصحابي المبعوث، ولمكانته العلمية وعناية الدولة الإسلامية بالعلم والعلماء لاسيما إذا كان هو من خيرة أصحاب النبي - ﷺ -⁴⁹.

ولقد تفرق الصحابة في الأمصار معلمين للناس ومستشارين وحكاماً ومفتين، وكان لكل صحابي مدرسة من مريديه، وهؤلاء المريدون هم التابعون، وكان للتابعين مريدون أيضاً

فعرفوا بتابعي التابعين، وهكذا اتسع نطاق الثقافة الدينية ورحبت آفاقها على يد هؤلاء وأولئك في هذا المصر أو ذلك، فنشأت نواة الحركة العلمية العقلية بعد جيلين أو ثلاثة من جيل الصحابة، وبناية الإسلام صارت البلاد الإسلامية مصدر العلوم والثقافات والحضارات، حيث يأتون إليها من جميع أنحاء العالم لطلب العلم والكتابة. والخلاصة: إن الإسلام هو دين العلم والفن ودين الثقافة والنهضة وهو الدين الذي بدء به ﴿أَقْرَأُ﴾ و﴿تَّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ و﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾⁵⁰ ودين التعلم والتعليم ودين الحضارة والثقافة والكتابة .

المبحث الثاني

تعريف حق التأليف وأقسامه شرعا وقانونا

وفيه مطلبين:

المطلب الأول: تعريف حق التأليف

المطلب الثاني: أقسام حق التأليف

المطلب الأول: تعريف حق التأليف

لقد سبق التعريف الإضافي للحق والتأليف كمركب إضافي ولكن بقي تعريف "حق التأليف" كمركب لقبى، لأنه يقصد به غير ما يقصد من التعريف الإضافي بل يقصد منه شيء معين وقد عرف هذا الحق كثير من العلماء المعاصرين منهم: الدكتور وهبة الزحيلي حيث عرفه بأنه: "حق الإنسان في إبداع شيء علمي أو أدبي أو فني، سواء بالجمع والاختيار، أو إحداث شيء لم يسبق إليه، أو إكمال ناقص، أو تصحيح خطأ، أو تفسير وتفصيل، أو تلخيص أو تهذيب، أو ترتيب مختلط"⁵¹.

ويمكن تعريف حق التأليف بأنه: اختصاص شرعي بمؤلف يثبت لمؤلفه، ويمكن له أن ينسبه إليه، ويدفع التصرف فيه والاعتداء عنه، واستثنائه بالمنفعة المالية المنتجة عن استغلاله إذا كان الاستغلال مباحا شرعا. وحق التأليف صورة من الحقوق المعنوية أو حقوق الابتكار يعطي المؤلف حق الاحتفاظ بثمرة جهده الفكري، ونسبة هذا الجهد إليه، واحتفاظ المنفعة المالية التي يمكن الحصول عليها من نشره وتعميمه⁵².

المطلب الثاني: أقسام حق التأليف:

قسم بكر أبو زيد - رحمه الله - أقسام حق التأليف إلى قسمين:

القسم الأول: حق خاص: وهو حق المؤلف نفسه، ومن أتى عن طريقه وهو ما اصطلح عليه بالحقوق الأدبية والمالية.

القسم الثاني: حق عام: وهو حق للأمة لحاجتها إلى ما فيه من علوم ومعارف سداً لحاجتها وتنمية لمواهبها، مثل حق الاقتباس وحق الترجمة وحق الدولة في نشر المؤلف عند قيام الحاجة إليه.

ويقسمون الحق الخاص للمؤلف ومن أتى من طريقه، إلى نوعين⁵³:

النوع الأول: الحق الأدبي أو المعنوي

يرتبط هذا الحق بشخصية المؤلف ولا يقبل المعاوضة، ولا يدخل في مسمى المال، ويثبت له بهذا الحق نسبة مصنفه إليه، وتقرير نشر مؤلفه، ودفع الاعتداء على مصنفه، وسحب مصنفه من التداول وحرقة متى ما رأى أن هناك خطأ علمي ارتكبه ومثل ذلك من الأمور غير المالية.

النوع الثاني: الحق المالي

وهو يرتبط بالمؤلف ويقبل المعاوضة عنه، ولصاحبه حق في اختصاصه بالمنفعة المالية التي تمكنه من استعمالها واستغلالها وبيعها، وفي هذا يتعلق أكثر بحثنا، لأنه موضوع خلافي بين العلماء⁵⁴.

نكتفي لهذا القدر و لا نبحت عن حق التأليف مفصلا كي لا يطول علينا البحث والله الحمد والأولى.

النتائج

1. اهتمت الشريعة الإسلامية اهتماما كثيرا بالقراءة والكتابة والتأليف،
2. إن أول آية نزلت على قلب المحبوب - صلى الله عليه وسلم - من القرآن العظيم تأمر بالقراءات، التي تدل على أهمية التعليم والتعلم.
3. مكانة التأليف والمؤلف في الشريعة الإسلامية كثيرة جدا.
4. إن التأليف أنواعه كثيرة ولكل نوع ميزاته وخصوصياته
5. أن الإنتاج الفكري ذا أهمية كثيرة وخصوصا حقوق المؤلف.
6. إن الشريعة الإسلامية تحمي الكتاب والقراء والمؤلفين من كل أنواع المخاطر.
7. إن للمؤلف حق مادي و حق معنوي والشريعة تحمي كليهما.

فهرس الهوامش

¹ - ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، (1/ 131)؛ الكفوي، الكليات، (ص: 288)؛ الجرجاني،

التعريفات، (ص: 50)؛ الإصمعي، المفردات في غريب القرآن، (ص: 81).

² - ابن منظور، لسان العرب، (9/ 10).

³ - ابن منظور، لسان العرب، (9/ 10).

- ⁴ - سورة آل عمران/ 103.
- ⁵ - الفيومي، المصباح المنير، (1/ 18).
- ⁶ - هو: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكفوي الحنفي، (ت: 1094)، كان من قضاة الأحناف، عاش وولى القضاء في كفه بتركيا، وبالقدس، وببغداد، وعاد إلى إستانبول فتوفي بها، ومن تصانيفه: الكليات. ينظر: الزركلي، الأعلام، (38/2)؛ كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، (بدون رقم وتاريخ الطبع)، (31/3).
- ⁷ - الكفوي، الكليات، (ص: 288).
- ⁸ - الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (ص: 81).
- ⁹ - ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، (1/ 131).
- ¹⁰ - القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، (بدون رقم وتاريخ الطبع)، (ص: 38)؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، الإشبيلي، مقدمة، المحقق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية 1408 هـ، (1/ 732)؛ شكري، سرور محمد، النظرية العامة للحق، دارالفكر العربي، الطبعة الأولى 1979م، (74).
- ¹¹ - حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلي القسطنطيني، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد، (بدون رقم الطبع)، (1/ 35).
- ¹² - شبير، محمد عثمان، المعاملات المالية في الفقه المعاصرة، (ص: 41).
- ¹³ - الشهراني، حقوق الاختراع والتأليف، (ص: 83).
- ¹⁴ - سورة العلق/ 1-5.
- ¹⁵ - سورة طه/ 114.
- ¹⁶ - هو: أبو سعيد الحسن بن يسار البصري، (21- 110هـ)، كان من سادات التابعين وكبرائهم، وخبير الأمة في زمنه وأحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك، وجمع كل فن من علم وزهد وورع، شهد له أنس بن مالك وغيره. وكانت أمه ترضع لأم سلمة، ولد بالمدينة، وله كلمات سائرة وكتاب في فضائل مكة. ينظر: الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة 1405هـ، (161_131/2)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، (69/2)
- ¹⁷ - سورة البقرة/ 201.
- ¹⁸ - القرضاوي، يوسف عبد الله، الحياة الربانية والعلم، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى 1416هـ، (ص: 81).
- ¹⁹ - ينظر: الشحود، علي بن نايف، الوقت وأهميته في حياة المسلم، (1/ 301).

²⁰ - الندوي، أبو الحسن، ماذا خسر العالم الإسلامي بانحطاط المسلمين، مكتبة الإيمان، القاهرة، (ص: 239).

²¹ - السنهوري، الوسيط، (8/293-294).

²² - (22) بكر أبو زيد، فقه النوازل، (2/157).

²³ - هو: علي بن سليمان بن أحمد بن محمد العلاء المرادوي ثم دمشقي الصالحي الحنبلي ويعرف بالمرادوي، (817 - 885 هـ)، فقيه حنبلي، شيخ المذهب. ولد في مردا (قرب نابلس) ونشأ بها، حفظ القرآن وأخذ بها في الفقه وانتقل في كبره إلى دمشق فتوفي فيها. من مؤلفاته: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، تحرير المنقول، وغيرها. ينظر: السخاوي، أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت، (بدون رقم وتاريخ الطبع)، (5/225)؛ الزركلي، الأعلام (4/292).

²⁴ - المرادوي، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية (بدون تاريخ الطبع)، (12/296).

²⁵ - نفس المرجع، المادة رقم (4)، الفقرة رقم (18).

²⁶ - هو: الفيلسوف عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون أبو زيد وليّ الدين الحضرميّ الإشبيلي (732 - 808 هـ)، من ولد وائل بن حجر، المؤرخ العالم الاجتماعي البحاث، مولده ومنشأه بتونس اشتهر بكتابه المقدمة، وهي تعد من أصول علم الاجتماع ترجمت هي إلى الفرنسية وغيرها. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (4/145)؛ الزركلي، الأعلام، (3/330).

²⁷ - اعلم أن كل من وضع كتابا إنما وضعه ليفهم بذاته من غير شرح وإنما احتيج إلى الشرح لأمر ثلاثة:

أولاً: كمال مهارة المصنف فإنه لجودة ذهنه وحسن عبارته يتكلم على معان دقيقة بكلام وجيز يطلب الشرح.

ثانياً: حذف بعض مقدمات الأقيسة اعتماداً على وضوحها.

ثالثاً: احتمال اللفظ لمعان تأويلية أو لطافة المعنى عن أن يعبر عنه بلفظ يوضحه. ينظر: القنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن، أبجد العلوم، دار ابن حزم، الطبعة الأولى 1423 هـ، (ص: 109).

²⁸ - ينظر: ابن خلدون، مقدمة، (1/731_732)؛ القنوجي، أبجد العلوم، (ص: 107).

²⁹ - التلمساني، أحمد بن محمد بن أحمد، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، المحقق: مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبد العظيم شلبي، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، 1358 هـ، (3/35).

³⁰ - الفاسي، أبو عبد الله، إضاءة الراموس، المحقق، عبد السلام الفاسي الهاشمي، مطبعة فضالة محمدية، 1983 م، (2/288). وفيه أن إبا حيان هو الذي زاد المقصد الثامن في أوائل شرح التسهيل.

- ³¹ - والقحة: قليل الحياء. ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة (6/132).
- ³² - ابن خلدون، مقدمة (1/733).
- ³³ - هو: أبو بكر بن مسعود بن أحمد علاء الدين الكاساني، (ت: 587 هـ)، أحد كبار فقهاء الحنفية في عصره، الملقب بملك علماء الحديث، مدرّس المدارس الحنفيّة بحلب والرقة، والنوريّة، والحدادين، وجاوي، وخزانة الكتب بالجامع، ولد بكاسان سمرقند، أقام ببخارى واشتغل بها بالعلم، تفقه على علاء الدين السمرقندي. ومن مؤلفاته: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، توفي في حلب. ينظر: الفوائد الهية في تراجم الحنفية، للكنوي، (ص:53)؛ الباباني البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى 1951 م؛ (ص:235).
- ³⁴ - الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، (2/1).
- ³⁵ - ينظر: السنهوري، الوسيط، (8/292)؛ بكر أبو زيد، فقه النوازل، (2/151).
- ³⁶ - حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (1/38).
- ³⁷ - سورة العلق/ 1.
- ³⁸ - متفق عليه: أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - ﷺ - وسننه وأيامه = صحيح البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى 1422 هـ، كتاب في اللقطة، باب كيف تعرف لقطة أهل مكة رقم الحديث (2434)؛ مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله - ﷺ -، الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (بدون رقم وتاريخ الطبع)، كتاب الحج، باب تحريم مكة وصييدها وخلها وشجرها ولقطتها، إلا لمنشد على الدوام، رقم الحديث (1355).
- ³⁹ - أخرجه الإمام أحمد، مسند النساء، حديث الشفاء بنت عبد الله، رقم الحديث (27095)؛ أبو داود في سننه، كتاب الطب، باب ما جاء في الرقي، رقم الحديث (3887)؛ النسائي في السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1421 هـ، كتاب الطب، باب رقية النملة، رقم الحديث، (7501)؛ صححه الألباني.
- ⁴⁰ - المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم دار الهلال، بيروت، الطبعة: الأولى، (بدون تاريخ) (ص:209).
- ⁴¹ - أخرجه الإمام أحمد، مسند الأنصار، حديث زيد بن ثابت عن النبي - ﷺ -، رقم الحديث، (21618)؛ الترمذي، أبواب الاستئذان والآداب عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في تعليم السريانية،

رقم الحديث (2715) وقال هذا حديث حسن صحيح؛ أبو داود، أول كتاب العلم، باب في كتاب العلم، رقم الحديث، (3645)؛ وصححهما الألباني والأرناؤوط.

⁴² - الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المحقق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414هـ، (1/ 293)؛ ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1415 هـ، (6/ 317).

⁴³ - سورة القلم/ 1.

⁴⁴ - هو: محمد أو عبد الله بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن حسن الأنصاري، أبو عبد الله، جمال الدين ابن حديدة، (721 - 783 هـ)، مؤرخ عني بالحديث، وكتب الأجزاء والطباقي. مقدسي الأصل. سكن القاهرة وكان بها خازن الكتب في الخانقاه الصلاحية. وصنف المصباح المضي في كتاب النبي الأمي، ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي. ينظر: أبو الفلاح، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الأولى، 1406 هـ، (8/ 482)؛ الزركلي، الأعلام (6/ 286).

⁴⁵ - هو: حافظ أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر العراقي، (725 - 806 هـ)، وكان كثير الحياء والعلم والتواضع، وافر المهابة، وله محاسن كثيرة. توفي بالقاهرة بعد أن ترك مصنفات كثيرة منها: ألفيته في مصطلح الحديث، وشرحها، وغير ذلك من المصنفات. ينظر: أبو الفلاح، شذرات الذهب، (9/ 87)؛ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد، إنباء الغمر بأبناء العمر، المحقق: د حسن حبشي، إحياء التراث الإسلامي، مصر، 1389 هـ، (2/ 276).

⁴⁶ - بكر أبو زيد، فقه النوازل، (2/ 104).

⁴⁷ - ينظر: الشكعة، مصطفى، مناهج التأليف عند علماء العرب، دار العلم للملايين، الطبعة 15، 2004 م، (ص: 15).

⁴⁸ - أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه ابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1411 هـ، كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، ذكر مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، رقم الحديث (5663) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

⁴⁹ - الشكعة، مناهج التأليف عند العلماء العرب، (ص: 18).

⁵⁰ - سورة البقرة/ 31.

⁵¹ - الزحيلي، مصطفى وهبة، المعاملات المالية المعاصرة، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى 1423 هـ، (ص 584).

⁵² - شبير، المعاملات المالية في الفقه العاصرة، (ص:42).

⁵³ - الطيّار، عبد الله بن محمد، والمطلق، عبد الله بن محمد، والموسى، محمد بن إبراهيم، الفقه الميسر، مدار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى 1432هـ، (10/100)؛ بكر أبو زيد، فقه النوازل، (2/160).

⁵⁴ - الفقه الميسر، (10/100)؛ فقه النوازل، (2/167).

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ.
2. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، 1379 هـ.
3. ابن حنبل، أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، المسند، المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421 هـ.
4. ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد، الإشبيلي، مقدمة ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، المحقق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1408 هـ.
5. ابن خلكان البرمكي الإربلي، شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المحقق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1994 م.
6. ابن عبد البر، أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم النمري، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1414 هـ.
7. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399 هـ.

8. ابن كثير القرشي، أبي الفداء إسماعيل بن عمر البصري، تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية، 1420هـ.
9. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414 هـ.
10. أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي، السنن، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (بدون الرقم وبدون تاريخ).
11. أبو زيد، بكر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن بكر، فقه النوازل، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1416 هـ.
12. الباباني، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وأثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (بدون رقم وتاريخ الطبع).
13. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، 1422هـ.
14. الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى، السنن، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998 م.
15. التلمساني، شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى، أبو العباس المقري، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، المحقق: مصطفى السقا، وإبراهيم الإبياري، وعبد العظيم شلبي المدرس بالمدارس الأميرية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1358 هـ.
16. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، التعريفات، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1403هـ.
17. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بيروت، 1941م.

18. الحاكم، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه ابن البيع، المستدرک علی الصحیحین، تحقیق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1411 هـ.
19. الراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، بيروت، الدار الشامية، دمشق، الطبعة الأولى، 1412 هـ.
20. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، الفقه الإسلامي وأدلته الشامل للأدلة الشرعية والآراء المذهبية وأهم النظريات الفقهية وتحقیق الأحادیث النبویة وتخریجها، دار الفكر، دمشق، الطبعة الرابعة، 2011 م.
21. الزحيلي، وهبة مصطفى، المعاملات المالية المعاصرة، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى 1423 هـ.
22. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، (بدون تحديد مكان)، 2002 م.
23. السنهوري، عبدالرزاق أحمد، الوسيط في شرح قانون المدني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (بدون رقم وتاريخ الطبع).
24. شبير، محمد عثمان، المعاملات المالية المعاصرة في الفقه الإسلامي، دار النفائس، الأردن، الطبعة السادسة 1427 هـ.
25. الشكعة، مصطفى، مناهج التأليف عند العلماء العرب، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة، 2004 م.
26. الشهراني، الحسين ابن معلوي، حقوق الاختراع والتأليف في الفقه الإسلامي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى 1425 هـ.
27. الطيار، عبد الله بن محمد، وعبد الله بن محمد المطلق، ومحمد بن إبراهيم الموسى، الفقه الميسر، مدار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى 1432 هـ.

28. العكري أبو الفلاح، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، حققه: محمود الأرنؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الأولى، 1406 هـ.
29. الفيومي الحموي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، (بدون رقم الطبع وبدون تاريخ).
30. القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، (بدون رقم وتاريخ الطبع).
31. القرضاوي، عبد الله يوسف، الحياة الربانية والعلم، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى 1416 هـ.
32. القضاة، محمد أحمد حسن، حق التأليف، مفهومه، تكييفه، التعسف في استعماله في الفقه الإسلامي، مجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد العاشر، العدد (1)، 1435 هـ.
33. القنّوجي أبو الطيب، محمد صديق خان بن حسن بن علي الحسيني البخاري، أبجد العلوم، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 1423 هـ.
34. الكاساني، أبي بكر بن مسعود بن أحمد علاء الدين، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، 1406 هـ.
35. كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، (بدون رقم وتاريخ الطبع).
36. الكردي، أحمد الحجي، حكم الإسلام في حقوق التأليف والنشر والترجمة، مجلة هدي الإسلام، الأردن (وزارة الأوقاف الأردنية) المجلد (25)، العدد (7، 8)، 1401 هـ.
37. اللكنوي، أبي الحسنات محمد عبد الحي الهندي، الفوائد المهيبة في تراجم الحنفية، دارالكتاب الإسلامي، القاهرة، (بدون رقم وتاريخ الطبع).
38. المرادوي، أبو الحسن علي بن سليمان الصالحي الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، (بدون تاريخ).

39. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله - ﷺ -، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (بدون رقم وتاريخ الطبع).
40. الناهي، صلاح الدين، حق التأليف في القوانين الوضعية المعاصرة، مجلة هدي الإسلام، الأردن، العدد (8)، 1401هـ.
41. الندوي، أبي الحسن على الحسيني، ماذا خسر العالم الإسلامي بانحطاط المسلمين، مكتبة الإيمان، القاهرة، (بدون رقم الطبع وبدون تاريخ).
42. النسائي، أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، المجتبى من السنن = السنن الصغرى، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، 1406هـ.
43. الهيثي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المحقق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414هـ.

وتمت بالخير

وبصمات العارف الرباني المرحوم الشيخ محمد المنصور سه

إعداد:

د. هادي جوف

مدير جامعة الأرائك الدولية — السنغال

Mariemaissa4@gmail.com

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون....﴾

مقدمة

المدارس القرآنية المنتشرة في جميع أنحاء السنغال أهمية كبرى في نفوس المسلمين، حيث كانت هذه المدارس في الفترة التي سبقت إنشاء المدارس النظامية الحكومية؛ وهي حجة التعلم الأساسي، وكان لها في السابق دور كبير في حفظ الهوية الإسلامية؛ حيث استطاعت الصمود في وجه التحديات التي كانت تستهدف طمس الهوية للشعوب الإسلامية.

قبل الخوض في الموضوع نود أن نتطرق في ملامح هذه المنطقة التي ينتمي إليها هذا العارف الرباني، وهذه الكتاتيب القرآنية التي نريد إيضاح ما لها وما عليها من الانجازات والعوائق، ثم الخوض في دور هذا العالم الجليل الذي ترك بصماته تضيء العالم إلى يوم النسخ في الصور؛ هذا العالم الذي قضى نجه في بحر الحياة العلمية والتعليمية، وحقائق النورانية الربانية في أرجاء البلاد وخارجها، وبكل فن من الفنون، مع كل زينة من زين الحياة، بل هو حفيد من لولاه ما كان؛ ما كان، الذي كان موثق الحجة، شديد الورع، واسع العلم والمعرفة، بل مرشداً وإماماً في طريق القوم، ذا بصيرة وقادة في التصوف وفلسفته. إنه مالك بن عثمان رضي الله عنها وعن حفيده المترجم بروم دارج (عميد الكلية) الشيخ محمد المنصور سه نجل الشيخ أبي بكر سه ابن الشيخ الحاج مالك بن عثمان سه.

ملامح تاريخية للسنغال:

● الدولة والعاصمة

أطلق الفرنسيون على هذه الدولة المعروفة بهذا الاسم (السنغال)، كما سموها عاصمتها (دكار)، انطلاقاً من حادثة لها طابع الطرافة والمصادفة، حدث ذلك عند هبوط الجنود الفرنسيين على شواطئ دكار التي لم تكن سوى شبه جزيرة تستعمل كرفاً للصيد، حيث التقوا هناك ببعض الصادين، ولما حاولوا سؤالهم عن اسم المنطقة مشيرين بأيديهم مصادفة إلى الجهة التي توجد فيها القوارب، ومن ثم لعدم معرفة كلا الطرفين بلغة بعضها، اعتقد الصيادون أن الجنود الفرنسيين يسألون عن أصحاب القوارب فأجابوهم بكلمة (سُونُغَالُ)،

وتعني بلغتهم (الولوف) (قوارينا)، فسمى الفرنسيون من وقتها المنطقة بـ (السنغال)؛ معتقدين بأن اسمها كذلك.
 وحين سألوهم عن الناحية التي متواجدين فيها مشيرين إلى جملة شجرة (تمر هندي)، المعروف بدرجة السودان (أرديب)، حسبوا بأنهم يُسألون عن نوع الشجرة؛ بأن اسمها (دَحَاْر)، وهكذا اسم المدينة التي أقيمت في تلك الناحية بالنسبة للفرنسيين (دَكَاْر).

• الموقع الجغرافي:

تقع السنغال في أقصى الغرب من القارة الإفريقية، يحده المحيط الأطلسي غربا، والجمهورية الإسلامية الموريتانية شمالا، وجمهورية غينيا كوناكري و غنيّا إيساؤو جنوبا، وجمهورية مالي شرقا. فالدولة تشكل نافذة لأفريقيا الغربية نحو القارة الأمريكية، ومركزا متميزا للنشاطات البحرية في القارة الإفريقية.

مناخ السنغال معتدل إجمالاً؛ حيث تبلغ درجة الحرارة صيفا 35 د في الساحل، وفي البر 45 د، وفي الخريف 20 . ولا يوجد سوى فصلين هما فصل الصيف وهو فصل الأمطار، وفصل الخريف وهو فصل الجفاف.

الإسلام في السنغال:

الإسلام هو الدين الرئيسي في السنغال، ويقدر عدد المسلمين بجوالي 95% من تعداد السكان، ومعظمهم من الصوفيين. السنغال قديم عهد بالإسلام منذ أن أطلقت منه حركة المرابطين منذ أكثر من ألف سنة تقريبا.

لم يتفق المؤرخون من تحديد تاريخ دخول الإسلام في إفريقيا؛ حيث يرجعه بعضهم إلى حركة المرابطين بقيادة المجاهد عبد الله بن ياسن في القرن الحادي عشر الميلادي 1053، ويرجعه آخرون إلى جهود التجار المسلمين الذين وصلوا إلى المنطقة من برقة بليبيا. والقيروان بتونس، وتلميسان بالجزائر، ومن طريق لتونة بالمغرب⁽¹⁾

ويرى كثير من الكتاب بأن دخول الإسلام إلى السنغال بإسلام أحد الملوك السنغاليين؛ واسمه وَاْرْجَايِي اُنْجَايِي عام 1040 م، والذي أقر بالشرعية الإسلامية في مملكته بعد إسلامه.

المدرسة القرآنية:

المدرسة القرآنية؛ مدرسة قائمة على شيخ واحد يدرس أغلب علوم الشريعة واللغة بعد القرآن الكريم، أو الجمع بين المرحلتين.

وعرفها بعض العلماء بأنها: مؤسسة تعليمية عالية يقودها عالم في فن أو فنون عدة؛ يسهر عليها وعل طلابها أخلاقيا وأديبا وماديا حسبة منه لوجه الله تعالى. (2)

وهي تعتبر المنهل العذب الذي يغترف منه أبناء المجتمع حفظ القرآن الكريم ومبادئ الإسلام، فينشأ عنها جيل متزن في تفكيره، ومعتدل في سلوكه.

دلالة المدارس القرآنية:

والمدارس القرآنية لها دلالة مستمدة من البيئة التي تكثر فيها هذه المدارس، مثل مَكْرَتْنَا (بلغة الهوسا) في النيجير ونيجريا الاتحادية، ودُوْدَال (بلغة الصنغاي الزرما)، ودُعْبِي في (الصومال)، كما يطلق عليها اسم دَار في (السنغال)، و عَرِب في (مالي)، والمَسِيد في (المغرب)، والخلوة أو الخلاوي في (السودان)، والكتاب في (جمهورية مصر العربية)، والمحاضر في (جمهورية موريتانيا الإسلامية)، وتعرف في (بلاد الشام) بالكتاتيب، ولعل هذه المصطلحة (الكتاتيب) هو الأشهر؛ لذلك الباحث عَنَوَنَ البحث بضمون هذه الكلمة.

وكانت هذه المدارس تعتمد على الزراعة للعيش، والمساهمة من أولياء التلاميذ الذين يدرسون في تلك المدارس، وعلى الرغم من هذا النور المهم المتمثل في تربية الناشئ ودفع عجلة الثقافة الإسلامية إلى الأمام، وبعد سنوات الجفاف في المنطقة منذ سنة 1969م؛ جفّ الزرع ويسّ الضرع؛ أثر ذلك سلبا على ظروف الكتاتيب أيّا تأثر، وحدثت هجرات من القرى إلى المدن بحثا عن وسائل العيش، ولكن الحياة العصرية لم تستقبلهم كما ينبغي، بل ترتبت على ذلك مضاعفات خطيرة؛ منها:

- تحول أسلوب طلب الصدقات المعيشي التقليدي في المجتمعات الإفريقية إلى ظاهرة التسول.
- توجه خريجي الكتاتيب إلى المؤسسات لطرق أبواب العمل فلم يجدوا أفضل من وظيفة حارس أو عامل نظافة.
- انصرف بعض خريجي الكتاتيب إلى كتابة الطلاسم واستخدام الأسرار والشعوذة، وأصبح تلاميذ هذا النوع من المدارس هم الأكثر نفعاً من تلاميذ مدارس القرآن الكريم والعلوم الشرعية.
- الكتاتيب الصامدة في مقراتها فقدت حتى الحطب الذي كانت تستضيء به في القراءة الليلية، وأصبحت تكاليف الإنارة بالغاز أو الكهرباء محففة بهم. (3)

ولكن بعد حصول الاستقلال بمدة وجيزة حدث ما يسمى الانفتاح الاقليمي بين دول المنطقة، وتيسرت سبل السفر، وكانت بعض الدول تشكل مناطق جذب اقتصادي؛ فصار خريجو الكتاتيب القرآنية بحكم الضغط المادي، وانسداد أفق التوظيف أمامهم لا يجدون مخرجا إلا بالهجرة خارج بلدانهم؛ كساحل العاج والكنغو والغابون، ومع تحسن وضع هؤلاء المهاجرين؛ أصبح أبناء المنطقة يعتبرون المرور بالكتاتيب

القرآنية مجرد محطة انتظار حتى تنتج فرصة السفر، وأصبحت تلك الكتاتيب بنكسة لتحويل الأغراض التعليمية إلى أغراض مادية؛ الأمر الذي يفقدها طابع الاستمرارية.

قد انفردت الكتاتيب في ذلك الوقت بهذه الحياة العلمية المملوءة بصور الكدِّ والعناء؛ قال بعضهم:

تلاميذ شتَّى ألف الدهر بينهم ***** لهم همهم قصوى أجل من الدهر

يبينون لا كُنَّ لهم سوى الهوى ***** ولا من سرير غير أرمدة غيره⁽⁴⁾

ولكن من المؤسف في السنوات الأخيرة؛ وخاصة بعد ألفين ما شوهد في ظاهرة التسول من قبل تلاميذ هذه المدارس القرآنية. بيد أن هذه الظاهرة؛ وإن كانت تتلقى تأييدا من قبل فئات الشعوب في المجتمع السنغالي؛ إلا أن بعضا منهم يرى في هذه الظاهرة الإساءة للإسلام والمجتمع برمته.

النظام الدراسي في المدارس القرآنية:

وهذه المدارس لها نظام خاص يختلف عن نظام المدارس الحكومية؛ لأن النظام التعليمي في

هذه المدارس:

أولا: يعتمد على النمط التقليدي؛ ففيها يقبل كل الأعمار، تجد فيها الغلام ابن الست والصبي

ابن السابعة أو العاشرة، والشباب ابن العشرين، والكهل وما إلى ذلك...

ثانيا: وهذا المنهج هو المنهج الرباني المنهج الإسلامي والثقافة الإسلامية، أما الآخر؛ نظام

المدارس الحكومية المنهج المعتمد هو منهج علماني لا يعطي الإسلام بالأول، قد تم صياغة هذا المنهج عن

المناهج الغربية المستعمرة.

فالمسألة في المدارس القرآنية بالنسبة لأولياء التلاميذ؛ إلزامية قبل أن تكون الثقافة.⁽⁵⁾

ويحظى معلمو المدارس القرآنية بمكانة عالية واحترام في القرية أو المدينة؛ إذ يترك التلاميذ

عنده وديعة يعلمهم بجانب القرآن الكريم مكارم الأخلاق والأدب.

قبول التلميذ في المدارس القرآنية:

يعد القبول في المدارس القرآنية بدون شرط مقيد، لأن المعلم هدفه الأول نشر الثقافة

الإسلامية والتربية والتوجيه والإرشاد لوجه الله سبحانه وتعالى، أما بعد القبول أحيانا يقدم ولي أمر

الدارس أو التلميذ هدية لمعلمي القرآن من نقود أو شاة أو ثور؛ حسب طاقته وإمكانياته، ومعلم

القرآن لا يحصل إلا على الهبات والزراعة في وقت الحريف؛ حيث يتعاون معه التلاميذ في ذلك

الخدمة للحصول على ما يكفيهم من القوت لأن الهبات التي تصدر من أولياء التلاميذ وليس كلهم

ومن المحسنين لا تغني عن شيء، لذلك يعتمدون على الزراعة.

بيد أن هناك بعض المدارس القرآنية (الدارات) الهبات منتظمة وثابتة بدرجة يمكن اعتبارها

نوعا من الأجر الإلزامي، وإن لم يكن مصادر قوت الشيخ والتلاميذ من هذين النوعين (الزراعة

والهبات) فالتلاميذ يضطرون إلى التسول والتصدق، ولكن في صورة منظمة وأوقات محددة، مثل الساعة السابعة تماما؛ صباحا، حيث يد التلاميذ في بيوت وأحياء مجاورة للمقر الدراسي، يُسمعون أصواتهم الذين يحصلون من طرفهم الهبات (لأزيران)، عبارة عن طلب المساعدة. من الساعة إلى التاسعة؛ أو أقل، ثم العودة إلى مقر الدراسة.

وكذلك وقت الظهر للحصول على الوجبة (الغداء)، ويُسمعون أصواتهم (سارخ أَّح)⁽⁶⁾، فيما معناه (من يعيني على الغداء). ثم يعودون قبل الثالثة ظهرا. والاستمرار بتلقي الدراسة، هكذا أيضا بعد المغرب مباشرة لطلب العشاء، ويسمعون الناس (سارخ ريز)⁽⁷⁾ فيما معناه (من يعيني على العشاء).

وجرى العرف أن يقبل التلميذ يوم الأربعاء؛ أو يبدأ فيه الدراسة من كل أسبوع، وهنا يستحق الغلام أو التلميذ الذي تم قبوله حمل اللوح، وهو عبارة عن قطعة خشبية مستطيلة من الخشب تصنع من أشجار خاصة.⁽⁸⁾

والأدوات المستعملة في الكتابة يجري صنعه من مواد محلية، وأشجار رقيقة. ويصنع كل طالب أقلامه بنفسه ويستعين في ذلك بمواد متوفرة في بيئته.

المادة المستعملة في الكتابة يعني الحبر؛ عبارة عن نتاج حروق الحطب يضاف إليه الصمغ، ويمارس الطالب في تطبيقه إلى أن يختم القرآن الكريم حفظا جيدا؛ وغالبا ما يتم في سنوات، وتسمى الخاتمة الأولى للقرآن الكريم من الأول، (مُكَلِّ) بلهجة محلية ولوفية. ومن البقرة إلى الناس تسمى (العودة) وختم القرآن؛ تُبْ Topou، بلهجة محلية ولوفية، أما الحفظ الحقيقي الواضح وكتابة المصحف بكامله دون خطأ عن ظهر القلب؛ تدعى ب (بخ).

مشكلات المدارس القرآنية:

المدارس القرآنية في السنغال لم تزل تواجه مشكلات عدة منذ دخول قوات الاحتلال إلى المنطقة، ولكن المشاكل التي مرت بها هذه المدارس بعد الاستقلال بعضها يعود إلى المدرسين، وبعضها يعود إلى الآباء، وبعضها يعود إلى الحكومة.

ومن تلك المشاكل:

- عدم العناية الكاملة من قبل الحكومة،
- عدم توظيف الطلاب المتخرجين من تلك المدارس؛ مما أدى ببعض المعلمين إلى سلوك سبيل الشعوذة في طلب القوت

- قلة معرفة حقوق الأولاد من قبل الآباء وأولياء الأمور؛ مما يسبب تساهلهم في انخراطهم بتلك الزوايا.
- نقص التكوين التربوي للمعلمين.
- عدم وجود الفصول الدراسية على النمط الحديث.
- عدم وجود منهج تعليمي يؤخذ بعين الاعتبار لعلم القرآن الكريم والعلوم الشرعية.
- اعتبار طلاب الكتاتيب أميين؛ على الرغم من تعلمهم الكتابة والقراءة؛ فضلا عن العلوم اللغوية والإسلامية.

الأسباب كلها يرجع إلى الاستعمار الذي فرض ثقافته ولغته بقوة البندقية وفُوهات المدافع، فمارس سياسة قمعية ضد التعليم الديني الإسلامي، المتمثل في الخلاوي (الكتاتيب) (9) فأصدرت الإدارة الفرنسية عددا من الأوامر القانونية لإعاقة معلمي أو أصحاب كتاتيب القرآن الكريم واللغة العربية بإصدار قانون 22 يونيو 1857م، وهذا القانون ينص على: (10)

- 1- إلزام جميع معلمي القرآن الكريم واللغة العربية بإرسال تلاميذهم الذين بلغوا الحادية عشر وأكثر إلى فصول فرنسية، أو إلى مدارس الفرير (école des frères) لمدة ساعتين.
 - 2- ضرورة حصول المعلمين على تصريح لإنشاء أي مدرسة قرآنية جديدة.
 - 3- منع هذه المدارس والكتاتيب من قبول الطلاب الذين تتراوح أعمارهم بين السادسة والسادسة عشرة أثناء الساعات الدراسية (النهارية).
 - 4- لا يسمح للطلاب بالالتحاق في المدارس القرآنية إلا بعد الحصول على الشهادة الفرنسية.
 - 5- إغلاق المدارس التي تخالف هذه التعليمات، وإلا توجب إنزال العقوبة الفورية على القائمين بأمر هذه المدارس القرآنية.
- أما المدارس الحكومية السنغال لها ارتياح وعناية فائقة، لأنها كما سبق صبغة من صباغ الاستعمار، ومن أبرز هذه السياسات:

- الاستعمال الشامل للغة الفرنسية لغة أصحاب الثروة
 - التعليم المقدم لسد حاجات المستعمر الفرنسي
 - ربط المناهج والنظم للامتحانات بالأساليب المعمول بها في فرنسا (11)
- وبهذا استطاع الاستعمار صبغ القادة في الأراضي التي كان يحتلها بالصبغة الفرنسية، عن طريق لغات الفرنسيين وثقافتهم ونظمهم الاجتماعية والسياسية.

المجالس العلمية:

هي مجالس تقوم على طريقة تقليدية موروثية، وهذا منذ زمن قديم توارثها وتناقلها أجيال فأجيال؛ عل مَرّ السنين، يسطر عليها الشيخ والمتعاونون معه من الطلاب القدماء الذين تتلمذوا بيد الشيخ حتى أصبحوا مرجعا في نواحي عدة من المواد الدراسية. يبقى طالب العلم في المجلس بمدة غير محددة، فليس هنالك عدد معين أو السنين محدد من السنوات الدراسية، وليس هناك مقررات محددة متدرجة، ولا مرحل تعليمية معلومة، فللطالب حق الانصراف في أي وقت شاء، ولكن مطالب الحياة تدفعه أحيانا إلى أن يترك المجلس ليقوم بشؤون نفسه وأسرتة دون إكمال رغبته في العلم الذي حصل، وأيضا؛ أحيانا يتم جميع رغباته حتى أصبح متفانيا بفنون عدة فيخرج إلى المجتمع ولا يجد له مكان في دواوين الحكومة ولا الوظائف العامة، وليست له خبرة التي تؤهله ليقترحم مجال الحياة التجارية أو الصناعية أو المالية. هكذا فإن غالبية الطلاب الذين تعلموا في المدارس القرآنية أو المجالس العلمية التعليمية يجدون أنفسهم أعضاء غير فاعلين في مجتمهم الذي تحكمه حكومة لا تبالى بمن ميوله ورغبته في هذه الناحية الثقافة الإسلامية ولغتها. بل تهتم بمن توجهاته ورغبته إلى نوايا المستعمر أي بمن تعلم لغة المستعمر وتفنن بها؛ فأصبح يباري أصحابها، وإذا تكلم أو تزيّن أو تفاعل؛ تحسبه من مواليد باريس.

الشيخ مُحَمَّد المنصور سه بَرُوم دَارِج

مُحَمَّد المنصور سه ابن الشيخ أبي بكر سه سمي بعمه مُحَمَّد المنصور ابن الشيخ الحاج مالك بن عثمان}. ولد 15 أغسطس عام 1925م، بمدينة توارون، ووالده العالم العلامة العارف بالله؛ الشيخ أبو بكر ابن العلامة الدراكة الفهامة مولانا الشيخ الحاج مالك بن عثمان. من قبيلة تُكْلُور، Toukoleur ووالدته السيدة الفاضلة الصالحة الورعة عائشة سِيك من قبيلة لِيَبُو، Lébou. هذه القبيلة هي القبيلة الأصيلة التي تسكن دكاغ؛ عاصمة السنغال، وضواحي العاصمة.

لماذا سمي ب(بروم دارج)؟

وكنيته {بَرُوم دَارِي} بمعنى صاحب المدارس؛ (عميد الجامعة) لأنه قضى حياته في التعلم والتعليم؛ اقتفاءً بالمنهج الذي كان جدّه الشيخ الحاج مالك سه ينتهجه؛ بالتعليم والتأليف والإرشاد، وهو الخليفة العام للطائفة التيجانية؛ من 1997م- 2012م. وأول خليفة من أحفاد جدّه الشيخ الحاج مالك؛ الذي أول من نشر الطريقة التيجانية بعد الشيخ عمر الفوتي بشكل واسع في جميع أرجاء البلاد. وكان مُحَمَّد المنصور سه {بروم داري} رحمه الله ورضي عنه- يؤمن بالإصلاح التربوي للمجتمع، وبالعمل الهادئ والإنجاز الصامت بلا ضجة وصخب إعلامي.

قد شهدت له مواقف متعددة في بناء المساجد على أوسع نطاق، والاهتمام بهندستها وشكلها الجمالي مع العمل في الجانب الدعوي التربوي.
صفته:

وهو إنسان منكسر لله سبحانه وتعالى، ويعيد كل البعد ومعافى من أمراض الذاتية الزرجسية؛ لذلك لم ينسب أي إنجاز لنفسه، بل كان ينسبه إلى والده الخليفة أبي بكر سه وجدّه الشيخ الحاج مالك سه عليهم رضى المالك، وكان ينفق على الفقراء والمساكين والمحترجين إنفاق من لا يخشى الفقر، وليس في قلبه مكان لحب المال والدنيا، مع أن الدنيا كانت بالتأكيد مقبلة إليه، ولسان حاله يردد (الله يعطى من ينفق خلفاً)، وبهذه الأخلاق النبيلة؛ الكرم والثقة بالنفس والتواضع ربي أبناءه وبناته، وكل من تعلق به على خلق عظيم ودين حنيف، وأحسن تربيتهم وتعليمهم..

الحياة العلمية والتعليمية

1- التعلم

الشيخ محمد المنصور ترعرع وترى في بيئة علمية متعلمة، فيها التنافس العلمي، وهذه البيئة هي مدينة توارون المحروسة، حيث أدى جده الشيخ الحاج مالك سه الممثل الأعلى للطريقة التيجانية دوراً فعالاً في إنجازات كبيرة في تربية علماء كبار وتكوينهم في جميع المجالات العلمية، وتبحروا في بحر علمه، فالشيخ محمد المنصور تداولت حياته بين هؤلاء العلماء وتعلم منهم الفنون بشتى المجالات، محمد المنصور تتلمذ بكثير من هؤلاء العلماء؛ أمثال الشيخ شية فال، Seybatou Fall والشيخ مَم لوح، mama LO والشيخ علي غي Alioune Gueye وغيرهم ممن تربوا وتعلموا على يد جدّه الحاج مالك، عليهم جميعاً رضى المالك.

2- التعليم:

بعد رجوع الشيخ محمد المنصور سه من الخدمات العسكرية المهمة في مدينة كوخ التي - كان الشيخ مؤسساً فيها مجلساً علمياً للتدريس داخل المعسكر - عام 1946م؛ بدأ يقتني آثار جدّه الشيخ الحاج مالك سه بالتدريس والإرشاد لأبناء المسلمين الذين يأتون من جميع أنحاء السنغال وخارجها؛ كُنسباً للعلم تحت رعاية أبيه الخليفة أبي بكر سه. عليهم جميعاً رضى المالك وكان الشيخ محمد المنصور صبوراً، يقضي جلّ أوقاته في التدريس، متفهماً لظروف الدارسين المادية والاجتماعية، ملماً إماماً تاماً بجميع الفنون التي كان يدرسها: الفقه والنحو والصرف والبلاغة والأدب العربي بشقيه الجاهلي والحديث، والأصول والمنطق والتفسير والحديث والسيرة النبوية؛ معتمداً بكتاب جدّه الشيخ الحاج مالك (خلاص الذهب في سيرة خير العرب) الذي يُعتبر مرجعاً أساسياً للمجتمع السنغالي في السيرة النبوية، وكذلك علم النجوم وغيرها.

ولله دُرُّ القائل في مرثية للشيخ: (12)

هلا نعت الفقه والنحو الذي ***** يهواه مثل الصِّرف والأوزان
هلاً نعت بمنطقٍ أو بالأصو ***** لـ وبالتصوف فتية العرفاني
تبكي عليك تلاوة وتدبر ***** وتباحث بمسائل الفرقان
إن العلوم مع المتون توخَّشت ***** حزنت وصاحت حالة الثكلان
هلاً نعت بلاغة وقوافيا ***** والشعر والنثر مع السَّجَّعان
يبكي عليك مصحف مُتَأَوِّهاً ***** فسرته بشهادة رمضان
قد عشت شيخاً قدوةً ومجدداً ***** في الدين ما اندرست من البنيان
أفنت في الخيرات عمرك ملجأً ***** وملاذ أهل العلم والقرآن

وقال آخر في مرثية مشيراً إلى الشيخ محمد المنصور سه: (13)

من للعلوم مؤلفاً ومدرساً ***** كل الفنون فما عراه فتور
من لليتامى حاملاً كلاته ***** دمع العيون بفقده لجدير
من لي بشيخ في العروض ومنطق ***** حكم بيان سيرة وينير
من لي بشيخ في الأصول وفقهها ***** نحو نجوم كلها موفور
من لي بشيخ وارث سر الخلا ***** فة جاحد عنها هو المغرور

ثالثاً: علاقته مع العلماء والتلاميذ

وكان الشيخ يعظم قدر العلماء ويكرمهم، كم من عالم في السنغال! أدلى دلوه في بَره طلباً للزاد، لله در القائل في مرثيته له، {الروح والريحان}: (14)

شيخ يفيض معارفاً وموارداً ***** ولطائفاً ودقائق الصمداني
وغيابه أبكى المشيخة مثلاً ***** أبكى المسيحة وذوي السلطان

وكان يتعاون معهم في كل الأمور سواء دينياً ودينيوياً، ويخالط تلاميذه، ويتونس معهم، تأمراً وامتنالاً بقول الرسول ﷺ: "المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم".

ولكن هذه المسألة لم تحجبه عن محبة الله وطلب مرضاته في كل شيء، فكان يرى صاحب الذي يزور، أو التلميذ الذي يتونس معه يجب أن لا يخطر على باله سوى ما كان يرضى به إله العباد، وأن يكون محباً للعلم، ولسانه رطباً بذكر الله، لذلك كل من جلس في مجلسه لا يسمع إلا أربع عبارات:

قال الله، قال الرسول، قال جدي، قال أبي، فحسب، هكذا أمام الوفود بمختلف الدوائر؛ من جميع المناطق، وكان دائما يُذكر الدوائر الوصايا الخمس؛ عن والده ديننا طريقتنا دائرتنا حرفتنا زيارتنا إلى توارون، ولله در القائل في مرثيته للشيخ:

ومتى أتوا لزيارة لقتهم ***** تلك الوصايا الخمس للإيمان

الحياة الاجتماعية:

كان الشيخ محمد المنصور - رحمه الله ورضي عنه -؛ يرى بأن الانسان في حياته الاجتماعية دائما يسعى للخيرات، وكان خروجه والانتقال من توارون إلى مكان آخر؛ السعي والعمل بكل ما يرضي الله سبحانه وتعالى. اليوم في مقاطعة امبور (Bandia)، ومرة في مقاطعة تيس (Méwane) وحينا آخر في طباب جلاو (Toubab Dialaw) وغيرها؛ كلها بوضع حجر أساسي لبناء مسجد أو فتحها، وأول من ينفق فيه ماله بلا ترائي ولا تسامع.

وهو {الشيخ محمد المنصور}؛ قد أعطانا دليلا ومرجعا عن كيفية وصورة الإحسان بمناسبة افتتاح مسجد طباب جلاو يوم السبت الموافق 2005 10/1م حيث نظم هناك قصيدة نونية رائعة بقريحتة جارية على حروف الآية الكريمة التي يدعوننا فيها مولانا تبارك وتعالى إلى الإنفاق في سبيل الخير والعون للمحتاجين، والآية هي قوله تعالى:

" الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون".

والشيخ محمد المنصور رحمه الله ورضي عنه أحد الذين خدموا للإسلام والسنغال بجلائل الاعمال وطيبات صنائع الفكر والعلوم، وله سيرة حافلة بالانجازات، وكان رمزا بارزا من العلماء الأجلاء الذين كلمتهم تعلقو وتجذب الناس إلى الاستفادة من فيوضاته العلمية، وكان قبلة يتوجه إليها الناس طلبا للعلم والمعرفة، والتبرك بدعوته التي كانت سريعة للإجابة؛ فأصبح يكنى بـ {صاحب الإجابة}.

الحياة التربوية

ساهم الشيخ محمد المنصور في ترسيخ محبة الرسول ﷺ في سائر أوساط المجتمع، مع ما استجلبه من اتباع واقتداء بسيرة الرسول العطرة، كما عمل على الإسهام في السمو بالأفئدة فلانت القلوب لذكر الله وتتبع الشريعة الإسلامية، والتقيد بهدي رسوله سيدنا محمد؛ بما يدعو إليه من محبة الحق ومعرفته من تخلق وتحقق بقيم التواد، والتسامي، والتسامح، والتراحم، والوسع في معاملة الخلق. ويتجلى ذلك أكثر في المناسبات الدينية يغري المجتمع في حب الرسول ﷺ. ومرجعه الأساسي كتاب جدّه الشيخ الحاج مالك؛ {خلاص الذهب في سيرة خير العرب} الذي يقول فيه جدّه: (15)

وواجب طاعة الهادي محبته ===== كذا اتباع الذي يأتي من الأم
 لها العلامات قالوا إن أعظمها اسد ===== تعال سنته من جملة الأم
 وليس نفع على حب بلا عمل ===== وتابعن ستة المختار تغتم
 وكثرة الشوق في لقيا لسيدنا ===== من العلامات هب لي ذاك ذا الأم
 وكثر ذكر صلاة ثم نصره ديد ===== منه تخلق ما قد جاء من شيم
 تعظيمه والتذاذ حين تذكره ===== حب القرآن وأصحاب له كرم
 إن القران هو الميزان تعرف منه ===== ما حويت من الأشواق والسدم
 يا من يريد جنان الخلد يسكنها ===== فقدم طلب المفتاح تحترم

الحياة الشرعية والطريقة

وكان الشيخ محمد المنصور رحمه الله ورضي عنه؛ محاميا للدين وللطريقة التيجانية بلسانه
 وبقلمه، والدليل على ذلك هذه القصيدة بأسلوبها الجميلة يدافع فيها الشيخ العقيدة الإسلامية ونبي
 الإسلام؛ ردًا عن المجرم الذي رسم صورة النبي ﷺ، وكان قصده إشعال نار الغضب في قلوب
 المسلمين. ولكن القصيدة التي ألقاها محمد المنصور سه؛ جعلت الأمة تهتدأ، والقصيدة :

فتبت يداكم أيها العصبة التي **** تسيء برسم البدر سرّ البرية
 فشلت يداكم بئس ما قد أثرتم ***** من الصدر أضغانا لديكم كجمرة
 فآمالكم خابت وضاعت جهودكم ***** وعشتم حياة المعتدين بحسرة
 وأنتم مسيئون به وبدينه ***** فلا نلتم فوزا على سوء نية
 تجزأتم أتم عليه برسمه ***** أي رسم نور لا يطاق بنظرة
 هو الجوهر المكنون والسبب الذي ***** فلولاه ما كان الوجود بخلقه
 وأرواح كل المهتمدين به غدت ***** من السقي أنوارا لكشف الدجنة
 من الأنبياء والمرسلين وغيرهم ***** من المؤمنين روحه أصل نشأة
 فمن لم ينل من سقيه بات ملحدا ***** وعاش شقيا كافرا كل دعوة
 فهذا رسول الله والسند الذي ***** شفاعته ترجى غدا يوم رهبة
 فهذا رسول الله والسلم الذي ***** به يرتقي الأبرار سيرا لحضرة
 فهذا رسول للبرية كلهم ***** سعادتهم وفوزهم عين رحمة
 فهذا رسول الله والأكل الذي ***** فأرمقت عين شبيها لروعة
 فهذا رسول الله والمنبع الذي ***** فيوضاته تجري إلى يوم نفخة
 فهذا رسول لن ترى العين مثله ***** من الخلق والخلق فأكبر آية

ندافع عنه كلما قام معتد ***** فأحمد حقا عزنا أي عزة
 كما أننا نأبى الإساءة نحوه ***** لنرفضها قطعاً تجاه الأئمة
 ورويدكم هذا النبي ملاذنا ***** وقدوتنا في ديننا خير أسوة
 على مهلكم إنا إذا اعتصمنا بحبله ***** بملته الإسلام نحيا كأمة
 طريقتكم مسدودة عند ما أتوا ***** على سيئه كالناطحين بصخرة
 ضربتم حديداً بارداً لا تعذبوا ***** بأيديكم هذا لشر البلية
 فأتمته بالسلم تدعو كما دعت ***** شعوباً فنالت سمعة خير سمعة
 ندين بهذا الرسم في شخصه ***** فبين السما والأرض أعظم حرمة
 ورتبته القعساء فاتت فلم يكن ***** تُشوّه يوماً أو ينال بتهمة
 أناشد إخواني من الدين جملة ***** على فهم وعي الدين فقها كسيرة
 وأن يمنعوا نيل الرسوم فمن سعى ***** إلى نشرها يغدو كفاعل سبّة
 على شعوية الدنيا وقادة ***** وفاق لمنع الميسر حرمة جلّة
 ونهي انتهاك للمشاعر إن ذا ***** ليضمن عيشنا هيتنا للخليفة
 فيحيا الورى جؤ التفاهم هكذا ***** دعا ديننا الإسلام أمثل ملة
 وراجع "جعلناكم شعوباً" فإنها ***** بيان من المولى لأعظم أسرة
 صلاة وتسليم على خير من دعا ***** جميع الورى للدين جبراً لكسرة
 مع الآل والأصحاب ما قلت منشداً ***** تسيء برسم البدر سرّ البرية
 الحمد لله، وهذه مساهمة بسيطة مع عجالة في الكتاتيب السنغالية، ولحمة بسيطة من
 بصات هذا الشيخ (بروم دارج) في هذا المجال، والمساهمة من ليس بباري القوس ولا يحسن الرمي،
 ولكن النية دعت إلى الإدلاء بدلوه في هذا البحر الذي حياته كانت لها أهمية كبرى في نفوس
 المسلمين، فنسأل الله أن ينفعنا ببركاته وأن نكون دوماً من الذين يقتفون آثار بصاته.
 وفي الختم نشكر الذين أقاموا هذه الفعاليات التي تصب على وابل العلم والمعرفة، وعلى
 رأسهم الأخ الأستاذ مود مالك صو أيد الله ونصره، معتمداً في ذلك بأسرة الشيخ محمد المنصور سه
 رحمه الله ورضي عنه؛ وعلى رأسهم نجله الشيخ أحمد تيجاني فاطمة سه،
 دتم في رعاية الله وحفظه.

إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا فُطِنًا ***** طَلَقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا
 نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا ***** أَنَّهُا لَيْسَتْ لِحَيِّ وَطَنًا
 جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا ***** صَالِحِ الأَعْمَالِ فِيهَا سَفِينًا



الهوامش:

- 1- شبكة الإمامين الحسنين www.alhassanain.com
- 2- إيناس توفيق، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية دولة الكويت ص: 3، العدد 532
- 3- الدكتور الطيب بن عمر، الكتاتيب وحلقات القرآن الكريم، ودورها التعليمي، بحوث ندوة التعليم وتطوره في غرب إفريقيا التي نظمها رابطة العالم الإسلامي بالتعاون مع المؤسسة العالمية للإعمار والتنمية، في مركز الأمير سلطان بن عبد العزيز الثقافي، نيامي- النيجير، 2- 3 جمادى الأولى 1430هـ الموافق 27- 28 أبريل 2009 ص: 88
- 4- أحمد الأمين، الوسيط في معرفة أدباء سنقيط ص: 521.
- 5- حسن فاتح، المدارس القرآنية في السنغال ص: 14
- 6- أنتخ: لغة محلية ولوفية بمعنى: الغداء
- 7- ريز: لغة محلية ولوفية بمعنى: العشاء

- ⁸- د. علي يعقوب: المناهج والمقررات التعليمية في جمهورية النيجر موقع منارات إفريقيا ص 5-6
- ⁹- التعليم العربي والإسلامي في إفريقيا - مشكلات وحلول، مجموعة مؤلفين، طبعة خاصة بمناسبة مجلس أمناء منظمة الدعوة الإسلامية رقم 25 فبراير 2014م ص 38-39
- ¹⁰- المرجع نفسه ص 39 .
- ¹¹- التعليم العربي والإسلامي في إفريقيا - مشكلات وحلول، مجموعة مؤلفين، طبعة خاصة بمناسبة مجلس أمناء منظمة الدعوة الإسلامية رقم 25 فبراير 2014م ص 38
- ¹²- الأستاذ عبد العزيز صال صار، من تلاميذ الشيخ، والكاتب له
- ¹³- الأستاذ مؤد مالك صَو، من تلاميذه الذين تربوا في كنفه.
- ¹⁴- الأستاذ عبد العزيز صالح صار، الروح والريحان، مرثية من بحر الكامل في رثاء فقيد الأمة محمد المنصور، مجلة الفاتح، العدد الأول، ص 26
- الحاج مالك سه، خلاص الذهب في سيرة خير العرب، الفصل السابع والعشرون، في وجوب طاعته ومحبتة، واتباع طريقته وسنته ﷺ. ¹⁵

موقف الشريعة الإسلامية حول الحجر الصحي و أثر التباعد الإجتماعي في زمن الأوبئة

إعداد:

محمد منصور محب

أستاذ و رئيس قسم الفقه و القانون في كلية الشريعة و الدراسات الاسلامية - جامعة الجامي

m.mohib@jami.edu.af

الملخص

لقد انتشرت اليوم بعض الأمراض و الفيروسات التي يمكن أن تصيب الإنسان، وتؤثر على صحته وصحة المجتمع، لاسيما في ظل انتشار واسع النطاق لهذه الأمراض، في مناطق متعددة من العالم، كمرض السارين ومرض كورونا ونحوهما. وفي أثناء ذلك يجري الحديث عن مدى إمكانية إصابة المؤمنين والمسلمين بالأمراض الفتاكة، ومدى تعارضه مع مبدأ الإيمان بالله عز وجل والتوكل عليه، والإجراءات التي توصي بها الشريعة الإسلامية للوقاية من هذه الأمراض، أو الحد منها عند الإصابة بها؛ وتقتضي المناسبة بيان ما يُتبع اليوم من وسائل نافعة للوقاية من الوباء ومنع انتشاره، ومن ذلك (الحجر الصحي) الذي اتبعته مجموعة من دول العالم لاتقاء وباء (كورونا كوفيد-19) والهدف بالحجر الصحي تباعد الفرد أو الجماعة من المصابين بمرض عن غيرهم اتقاء انتقال الداء و مما تميز به تناول الشريعة الإسلامية للتباعد الاجتماعي الشمولية واعتبار العقيدة منطلقاً للامتثال في السلوك، وهو الهدف يرتكز على ترسيخ الإيمان والاعتناء لتيسير الامتثال.

الكلمات الرئيسية: موقف؛ الحجر؛ التباعد؛ الشريعة؛ الصحي؛ الاجتماعي؛ الأوبئة

Abstract:

Today, some diseases and viruses have spread that can infect humans and affect their health and the health of society, especially in light of the widespread spread of these diseases in multiple regions of the world, such as sarin disease, coronavirus disease, and the like. Meanwhile, there is talk about the extent of the possibility of infecting believers and Muslims with deadly diseases And the extent to which it conflicts with the principle of faith in God Almighty and trust in Him, and the measures recommended by Islamic law to prevent these diseases, or limit them when infected with them; The occasion requires an explanation of the beneficial methods being followed today to prevent the epidemic and prevent its spread Among these is (quarantine), which was followed by a group of countries around the world to prevent the

(Corona Covid-19) epidemic. The goal of quarantine is to keep an individual or group of people infected with a disease away from others, to prevent transmission of the disease. What distinguishes it is that Islamic law deals with comprehensive social distancing and considers the faith as a starting point for compliance in Behavior, which is the goal, is based on establishing faith and conviction to facilitate compliance.

Keywords: position; stone; spacing; Islamic Law; healthy; social; Epidemics

أهمية الموضوع

1- أهمية هذا الموضوع كثير حيث لما كانت قواعد الشريعة الإسلامية و أحكامها العامة توجب نفي الضرر، لقول النبي ﷺ «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ» (1) و أيضاً في العصر الحاضر قد اكتشف الطب الحديث أن الأمراض و الأوبئة الخطيرة يمكن انتقالها من شخص إلى شخص آخر عن طريق لمس الأشياء المشتركة و عن طريق العدوى مثل مرض الإنفلونزا و فيروس الأيبولا و الكورونا و غير ذلك و إذا لم يتم وضع تدابير تمنع تعديها و انتشارها فمن الممكن أن يؤدي ذلك إلى كوارث وبائية عامة.

2- و من أهميته يستلزم الفهم و التفحص حول هذا المهم من أجل منع وقوع كارثة بشرية و التوضيح للجميع أن الإسلام لديه حل قوي تجاه تدابير وقائية بمقابلة الأمراض الفتاكة و الأوبئة.

أسباب اختيار الموضوع

الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع المهمز

- 1- أهمية الموضوع في عصرنا الحاضر..
- 2- لا شك أن كثيراً من الناس في عصرنا الحاضر يحتاجون أن يفهموا منهج الإسلام في مواجهة الأوبئة و الطواعين.
- 3- دفع الشبهات و الاعتراضات الواردة من جانب العلمانيين حول الإسلام و أحكامه في مواجهة الفيروسات و الأوبئة.
- 4- ضرورة بيان منهج الإسلام و بيان المجال الواسع لهذا الدين الكامل ببيان الأحكام المتعلقة بالنوازل.

إشكالية البحث

الفهم حول التباعد الاجتماعية في زمن الأوبئة ضرورة، خاصة في عصرنا الحاضر الذي انتشرت فيه الأمراض و قد رأيت الإشكالات التالية في هذا الموضوع:

1-عدم معرفة كثير من الناس النوازل المتعلقة بأحكام الأوبئة وبالتدابير المتعلقة بالأمراض والأوبئة والفيروسات.

2-عدم معلومات كافي عند مسلمين حول الأحكام المتعلقة بالأوبئة.

3-عندما تظهر الأمراض المهلكة و خاصة فيروس الكورونا (Covid19) يقول بعض الأشخاص هل يوجد حل لهذا الموضوع في الإسلام؟ هناك مشكلة كبيرة، و هي عدم تركيز العلماء المعاصرين حول هذا الموضوع.

4-بفهم صحيح من الأحكام الأوبئة يستطيع مسلم أن يحيي نفسه من الهلاك.

الدراسات السابقة

مع ما مرّ من ذكر أهمية هذا الموضوع و الآثار المترتبة عليه يهتم بعض الأشخاص حسب اطلاعي من الباحثين السابقين بدراسة هذا الموضوع دراسة مستقلة و بعد البحث و النظر لم أجد دراسة مستقلة كتبت حول هذا الموضوع.

لكن وجدت بعض المقالات و الكتب ذكروا فيها حول الموضوعات المرتبط بتباعد الاجتماعية علي نحو:

1-التدابير التحفيزية المتعلقة بفيروس كوفيد-19 يجب أن تنقذ الأرواح وتحفظ

سبل العيش وتحمي الطبيعة من أجل تقليل خطر انتشار الأوبئة في المستقبل،

مقال الخبراء الزائرين للمنبر الحكومي الدولي للعلوم والسياسات في مجال

التنوع البيولوجي وخدمات النظم الإيكولوجية (Intergovernmental

-Science-Policy Platform on Biodiversity and Ecosystem Services

(IPBES)، بتاريخ 14 أبريل/نيسان 2020 والدكتور/ بيتر دازاك 1 بقلم الأساتذة

الجامعيين/ جوزيف سيتيل وساندرا دياز وإدواردو برونديزيو .

2-المشكلات النفسية المترتبة على جائحة فيروس الكورونا المستجد (Covid19)،

بحث وصفى استكشافي لدى عينة من طلاب و طالبات الجامعة بمصر، الناشر:

المجلة التربوية – العدد الرابع و السبعون – يونيو 2020م

3- فيروس كورونا و التداعيات الاجتماعية على النساء، إدارة الأزمة في كل من مصر

و تونس و لبنان، منشور مؤسسة فريدريش إيبيرت، للطباعة و النشر لمؤسسة

فريدريش إيبيرت ابرل 2020م

4- كتاب المدخل إلى فقه النوازل، مؤلف: دكتور عبدالناصر ابوالبصل الأستاذ

المشارك في قسم الفقه و الدراسات الإسلامية جامعة اليرموك، الأردن. عمادة

البحث العلمي والدراسات العليا - جامعة اليرموك 1997، أبحاث اليرموك:

سلسلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية.

5- كتاب الأمراض المعدية و علاجها، تأليف: نخبة من العلماء، الناشر: مكتبة

الثقافة العلمية، تاريخ النشر 2012م، إعداد و تعريب: د. أيمن توفيق.

المبحث الأول: تعريف الحجر الصحي

هو عزل أفراد أو مجموعة مصابين بفيروس أو طاعون أو وباء في مكان خاص بعيداً عن

غيرهم من الناس خوفاً من انتقال العدوي، و إفساد الحياة، و إضعاف المجتمعات، فهو

إجراء وقائي لا يعيب الأشخاص، و لا يقلل من شأنهم، كما أنه لا يدل علي ضعف إيمانهم

بالله (عزوجل).

فائدة الحجر الصحي أو العزل المنزلي: الحد من انتشار الأمراض الوبائية و محاصرتها و

القضاء عليها، و يكون الحجر لمصلحة المريض و الصحيح معاً، حيث ثبت علمياً أن عزل

الإنسان المريض فيه حصر للوباء و منع انتشاره، و تمكين الأطباء و المختصين من علاج

المرضي و سرعة القضاء علي المرض.

والمحجر الصحي: هو المكان الذي يعزل فيه المصابون بالداء.

أول من أسس للحجر الصحي: أول من أسس للحجر الصحي و للطلب الوقائي هو نبينا

(صلي الله عليه وسلم) منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، حيث سبق رسول (صلي الله عليه

وسلم) بما أوحى الله (عزوجل) إليه الطب الحديث بإمكانياته التي يتميز بها من المعامل

الحديثة و النظريات العلمية و التكنولوجيا، يقول الله سبحانه و تعالي: (وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ

الْهَوَىٰ «3» إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) ⁽²⁾ و يقول رسول الله صلي الله عليه وسلم: "إذا سمعتم

به [الطاعون] بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه" ⁽³⁾، و في

ذلك تحذير واضح من النبي صلي الله عليه وسلم للناس من الدخول إلي البلدة المصابة

بالطاعون أو ما يأخذ حكمه كالوباء، و منع كذلك أهل تلك البلدة من الخروج منها.

مشروعية الحجر الصحي والعزل المنزلي

أولاً: في القرآن الكريم: و من عموم آيات الكريمة ما يدلنا علي الحفاظ علي الأنفس البشرية و وقايتها من الهلاك و التلف من أي طريق و علي أية حال، حيث يقول الحق سبحانه: (وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) ⁽⁴⁾ و يقول سبحانه و تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ) ⁽⁵⁾ و يقول سبحانه و تعالى (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) ⁽⁶⁾.

ثانياً: في السنة النبوية

لقد ضرب نبينا محمد صلي الله عليه وسلم المثل الأعلى في الوقاية من البلاء و الوباء، و أكد علي بعض وسائله، و منها: الحجر الصحي أو العزل المنزلي في أحاديث صحيحة و عبارات واضحة، فكان صلي الله عليه وسلم إذا وجد إنساناً مريضاً بمرض معد منعه من الاختلاط بالناس حفاظاً عليهم من العدوي حيث يقول صلي الله عليه وسلم: "إذا سمعتم به [الطاعون] بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه" ⁽⁷⁾ و هذا الحديث يعد تأصيلاً شرعياً للحجر الصحي، و منه قوله صلي الله عليه وسلم: "فر من المجذوم كما تفر من الأسد" ⁽⁸⁾، يقول الحافظ ابن عبد البر (رحمه الله): يحال بين المجذومين و بين اختلاطهم بالناس لما في ذلك من الأذى لهم و أذى المؤمن و الجار لا يحل، و إذا كان أكل الثوم يؤمر باجتناب المسجد و كان في عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم ربما أخرج إلي البقيع فما ظنك بالجذام" ⁽⁹⁾.

و لا يعني أننا نهمل المجذوم أو المصاب بأي وباء بل علينا أن نقوم علي خدمته، و نثاب علي خدمته و ترميذه، و علي القيام بمصالحه، و المجذوم هو الذي به الجذام، و هو داءٌ يشق الجلد، و يقطع اللحم، و يتساقط منه.

موقف الصحابة من الحجر الصحي و العزل المنزلي

سار الصحابة الكرام (رضوان الله عليهم) علي نهج النبي ﷺ فراعوا مصلحة الفرد و المجتمع بسبل الوقاية و الحجر الصحي أو العزل المنزلي، و طبقوه في حياتهم؛ ففي عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه روي أنه مر بامرأة مجذومة و هي تطوف بالبيت، فقال لها: "يا أمة الله، لا تؤذي الناس لو جلست في بيتك، فجلست، فمر بها رجل بعد ذلك، فقال لها: إن الذي كان قد نهاك قد مات فاخرجي، فقالت: ما كنت لأطيعه حيا و أعصيه ميتاً" ⁽¹⁰⁾.

وقال أحد الفقهاء: "وإذا وجب بهذا و ما أشبهه من الأحاديث أن يحال بين المجذومين و بين اختلاطهم بالناس لما في ذلك من الإذاية لهم و الضرر بهم كان منع الرجل المجذوم من وطء إمائه أوجب، لأن الضرر بذلك عليهم أكثر"⁽¹¹⁾.

و روي الإمام البخاري في صحيحه أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما جمع المهاجرين و الأنصار فاستشارهم في أمر الطاعون؛ فاختلفوا عليه، حتي قدم عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه و أخبره أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه، و إذا وقع و أنتم به فلا تخرجوا فرارا منه"⁽¹²⁾.

و عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال: "أقبلت على الزبير يوما و أنا غلام و عنده رجل أبرص فأردت أن أمس الأبرص فأشار إليّ الزبير فأمرني أن أنصرف كراهية أن أمسه"⁽¹³⁾. و ذكر ابن كثير في البداية و النهاية أن الوليد بن عبد الملك أقام الملاجئ في أنحاء دولته و جمع إليها المجذومين و أجري عليهم الأرزاق.

التباعد الاجتماعي

الهدف من التباعد الاجتماعي الحفظ على مسافة بين الأشخاص للمساعدة على منع انتشار المرض. التباعد الاجتماعي والذي يطلق عليه البعض التباعد الجسدي، على سبيل المثال، في زمن الكورونا على الأرجح أنك ملتزم أصلا بالتباعد الاجتماعي من خلال ترك مسافة 6 أقدام (2 متر) على الأقل بينك وبين الآخرين خارج المنزل، ومن خلال تجنب المجموعات الكبيرة. اتبع إرشادات السلامة الخاصة، كتلك المتعلقة بالتباعد الاجتماعي، حسب تعميمات مراكز مكافحة الأمراض والوقاية منها (CDC) Centers for Disease Control and Prevention في الولايات المتحدة، ومنظمة الصحة العالمية World Health Organization (WHO) والدائرة الصحية المحلية في منطقتك.

الحجر الصحي

الحجر الصحي (بالإنجليزية: Quarantine) هو مكان يُعزل فيه أشخاص، أو أماكن، أو حيوانات، قد تحمل خطر العدوى. وتتوقف مدة الحجر الصحي على الوقت الضروري لتوفير الحماية، في مواجهة خطر انتشار أمراض بعينها. ويشير الحجر الصحي في سياق الرعاية الصحية إلى مختلف الإجراءات الطبية المتبعة لإحباط انتشار العدوى التي قد تنتشر بالمستشفيات. حيث توجد صور مختلفة للحجر الصحي تُستعمل اعتماداً على نمط العدوى والعوامل المتضمنة في انتشارها، وذلك بهدف مواجهة التشابه في عملية

الانتشار عبر الجسيمات الهوائية أو القطرات، أو عبر الاتصال عن طريق الجلد، أو من خلال الاتصال عن طريق سوائل الجسم.¹⁴

قد يطلب الأطباء أو مسؤول دوائر الصحة المحلية من الناس حجر أنفسهم صحياً أو يلزمونهم بذلك إذا اشتبهوا بتعرضهم لكوفيد 19، أو إذا خالطوا شخصاً مصاباً بكوفيد 19 مؤخراً. تعني المخالطة اللصيقة أنك كنت ضمن مسافة 6 أقدام (2 متر) من شخص مصاب بكوفيد 19. يمكن أن يساعد الحجر الصحي في منع نشر مرضى كوفيد 19 للعدوى قبل أن يشعروا بالمرض أو تظهر عليهم الأعراض. ينطوي الحجر الصحي على البقاء في منشأة معينة أو البقاء في المنزل. وينتهي الحجر الصحي على الأشخاص الذين تظهر عليهم أعراض كوفيد 19 بعد انقضاء المدة المطلوبة. بشكل عام، بالنسبة للأشخاص الذين أصيبوا سابقاً بكوفيد 19 أو الذين تلقوا اللقاح بالكامل خلال الأشهر الثلاثة الماضية، فإنهم لا يحتاجون إلى الحجر الصحي في حال مخالطتهم لشخص مصاب بكوفيد 19.

إذا حجرت نفسك في المنزل بسبب الاشتباه بتعرضك لكوفيد 19 أو في حال خالطت شخصاً مصاباً به، فإن مراكز مكافحة الأمراض والوقاية منها (CDC) Centers for Disease Control and Prevention توصي بمراقبة الأعراض مع اتباع التعليمات أدناه:

- ابقَ في المنزل لمدة 14 يوماً. قد تتضمن الخيارات الأخرى إنهاء الحجر الصحي بعد 10 أيام إذا لم تكن لديك أعراض وتعذر إجراء الاختبار، أو إنهاء الحجر الصحي بعد 7 أيام إذا تلقيت نتيجة اختبار سلبية. ومع ذلك، استمر في مراقبة الأعراض لمدة 14 يوماً.
- راقب وانتبه للعلامات والأعراض الشائعة، مثل الحمى أو السعال أو ضيق التنفس.
- أبق مسافة 6 أقدام (2 متر) بينك وبين الآخرين.
- ابقَ بعيداً عن الآخرين قدر الإمكان، خاصةً الأشخاص الأكثر عرضة للإصابة بأعراض حادة في حال إصابتهم بالعدوى. ارتدِ كمامة إذا لم تتمكن من تجنب مخالطة الآخرين.
- اعزل نفسك في المنزل إذا شعرت بالمرض. واتصل بطبيبك إذا ساءت الأعراض.

تاريخه

يرجع تاريخ الحجر الصحي إلى آلاف السنين، فقد تم العثور على ذكر للعزل في سفر «اللاويين» وهو الكتاب الثالث من التوراة، الذي يعود تاريخ كتابته إلى القرن الخامس أو الثامن قبل الميلاد، وعند الصينيون ظهر أول محجر صحي في عهد أسرة شانغ التي حكمت في وادي النهر الأصفر خلال الأعوام (1766 ق.م- 1122 ق.م)، ومنذ ذلك الحين أدرك الناس أن عزل المصابين يساعد في الحد من انتشار العدوى. فيما ذكر العزل في تاريخ الإسلام عند سيدنا و نبينا محمد صلي الله عليه وسلم في حديث ذكر فيه: «إذا سمعتم بالوباء بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه» وفي حديث آخر له قال: «لا يورد ممرض على مصح». وفي عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك بُني أول مستشفى للحجر الصحي في التاريخ الإسلامي، بسبب انتشار مرض الجذام (هانسن).

التأثيرات الحجر الصحي

قد يكون للحجر آثار نفسية سلبية على أولئك المعزولين. وتشمل هذه اضطراب الكرب التالي للصدمة والارتباك والغضب. وفقاً لمراجعة سريعة نُشرت في دورية ذا لانسييت ردًا على جائحة فيروس كورونا 2019-2020: «ارتبطت الضغوطات بطول فترة الحجر الصحي، وتضمن ذلك الخوف من الإصابة والإحباط والملل وعدم كفاية الإمدادات وعدم كفاية المعلومات والخسارة المالية والوصم. اقترح بعض الباحثين احتمالية دوام بعض التأثيرات على المدى الطويل. في المواقف التي يعتبر فيها الحجر الصحي ضروريًا، يجب على المسؤولين عزل الأفراد مدة لا تزيد عن المطلوب، وتقديم أسباب منطقية واضحة للحجر الصحي ومعلومات حول البروتوكولات، وضمان توفير إمدادات كافية. قد تساعد في ذلك مناقشات الإيثار بتذكير الجمهور بفوائد الحجر الصحي للمجتمع الأوسع».

العزل

قد يتخذ الأطباء أو الدوائر الصحية المحلية احتياطات عزل خاصة للتعامل مع مصاب المرض الوبائية. ومن المحتمل أن يطلبوا أو يُصدروا تعليمات بضرورة عزل المصابين بالأوبئة أو عزل الأشخاص الذين بدت عليهم أعراض الإصابة به. ومن المحتمل أيضًا أن يُطلب من الأشخاص الذين ليست لديهم أعراض ولكن ثبتت إصابتهم بالوباء أن يلتزموا بعزل أنفسهم. تتوفر لدى المستشفيات وحدات عزل صحي مخصصة للحالات

الشديدة. لكن الأطباء قد ينصحون العديد من المصابين بأعراض الوبائية خفيفة بالعزل الذاتي في منازلهم.

أثناء العزل الصحي في المنزل، ينبغي عليك الابتعاد عن أفراد الأسرة والحيوانات الأليفة. ارتدِ كمامةً عندما تكون بالقرب من الآخرين. تجنّب مشاركة الأطباق وأكواب الشرب وأغطية الفراش والأدوات المنزلية الأخرى. واستخدم غرفة نوم وحمامًا منفصلين إن أمكن. وإذا تفاقمت الأعراض، اتصل بطبيبك لاستشارته. اتبع توصيات طبيبك ودائرة الصحة المحلية فيما يخص تحديد الوقت المناسب لإنهاء عزلتك. يمكن أن تساعد هذه التدابير في الحد من انتشار كوفيد 19.

و الخلاصة أن الحجر الصحي فيه مصلحة للمرضي و الأصحاء بصفة خاصة و المجتمع بشكل عام، كما بين لنا نبينا ﷺ في سنته المطهرة، و سار علي هديه الصحابة الأجلاء، و أننا جميعاً تحت قدر الله (عزوجل) فنأخذ بالأسباب و نتوكل علي الله مع إيماننا بالله (عزوجل) و حسن الظن به.

النتائج

- 1- في الشريعة الإسلامية هناك أهمية متأكد حول الحفاظ الأنفس، و الحجر الصحيح أحد المقاصد الحفاظ النفوس من الهلاك.
- 2- أن حول التباعد الإجتماعي و الحجر الصحيح هناك توصيات مهم في الشريعة الإسلامية.
- 3- أن نبينا محمد صلوات الله عليه بين لأمته التوصيات المهم قبل قرون الماضي.
- 4- أخذ تدابير الحجر صحيح من واجبات المسلمين عند حدوث الأوبئة
- 5- إن الشريعة الإسلامية المقدسة لها أساليب مفيدة لأتباعها في كل عصر وزمان
- 6- إن الاهتمام بالنصائح الطبية و حماية النفس من الهلاك هو نوع من العبادة.
- 7- حول الوقاية من الأوبئة المهلكة و المشاكل الإجتماعية إرشادات المفيد في الفقه الإسلامية كقاعدة (لاضرر و لا ضرار) و نحو ذلك..
- 8- اهتمام شريعة الإسلام المقدسة بصحة أتباعها.

9- كما قال رسول الله ﷺ كلنا مسؤولون تجاه بعضنا البعض، فعندما نمرض يجب أن نحرص على عدم نقل العدوى للآخرين ونحافظ على مجتمعنا بعيداً عن الخطر، وهذا العمل وذلك وفقاً لأوامر الشريعة الإسلامية المقدسة.

فهرس الهوامش

- 1- أبو الحسن الدارقطني البغدادي، علي بن عمر، الدارقطني، كتاب البيوع، ج4، ص51 تحقيق السيد عبدالله هاشم، ح حسن
- 2- سورة النجم، آية 3-4
- 3- بخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، دارالشعب القاهرة، الطبعة الأولى، باب ما يذكر في الطاعون، حديث رقم (5730).
- 4- البقره: 195
- 5- النساء: 71
- 6- النساء: 29
- 7- صحيح البخاري، نفس المرجع، حديث رقم (5730)
- 8- صحيح البخاري، نفس المرجع، حديث رقم (5707)
- 9- ابن عبد البر؛ يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر، الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار و علماء الأقطار، سنة النشر: 1414 – 1993، ج4، ص407..
- 10- مالك بن أنس، المؤطا، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م، كتاب الحج، باب جامع الحج، حديث رقم (950).
- 11- أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، (المتوفى: 450 هـ) البيان و التحصيل و الشرح و التوجيه و التعليل لمسائل المستخرجة، ج9، ص391
- 12- أبو القاسم الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، المعجم الكبير، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، حديث رقم (270).
- 13- العسقلاني، الحافظ أحمد بن علي بن حجر، بذل الماعون في فضل الطاعون، تحقيق أحمد عصام عبدالقادر الكاتب، (773-852)، دارالعاصمة الرياض، ص288
- 14- الشهابي ، مصطفى (2003). أحمد شفيق الخطيب (المحرر). معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية (بالعربية والإنجليزية واللاتينية) (ط. 5). بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.

المصادر

- 1- القرآن الكريم
- 2- أبو الحسن الدارقطني البغدادي، علي بن عمر، الدارقطني، كتاب البيوع، ج4، ص51 تحقيق السيد عبدالله هاشم.
- 3- أبو القاسم الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، المعجم الكبير، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، حديث رقم (270).
- 4- ابن عبد البر؛ يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر، الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الامصار و علماء الأقطار، سنة النشر: 1414 - 1993، ج4، ص407..
- 5- أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، (المتوفي: 450 هـ) البيان و التحصيل و الشرح و التوجيه و التعليق لمسائل المستخرجة، ج9، ص391
- 6- بخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، دارالشعب القاهرة، الطبعة الأولى، باب ما يذكر في الطاعون، حديث رقم (5730).
- 7- أبو القاسم الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، المعجم الكبير، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، حديث رقم (270).
- 8- الشهابي ، مصطفى (2003). أحمد شفيق الخطيب (المحرر). معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية (بالعربية والإنجليزية واللاتينية) (ط. 5). بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.

مستخرجات من علم المناهج واساليب التعليم الحديثة فى كتاب العلم من صحيح البخارى

إعداد:

د. عبد الرؤوف مخلص الهروى

mokhlesheravy@gmail.com

خلاصة البحث

الدارس والباحث المتعمق فى الاحاديث النبوية الشريفة على صاحبها اشرف الصلوات وأطيب التحيات والتسليم، إذا يمارس ابواب الصحاح والمسانيد والسنن بعين الباحث الخبير، بإمكانه أن يجد بطنَ الاحاديث النبوية الشريفة من العلوم والمعارف ما لا يحصيه الاقلام، بل ربما يصل الى تلك الحقيقة بأن مفاتيح كل العلوم فى الكتاب والسنة بما أنهما من وحى الله الذى له وحده ملكوت السموات والارض.

كما أن الملمّ بكتاب صحيح الامام البخارى ومنهجه وبعض شروحه تدريسا وتحقيقا وترجمتا ومن يحظى بمعرفة نسبية عن علم المناهج حينما يبحث فى هذا البحر الزاخر، يجد فى كتبه وابوابه، وخصوصا فيما يتعلق منها بالتربية والتعليم، العناصر والمضامين الاساسية التى اذا ينسّق بعضها ببعض، يستنبط منها وجود منظومة منهجية ثرية لعلم المناهج الحديثة وأنماط التعليم الحديث ومتودولوجياتها ويعرف أن النبى الكريم عليه افضل الصلوات والتسليم قد المّ بمختلف انماط واساليب المنهج العلمى والتى صدرت من مشكاته الشريفة بحكم صلته بالوحى الربانى والفيض الالهى. والعجيب أننا ربما لانجد لكثير منها اى سابقة عهد فى الاساليب المتداولة فى الكلام العربى القديم بهذا النمط والسعة والغزارة.

والباحث فى هذا البحث حاول قدر المستطاع أن يلمّ باستخراج جوانب من المنهج العلمى فى الحديث النبوى الشريف من كتاب صحيح البخارى معتمدا على منهج الاستقراء والتوصيف ومستندا على منابع موثوقة علمياً بادئا بتعريف اقسام العلم الشرعى؛ ثم تعريف أقسام من ينتسب الى هذا العلم من عالم عامل بعلمه الى عالم لم يعمل به وينفع غيره وعالم لم يعمل لنفسه ولم ينفع غيره. بعد ذلك يتطرق البحث الى معرفة معنى الحكمة ومصاديقها ثم بعد ذلك يتطرق البحث الى الفقرة الأصلية وهى استخراج

أنواع الأساليب والمناهج التعليمية التي استخدمها النبي صلى الله عليه وسلم لتعليم الناس وإرشادهم؛ منها منهج اختبار الطلبة وتحفيزهم على البحث؛ ومنها أسلوب تأجيل المعلم الإجابة لسبب أو أخرى؛ ومنها أسلوب المراجعة وإعادة السؤال؛ ومنها أسلوب التركيز على الإسماع وترسيخ المعاني؛ ومنها أسلوب استنساخ الكتب والمذكرات لتعميم الإفادة؛ ومنها مراعاة التسوية بين التلاميذ في المكان لا المكانة؛ ومنها ضرورة إيصال العلم من الحاضرين في مجالس العلم للغائبين؛ ومنها ضرورة تقديم العلم على العمل؛ ومنها أسلوب تنشيط الطالب وتحفيزه للعلم؛ ومنها النهي عن الإغترار بالعلم؛ ومنها جوارح الفرح بتحصيل العلم والاعتباط فيه؛ ومنها اختصاص فئات معين من الناس بالتعليم؛ ومنها أسلوب التعلم بالمشاركة؛ ومنها منهج الجدل العلمي المنضبط؛ ومنها الخروج لطلب العلم وابتغائه من مظانه؛ ومنها أسلوب إلقاء الدرس في مختلف الظروف وعلى المنصبات و وسائل النقل؛ ومنها أسلوب التعليم ضمن الإشارة بالرأس واليد؛ ومنها أسلوب الاستفادة من الرسوم والتصميمات في التعليم؛ ومنها أسلوب شمول تعليم رسول الله ﷺ كل الفئات دون النظر إلى موقعهم الاجتماعي؛ ومنها أسلوب التعليم الخاص للنساء وتجنب الاختلاط في التعليم؛ ومنها أسلوب النهي عن السطحية في امر الرواية والتعليم؛ ومنها السمر بالعلم واسلوب التعليم بالليل. ثم يختتم البحث بذكر النتائج المستنبطة اجمالياً. وبالله التوفيق وهو المستعان.

الكلمات المفتاحية:

علم، تعليم، مناهج، الحديث النبوي، أساليب، طرق التدريس.

مقدمة البحث:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، وعلى آله وصحبه الهداة المهديين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين.

أما بعد!

فنبداً البحث ببيان رؤية العلماء حول تقسيم العلم الشرعي إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: هو العلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله ومعرفته جلّ في علاه وهذا العلم هو أشرف العلوم وأعلاها منزلةً. وقد أشار الأئمة الى شرف هذا العلم في كتبهم. ومنهم الإمام أبوحنيفة رحمه الله عند ما ألقى دروسه حول أصول الدين في رسالته المسماة با «الفقه الأكبر» أشار فيها بشرف هذا العلم وقال: «أفضل الفقه أن يتعلم الرجل الايمان بالله

تعالى والشرائع والسُنن والحدود واختلاف الأمة واتفاقها»¹.

القسم الثاني: بعد أن عرف الإنسان ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله، لابد أن يعرف ما يحبه الله تبارك وتعالى من عبده من الطاعات والعبادات وما يُبغضه من المعاصي وغيرها، ويُدرِك أيضًا أن هذه المعرفة هي الوسيلة الأكثر أهمية لمعرفة شريعته سبحانه؛ أي أوامره ونواهيه التي تُوصل العبد في النهاية إلى رضاه جلّ جلاله.

القسم الثالث: هو معرفة حال الإنسان ومآله وحسابه عند ربه، وما كُتب له من جزاء، وما أعدّه للمؤمنين من النعيم المقيم في الجنة، وما أعدّه للكافرين من العذاب المهين.

وقد ألف الامام ابن الجوزي في هذه الاقسام أبياتاً فقال:

وأقسام العلم ثلاثٌ ما لها * من رابعٍ والحقّ ذو تبيان

علمٌ بأوصاف الإله وفعله * وكذلك الأسماء للرحمن

والأمر والنهي الذي هو دينه * وجزاءه يوم المعاد الثاني

هذا ويرى البعض أن الفقه في الدين ايضا يشمل ثلاثة أقسامٍ وهي الإسلام والإيمان والإحسان بتفصيل بينه الفقهاء في كتبهم.

وأما أحاديث صحيح الإمام البخاري وغيرها في داعية ومحرضة الى تحصيل العلم ونقله، لأن المرء إذا كان عالماً بدينه؛ استطاع أن يصل بهذا العلم إلى معرفة الله تبارك وتعالى وعبادته على نور من البصيرة وفهم، وأن يعلم غيره ذلك، وينفي الجهل عن نفسه وغيره بالدعوة الجادة والتّصحيح الوافية، خلاف الذي يقضى ايامه كلها في غياهب الدنيا، يذهب يُمنّةً ويسرّةً ولايبدي للعلم واهله اي اهتمام، فمثل هذا العبد يعبد الله وهو عارٍ عن فهم مقاصد الشريعة، وبعيدٌ كل البعد من درك معاني الآيات والمعارف النبوية ثم تطبيقها في مختلف شئون حياته.

و جدير بالذكر أن بعض الشرايح يضيفون الى تقسيم العلم الشرعي قسمين آخرين وهما علم الظاهر وعلم الباطن بأنواعهما. ومنهم الامام المحدث الشيخ محمد خضر الجكني الشنقيطي صاحب كتاب: «كُوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري».

والذي أضاف رحمه الله في مقدمة كتاب العلم تبصرة قال فيها:

ومن العلم الشرعي علم الباطن، وهو نوعان: الأول، علم المعاملة، وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة، فالمُعَرَض عنه هالك بسطوة مالك الملوك في الآخرة. كما أن المعرض عن الأعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا، بحكم فتوى علماء الدنيا.

وحقيقته النظر في تصفية القلب وتهذيب النفس، باتقاء الأخلاق الذميمة التي ذمها الشارع، كالرياء والعجب والغش، وحب العلوّ والثناء والفخر والطمع ليتصف بالأخلاق الحميدة المحمدية، كالإخلاص والشكر والصبر والزهد والتقوى والقناعة، ليصلح عند إحكامه ذلك لعمله بعلمه، ليرث ما لم يعلم، فعلمه بلا عمل وسيلة بلا غاية، وعكسه جنانية، واتقانها بلا ورع كلفة بلا أجر، فأهم الأمور زهد واستقامة، لينتفع بعلمه وعمله.

والنوع الثاني علم المكاشفة، وهو نور يظهر في القلب عند تزكيته، فتظهر به المعاني المجرّمة، فتحصل له المعرفة بالله تعالى وأسمائه وصفاته وكتبه ورسله، وتنكشف له الأستار عن مخبآت الأسرار، فافهم وسلّم وتسلم، ولا تكن من المنكرين تهلك مع الهالكين. قال بعض المحققين: مَنْ لم يكن له من هذا العلم شيء أخشى عليه سوء الخاتمة. أعادنا الله تعالى منه، وأدنى النصيب منه التصديق به، وتسليمه لأهله، والله تعالى أعلم»².

أقسام الناس في تحصيلهم العلم الشرعي:

ومما ذكر أيضاً في أحاديث «كتاب العلم» من صحيح البخاري أنّ النّاس الذين يقبلون على تحصيل العلم النبويّ وتعاليمه وأسسها التي هي مجمع العلوم والهداية، ينقسمون إلى ثلاثة فرق:

الفرقة الأولى: مثلها كمثل الأرض الخصبّة إذا نزل عليها المطر أنبتت الكلاً والعشب وتركت بعض الماء على سطحها، فانتفعت بالماء وأنبتت به الكلاً والاعشاب، ومثل هذه الأرض كالعالم العامل بعلمه، معلّم الخير للنّاس، والماء كالأحكام الشرعيّة فهو يتعلّم ويعلمّ الناس ونتيجة ذلك أنّ الأرض امتصّت بعض الماء وأنبتت الكلاً والعشب فانتفع العالم ونفع غيره.

الفرقة الثانية: كالارض التي ينزل عليها المطر، فلا تنبت الكلاً والعشب ولا تمتصّ الماء فتتفع غيرها، ولا تنفع نفسها ومثل ذلك مثل العالم الذي يعلمّ الناس وينسي نفسه، فلا يعمل بما علم ولا يطبق الأحكام الشرعية والأوامر الالهية، فهو يكتب العلم ويحفظه، وينصح به ولا ينصح نفسه، ولا يعي بقلبه ما تعلمه، وهذا مصداق قول النبيّ صلى الله عليه وسلّم: «رحم الله امرأً سمع مقالتي فادّأها».

وأما الفرقة الثالثة: فهم كالأرض الجدياء المستوية لا تنبت الكلاً والعشب ولا تترك الماء

فلم تنتفع بالماء ولم تنفع غيرها، ومثل ذلك مثل العالم الذي كتم العلم فلم يعمل، ولم ينصح أحداً بهذا العلم، ولم يحرك رأسه للعلم ولم يستمع لنداء العلماء في طلب العلم تكبراً، أو كالذي دخل في الاسلام، ولم يتعلم ولم يسمع أو سمع ولم يعمل. فلا بد أن يحذر المسلمون أن لا يكونوا من الفرقة الثالثة، ويعرفوا أن العلم هو الغيث الذي ينزل على الارض فينبت العشب ويسقي الخلق ويحيي ارض الفطرة والضمير بعد خمودها.

الحكمة ومفهومها في الاصطلاح الشرعي:

ومما يميز المنهج العلمى في الاسلام أن العلم من منظور اسلامى ليس هو الذى يحتل مكانه في ذاكرة الانسان ثم لا يكون له اى نفوذ في خفايا ضميره ومشاعره وقلبه وجوارحه. بل إن هناك مبحثاً آخر يتكلم عن الحكمة وتفاوت هذا المفهوم من مفهوم العلم المجرد. قال تعالى: {ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً} (سورة البقرة: 249). وهناك أقوالٌ متعددةٌ في توضيح مفهوم الحكمة منها:

- أن الحكمة هي وضع الأشياء في مواضعها.
 - الحكمة هي وعي وفهم كلام الله تعالى.
 - وقد فسّر الامام النووي (رح) الحكمة أنّها: الجمع بين العلم ومعرفة الله ﷻ جمعاً متلازماً مع تمكّن ونفوذ البصيرة في القلب، وتهذيب النفس، وتحقق العمل بالعلم، وتطهير العمل عن مخالفة الحق.
- فالحكيم من اتصف بهذه الصفات.

وقد اشتملت القرآن الكريم والسنة النبوية على هذه المعاني المذكورة في الحكمة. وبعد سرد هذه المقدمة الضرورية نصل الآن الى صميم بحثنا وهو الكلام حول المنهج العلمى واساليبه في الحديث النبوى الشريف:

وبا التأمّل في الاحاديث النبوية يمكننا فهم ما روى البخاري ومسلم وما نوقش بينهما في الاسانيد، وما وصّاه النبي في تحصيل العلم، ونستنبط من خلالها المناهج العلمية الجديدة واساليب التعليم.

من هذه المناهج والاساليب: منهج التقويم والاختبار، منهج السؤال والجواب، منهج تكرار الألفاظ والجمل بقصد ترسيخ الطالب في ذاكرة الطلبة، منهج العرض، منهج التنوع في الاداء والتلقين، وغيرها والتي نشير اليها خلال البحث.

اما في مجال رواية الحديث ونقل الأحاديث والأخبار فقد تفنن العلماء المختصين بعلم السند بفنون متنوعة مدار كلها على التوثيق والضبط والصحة. كما قال عبد الله بن المبارك: "الإسناد عندي من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء"³.

وقد حصر علماء الاسناد طرق تلقي الحديث عن الرواة بثمانى طرق وهى: السماع و العرض والإجازة والمناولة والمكاتبة والإعلام والوصية والوجادة.⁴

ونرى تأصيل هذه الطرق في منهج الامام البخارى وغيره من أئمة الحديث. ولكن البخارى نفسه استنبط تلك الطرق من الاحاديث النبوية واساليب رسول الله ﷺ في التربية والتعليم واستندوا في التمسك بها باحاديث من رسول الله ﷺ. ومن باب المثال لا الحصر ننظر في منهج العرض او القراءة على الشيخ باستدلال المحدثين بحديث ضمام بن ثعلبة الذى رواه البخارى عن أنس بن مالك يقول: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ، دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ فَأَنَاحَهُ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَكِيٌّ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ. فَقُلْنَا هَذَا الرَّجُلُ الْأَبْيَضُ الْمُتَكِيُّ. فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «قَدْ أَجَبْتُكَ». فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي سَأَلْتُكَ فَمَشَدَّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ فَلَا تَجِدُ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ. فَقَالَ «سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ». فَقَالَ أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ، اللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ فَقَالَ «اللَّهُمَّ نَعَمْ». قَالَ أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ، اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ قَالَ «اللَّهُمَّ نَعَمْ». قَالَ أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ، اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ قَالَ «اللَّهُمَّ نَعَمْ». قَالَ أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ، اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَانِنَا فَتَقْسِمَهَا عَلَيَّ فَقَرَأْنَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «اللَّهُمَّ نَعَمْ». فَقَالَ الرَّجُلُ أَمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، وَأَنَا رَسُولٌ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي، وَأَنَا ضِمَامٌ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرِ. رَوَاهُ مُوسَى وَعَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ.

قال البخارى رحمه الله: «وَرَأَى الْحَسَنُ وَالثَّوْرِيُّ وَمَالِكُ الْقِرَاءَةَ جَائِزَةً، وَاحْتَجَّ بَعْضُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ عَلَى الْعَالِمِ بِحَدِيثِ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ قَالَ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ قَالَ «نَعَمْ». قَالَ فَهَذِهِ قِرَاءَةٌ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَخْبَرَ ضِمَامٌ قَوْمَهُ بِذَلِكَ فَأَجَاؤُهُ»⁵. قال الحميدي: فهذا دليل صحة الاستناد بقراءة التلميذ على الإمام.

ومن هذه النماذج أيضاً بيان العلم عن طريق الإقرار أو التقرير. واحتج الإمام مالك

بالإقرار وذلك أن يقرأ الإمام على جمع من الناس وهم يستمعون إليه، فيقول الناس بعده سمعنا من فلان ونحن جمع يقول: (وهذا نوع من أنواع القراءة) وهذه الرواية التي تقرأ للناس هي قراءة علمهم.

كذلك إذا قرأ الطالب على شيخه المقرئ. يقول الطالب قرأت على الشيخ فلان وأجازني على ذلك (والمعنى حقيقة أن المقرئ سمع قرائتي وأيدها وجعلني قارئاً مقرئاً، ولولاه ما تعلم الطالب القراءة أصلاً).

كذلك روى عن الحسن البصري أنه قال: لا بأس بقراءة الطالب على شيخه ويجوز نقل الرواية بهذا الوجه. وروى عبيد الله بن موسى عن سفيان أنه قال: إذا قرء حديث على الشيخ فقال الطالب: حدثني الشيخ فلا بأس بذلك. يقول الراوي: وسمعت عاصم يزوي عن مالك وسفيان قالاً: التلقي والقراءة سيان (أي لا فرق بين القراءة على الامام أو التلقي من الإمام. كلتا الحالتين لا بأس بأن تقول: حدثنا أو سمعت فلاناً أو أخبرنا).

وأشار الامام البخاري على نوعين من صيغ تحمّل الرواية أتهما من المناهج الحديثية الجديدة التي أصبحت مشهورة بين العلماء وهما القراءة والعرض فالقراءة عبارة عن قراءة الطالب مزوياته والامام يصح له، أما العرض فهو أعم وأوسع من القراءة فتارة تكون قراءة على الامام وتارة تكون على غيره فإذا سمعا منه مزوياته أيدها على ذلك. يقال قراءة الحديث على الشيخ جائزة، سواء كان قد قرأ الطالب من حفظه أو من كتاب أو من كتاب شيخه أو من كتب الآخرين أو قراءة الطالب على الشيخ والحاضرين ينصتون. وسيان بين حفظ الشيخ لهذا للحديث أو عدم حفظه.

منهج اختبار الطلبة وتحفيزهم على البحث:

روى الامام البخاري عن مجاهد قال: صحبت ابن عمر إلى المدينة فلم أسمعهُ يحدث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا حديثاً واحداً، قال كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فَأَتَى بِجُمَارٍ فَقَالَ «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجْرَةً مَثَلُهَا كَمَثَلِ الْمُسْلِمِ». فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ هِيَ النَّخْلَةُ، فَإِذَا أَنَا أَصْغَرُ الْقَوْمِ فَسَكَتُ، قَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - «هِيَ النَّخْلَةُ»⁶.

من خلال التأمل في هذا الحديث نستفيد اسلوب تقييم الطلاب واختبارهم وتحفيزهم على البحث. ولهذا السبب اختبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة. ومن هذا الحديث نستفيد ايضاً جواز الجمع بين الطلاب الصغار والكبار في مجلس واحد وهذا

في حالة ما إذا كان الصَّغار يستطيعون إدراك العلم. ودليل ذلك أن ابن عمر كان أصغر الحاضرين واستطاع أن يدرك سؤال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ويتضح من هذا الحديث أيضا امكان أن يمتلك الصَّغير من العلم ما يفقده الكبير، لأن العلم هبةً من الله تعالى يهبه لمن يشاء من عباده فيجب أن نغطي للشباب حقهم ومأزلتهم.

هذا وقد استنبط العلامة بدر الدين العيني من هذا الحديث فوائد الخصها فيما يأتي: الأول: فِيهِ اسْتِحْبَابُ إِلقاءِ الْعَالَمِ الْمَسْأَلَةَ عَلَى أَصْحَابِهِ لِيختبر أفهامهم، ويرغيمهم في الفِكر.

الثَّانِي: فِيهِ تَوْقِيرُ الْكِبَارِ وَتَرْكُ التَّكَلُّمِ عِنْدَهُمْ وَقَدْ بَوَّبَ عَلَيْهِ الْبُخَارِيُّ بِأَبَا، كَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

الثَّالِث: فِيهِ اسْتِحْبَابُ الْحَيَاءِ مَا لَمْ يُوَدَّ إِلَى تَفْوِيتِ مَصْلَحَةٍ. وَلِهَذَا تَمَنَّى عَمْرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ يَكُونَ ابْنُهُ لَمْ يَسْكَتْ.

الرَّابِع: فِيهِ جَوَازُ اللَّغْزِ مَعَ بَيَانِهِ؛ الْإِذَا أَخْرَجَ عَلَى سَبِيلِ تَعْنِيتِ الْمَسْئُولِ أَوْ تَعْجِيزِهِ أَوْ تَخْجِيلِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

الخَامِس: فِيهِ جَوَازُ ضَرْبِ الْأَمْثَالِ وَالْأَشْبَاهِ لِرِيَادَةِ الْأَفْهَامِ، وَتَصْوِيرِ الْمَعَانِي فِي الذِّهْنِ، وَتَحْدِيدِ الْفِكرِ وَالنَّظَرِ فِي حَكْمِ الْحَادِثَةِ.

السَّادِس: فِيهِ أَنَّ الْعَالَمَ الْكَبِيرَ قَدْ يَخْفَى عَلَيْهِ بَعْضُ مَا يُدْرِكُهُ مِنْ هُوَ دُونَهُ، لِأَنَّ الْعِلْمَ مَنَحَ الْهَيْبَةِ وَمَوَاهِبَ رَحْمَانِيَّةٍ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ.

اسلوب تأجيل المعلّم الإجابة لسبب أو أخرى:

روى البخارى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَاءَهُ أُعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَّرَهُ مَا قَالَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: «أَيْنَ - أَرَاهُ - السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ» قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَإِذَا ضَيَّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ».

واستنبط العلامة بدر الدين العيني من هذا الحديث فوائد جمّة في آداب وأنماط التعليم الخصها كا التالي:

فِيهِ أَنْ مِنْ آدَابِ الْمُتَعَلِّمِ أَنْ لَا يَسْأَلَ الْعَالَمَ مَا دَامَ مُشْتَغَلًا بِحَدِيثٍ أَوْ غَيْرِهِ، لِأَنَّ مِنْ حَقِّ الْقَوْمِ الَّذِينَ بَدَأَ بِحَدِيثِهِمْ أَنْ لَا يَقْطَعَهُ عَنْهُمْ حَتَّى يَتِمَّهُ. وَفِيهِ أَيْضًا الرِّفْقُ بِالْمُتَعَلِّمِ وَإِنْ جَفَا فِي سُؤَالِهِ أَوْ جَهَلَ، لِأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمْ يُوْبَخْهُ عَلَى سُؤَالِهِ قَبْلَ إِكْمَالِ حَدِيثِهِ. كَمَا يَفِيدُ الْحَدِيثُ أَيْضًا ضَرُورَةَ مُرَاجَعَةِ الْعَالَمِ عِنْدَ عَدَمِ فَهْمِ السَّائِلِ، لِقَوْلِهِ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ وَفِيهِ أَيْضًا جَوَازُ اتِّسَاعِ الْعَالَمِ فِي الْجَوَابِ إِذَا كَانَ ذَلِكَ لِمَعْنَى أَوْ مُصْلِحَةٍ. وَيَسْتَفَادُ مِنْهُ أَيْضًا التَّنْبِيهُ عَلَى تَقْدِيمِ الْأَسْبِقِ فِي السُّؤَالِ لِأَنَّا قُلْنَا: إِنَّهُ يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ تَأْخِيرَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجَوَابِ لِكَوْنِهِ مَشْغُولًا بِجَوَابِ سُؤَالِ سَائِلٍ آخَرَ، فَنَبِهَ بِذَلِكَ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْقَاضِي وَالْمُفْتِي وَالْمُدْرَسِ تَقْدِيمَ الْأَسْبِقِ لِاسْتِحْقَاقِهِ بِالسَّبْقِ.

اسلوب المراجعة واعادة السؤال:

وَمِنْ فَوَائِدِ أَحَادِيثِ كِتَابِ الْعِلْمِ أَنْ لِلْسَّائِلِ أَنْ يَرِاجِعَ الْمَسْأَلَةَ مَعَ الْمُعَلِّمِ حَتَّى يَفْهَمَ عَنْهُ. كَمَا رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَانَتْ لَا تَسْمَعُ شَيْئًا لَا تَعْرِفُهُ، إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ حُوسِبَ عُدْبٌ» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ أَوْلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: {فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا} [الانشقاق: 8] قَالَتْ: فَقَالَ: "إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرَضُ وَلَكِنْ: مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكُ".⁷

وقد استنبط منه العلماء جواز مراجعة التلميذ الدرس والاسئلة على المعلم لترسيخ المسائل في ذهنه. وقد نرى نماذج كثيرة في الاحاديث من هذا النمط.

اسلوب التركيز على الإسماع وترسيخ المعاني:

نستنبط من أحاديث كتاب العلم فائدة النداء في الناس إذا كانوا جمعٌ ليتعلموا أو إذا كانوا بعيدين عن المعلم. ولا بأس من تكرار الجملة أو النداء في الناس بصوتٍ عالٍ لأهميّة الموضوع. كما روى مسلم عن عبد الله بن عمرو قال: تَخَلَّفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنَّا فِي سَفَرَةٍ سَافَرْنَاهَا، فَأَذْرَكْنَا وَقَدْ أَرْهَقْنَا الْعَصْرَ، فَجَعَلْنَا نَتَوَضَّأُ وَنَمْسُحُ عَلَى أَرْجُلِنَا، فَتَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا.⁸

وفيه دليل بان للعالم أن يغلظ القول تارة ويرفع صوته للإنكار على شيء يراه من تلاميذه او لتنبههم على أهمية أمر ما. ولهذا السبب علا صوت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكرّر جملة لعظمة الأمر لتنبه الناس.

اسلوب استنساخ الكتب والمذكرات لتعميم الاستفادة:

لقد نسخ عثمان رضي الله عنه المصحف الأصلي بمصاحف عدّة وأرسلها إلى البلاد. فنسخة بمكة ونسخة بالشام ونسخة باليمن ونسخة بالبحرين ونسخة بالبصرة ونسخة بالكوفة وترك نسخة بالمدينة. وأعدّ العلماء هذا العمل دليل جواز نقل الرواية بالكتابة أو بالمكاتب، لأنّ عثمان أمر أن يعتمد على المصاحف التي أرسلها وأنّ هذه النسخ المنسوبة إلى عثمان ثابتة وصحيحة. والعلماء اعتبروا هذا الأمر أنّها رواية بالمكاتب.

ومن أجل ذلك يرون بان من كان ينقل العلم بالمكاتب له أن يضع ختمه أو بصمته على كتابه حتى يطمئنّ الناس أنّه لن يتمّ تغيير في كتابه. كما يتّضح لنا ذلك في أحاديث الامام البخاري. ولكن أحياناً ما يستغني المرء عن وضع ختم أو بصمة وذلك في حالة ما إذا كان حامل الكتاب صاحب أمانة وعدل.

مراعاة التسوية بين التلاميذ في المكان لا المكانة:

ونستفيد من أحاديث كتاب العلم مراعاة التسوية بين الطلاب في تحييز الامكنة وسدّ الخلل في مجالس العلم وضرورة توسيع الحلقات لتمكين المستمعين من تحييز الامكنة. وهذا يعدّ من الأدب في مجالس العلم. ولا يجوز أن يخصص الطالب لنفسه مكانا خاصا عن رفقاءه في الدرب. وهذه القاعدة تشمل أيضاً صفّ الجماعة في الصلّاة.

روى البخاري عن أبي واقد الليثي أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم ودَهَبَ وَاحِدٌ قَالَ: فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا: فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا وَأَمَّا الْآخَرُ: فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ وَأَمَّا الثَّلَاثُ: فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَأَوَاهُ اللَّهُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ».

و قد علق العلامة بدر الدين العيني في شرحه «عمدة القارى» على ذلك بأمر الخصها فيما يلي:

فيه أن من جلس إلى حلقة علم أنه في كنف الله تعالى وفي ابوائه وهو ممن تضع له الملائكة اجنحتها. وقال ابن بطلال: وكذلك يجب على العالم أن يؤوي المتعلم لقوله: (فأواه الله). وفيه أن من قصد العالم ومجالسته فاستحى ممن قصده فإن الله يستحي منه

فَلَا يَعَذِبُهُ. الثَّالِثُ: فِيهِ أَنْ مِنْ أَعْرَضَ عَنِ مَجَالِسَةِ الْعَالَمِ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْزِضُ عَنْهُ وَمَنْ أَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَدْ تَعْرَضَ لِسَخْطِهِ. وَيَسْتَفَادُ مِنْهُ أَيْضًا اسْتِحْبَابُ التَّحَلُّقِ لِلْعِلْمِ وَالذِّكْرِ فِي الْمَسْجِدِ. وَفِيهِ أَنْ مِنْ حَسَنِ الْأَدَبِ أَنْ يَجْلِسَ الْمَرْءُ حَيْثُ انْتَهَى مَجْلِسُهُ وَلَا يُقِيمُ أَحَدًا وَاسْتِحْبَابُ سَدِّ خَلْلِ الْحَلَقَةِ، كَمَا وَرَدَ التَّرْغِيبُ فِي سَدِّ خَلْلِ الصُّفُوفِ فِي الصَّلَاةِ.⁹

ضرورة إيصال العلم من الحاضرين في مجالس العلم للغائبين:

روى البخارى عَنِ ابْنِ سِيرِينَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ، ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَعَدَ عَلَى بَعِيرِهِ وَأُمْسَكَ إِنْسَانٌ بِخَطَامِهِ - أَوْ بِرِمَامِهِ - قَالَ: «أَيُّ يَوْمٍ هَذَا»، فَسَكَّنَّا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سِوَى اسْمِهِ قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ» قُلْنَا: بَلَى قَالَ: «فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا» فَسَكَّنَّا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ. فَقَالَ: «أَلَيْسَ بِذِي الْحِجَّةِ؟» قُلْنَا: بَلَى قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ، بَيْنَكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ».¹⁰

ومقتضى هذا الحديث هو إيصال الرسائل المهمة من الحاضرين للغائبين وتحريض الناس على تبليغ العلم؛ فعسى أن يكون الغائب الذي يصل له العلم يكون أعلم من الذي يستمع الحديث ويستطيع أن يستنبط الأحكام والمسائل.

فلذلك لا يشترط لإيصال العلم أن يكون المبلِّغ أعلم بالعلم الذي يبلغه ولا أن يكون عالماً بالادلة والحجج، لأنه ربما يكون كثير من الغائبين من مجلس العلم أفقه من الحاضرين ويكونون أفدر على استنباط الاحكام وأوسع في الفهم. وفي هذا الباب حديث آخر مرفوع عن زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِ لَيْسَ بِفِقْهِهِ)¹¹

ونستنبط من هذا الحديث جواز أن يبلغ المرء الحديث في حين انه لا يدرك معناه ويعرفه غيره وفي هذه الحالة يكون المبلِّغ مأجورًا إذا عمل به.

تقديم العلم على العمل:

استدل الامام البخاري بذلك في مقدمة باب: (بَابُ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ) بآيات من القرآن الكريم على تقديم العلم على العمل. ومنها قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا

{الله: 19} [محمد: 19] فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ «وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَرَثُوا الْعِلْمَ، مَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِظِّ وَافِرٍ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ» وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر: 28] وَقَالَ: {وَمَا يَعْزُبُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ} [العنكبوت: 43] {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [الملك: 10]. لذلك فإنَّ القول والعمل لا يتحققان إلا بالعلم ولأنَّ العلم هو الذي يصحح أقوال وأفعال الإنسان، فإذا تكلم الإنسان عن جهل أو عمل عن جهل فقولُه وعمله مردودٌ عليه. وقد استشهد أهل الحديث بآيات ومرويات لا ثبات لهذا الموضوع.

اسلوب تنشيط الطالب وتحفيزه للعلم:

كانت طريقة النبي صلى الله عليه وسلم في موعظة أصحابه أنه يراعي حال نشاطهم حتى لا يملوا ولا يفترتوا، فكان يخصص لهم أيامًا وأوقاتًا محددةً للإلقاء وتارةً يؤجل يوم الإلقاء لراحتهم، حتى يجدد الطالب والسماع نشاطه، فإذا كانت الموعظة كلَّ يومٍ لكان ذلك سببًا للملل وتقاعس النَّاسِ عن الطلب. ولهذا السبب كره العلماء على المحاضر اتباع اسلوب التشدد والترمت حتى لا يملَّ الطالب ويضيق صدره. وإذا أعطى العالم درسًا يوميًّا فلا بدَّ أن يكون خاليًّا من التكلُّف والتشدد وأن يكون الدرس شارحًا للصدر سهلًا سلسًا. وبالنسبة للمواعظ فيفضل أن تكون الموعظة كلَّ يومين أو ثلاثة أو مرَّةً على فتراتٍ حسب احوال المخاطبين والسامعين. والضابط في هذا الأمر هو مدى إحتياج الناس وسعة قبولهم لذلك.

كما وجَّه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضًا منهج وأسلوب التيسير في أمور الدِّين حتى لا ينفر الناس. لذلك لا بدَّ من تعليم الناس الاحكام الشرعية خطوة بعد خطوة وباسلوب التدرج.

كما يلزم على الواعظ والمحاضر والخطيب الالتزام باسلوب التعادل بين ترغيب الناس في فضائل الأعمال ونيل رحمة الله وبين انذارهم من عذاب الله وليكن معتدلًا بين هذا وذاك.

نعم التبشير والتيسير -في حدود الشَّرْع- أمرٌ مطلوبٌ ومن هذه الجهة قال صلى الله عليه وسلم {بعثت بالحنيفية السمحة}.

وفي ذلك روى البخارى عن أبي وائل قال: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُدَكِّرُ النَّاسَ فِي كُلِّ خَمِيسٍ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَوَدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ؟ قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي

أَكْرَهُ أَنْ أُمْلِكُكُمْ وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ، كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا، مَخَافَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا".¹²

اسلوب النبي عن الإغترار بالعلم:

روى البخارى عن ابن شهاب قال: قَالَ حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ، حَطِيبًا يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ».¹³

وقد فسّر الشّراح قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {إنّما أنا قاسمٌ والله يعطي} على تواضع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعدم اغتراره بما عنده من العلوم والحكم اللدنيّة وتأكيدّه على أنّه قاسمٌ وناشر للعلم الإلهي لعامة الناس وليس معطيّ، فالله وحده هو المعطي الذي يعطي الفهم لمن يشاء. فتواضع المعلم بعلمه أمر ضروري. فهناك تفاوتٌ في الفهم والإدراك من الناس. كما نرى بعض الصحابة إذا سمع حديثاً لم يفهم منه إلا ما اتّضح وظهر منه فقط في حين أنّ البعض الآخر من الصحابة أو التابعين أو من القرون اللاحقة كان يفهم من يفهم ما ظهر من الحديث وما خفي ويدرك مقاصد الحديث ومراميه و يستطيع أن يستنبط الأحكام والمسائل والفوائد منه. فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده.

نعم، تتفاوت قدرات الخلق في الفهم وقسم الله تبارك وتعالى مقادير العلم على عباده كما قال في كتابه الحكيم: {يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب} (سورة البقرة: 269)

الفرح بتحصيل العلم والاعتباط فيه:

نستنبط من أحاديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّ الغبطة والفرح بحياسة مساحات من العلم امر مباح لاجرح فيه. ولاشك أن اعطاء الله الانسان من الحكمة والفهم نعمة لا يقدر بالثمن ومن الطبيعي أن يفرح الإنسان بنعم الله عليه وهذه الفرحة من باب الفرحة بفضل الله ورحمته. وذلك داخل في مضمون هذه الآية الكريمة {قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون} (سورة يونس: 58)

فالفرحة والسعادة تنقسم إلى قسمين:

أولها فرحة محمودة: وذلك نظير من فرح بفضل الله ورحمته أي: الفرحة بالإسلام

وبالعلم وبالهداية وبإستيعاب القرآن.

وثانها فرحة مذمومة: كفرحة المتكبرين وأهل القسوة وأهل الشر بالمنصب والمال والجاه والقدرة. وهذا مصداق قوله تعالى في مثل هؤلاء: {إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين} (سورة القصص: 76). كذلك قوله تعالى عن أهل النار: {ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفرحون} (سورة غافر: 75)

وفي هذا روى البخارى عن عبد الله بن مسعود قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها " ¹⁴

وقد قسم العلماء الحسد على ثلاثة أضرب: محرم ومباح ومحمود؛ فالمحرم: تمنى زوال النعمة المحسود عليها عن صاحبها وانتقالها إلى الحاسد. وأما القسمان الآخران فغبطة وهو أن يتمنى ما يراه من خير بأحد أن يكون له مثله، فإن كانت في أمور الدنيا فمباح وإن كانت من الطاعات فمحمود. قال النووي: الأول حرام بالإجماع. وقال بعض الفضلاء: إذا أنعم الله تعالى على أخيك نعمة، فكرهتها واحببت زوالها، فهو حرام بكل حال، إلا نعمة أصابها كافر أو فاجر، أو من يستعين بها على فتنة أو فساد. والله أعلم.

اسلوب اختصاص فئات معين من الناس با التعليم:

روى البخارى عن عمر رضي الله عنه قال: «تفقهوا قبل أن تسودوا». قال أبو عبد الله: «وبعد أن تسودوا. وقد تعلم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في كبر سنهم». وقد علق شراح البخارى على قوله: «تفقهوا قبل أن تسودوا» أي: قبل أن تصيروا سادة، وتعلموا العلم ما دتم صغارا قبل السيادة والرياسة وقبل أن ينظر إليكم، فإن لم تعلموا قبل ذلك استحبيبتهم أن تعلموا بعد الكبر، فبقيتم جهلاء. قال ابن بطال: «قال عمر رضي الله تعالى عنه ذلك لأن من سوده الناس يستحي أن يقعد مقعد المتعلم خوفا على رياسته عند العامة». قال أبو عبد الله: «وبعد أن تسودوا»: إذ لا يجوز ترك التفقه بعد السيادة، إذا فاتته قبلها والدليل على صحة ما قلنا أن البخاري أكد ذلك بقوله: وقد تعلم أصحاب النبي عليه السلام، في كبر سنهم، لأن الناس الذين آمنوا بالنبي عليه السلام، وهم كبار ما تفقهوا إلا في كبر سنهم. ¹⁵

منهج التعلّم بالمشاركة:

روى البخارى عن عبد الله بن عباسٍ عن عمَرَ قال: كُنْتُ أَنَا وَجَارِي لِي مِنَ الْأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ وَكُنَّا نَتَنَاقَبُ النَّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَتَزَلَ صَاحِبِي الْأَنْصَارِيُّ يَوْمَ نَوْبَتِهِ، فَضَرَبَ بَابِي ضَرْبًا شَدِيدًا فَقَالَ: أَتَمَّ هُوَ؟ فَقَزَعْتُ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ. قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَإِذَا هِيَ تَبْكِي، فَقُلْتُ: طَلَّقُكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَتْ: لَا أَذْرِي ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ: أَطَلَقْتَ نِسَاءَكَ؟ قَالَ: «لَا» فَقُلْتُ: اللَّهُ أَكْبَرُ.¹⁶

ويستفاد منه أولاً حرص الصحابة على طلب العلم بحيث لا يمنعمهم النظر في معاشهم وما يستعينون به لندياهم من طلب العلم. وأن الصحابة رضي الله عنهم، كانوا يتناوبون التعلّم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخبر بعضهم بعضاً بما يسمع من النبي عليه الصلاة والسلام ويقولون: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. ويجعلون ذلك كالمسند، إذ ليس في الصحابة من يكذب ولا غير ثقة. وهذا يدل على المناورة والمنافسة والتناوب في العلم والاشتغال به بأى حال وفي كل الظروف وعدم الاستغناء عنه بأى حجة وإى عذر.

ولذلك كان الصحابة والسلف يضرّبون أكياد الأبل في طلب العلم وهم احرص الناس على كسب العلم والاعجاب به. وكانوا يتأسسون في ذلك بما جاء في القرآن الكريم في قصة خضر وموسى عليهما السلام وبما روى عنه في كتب الحديث مما يدل على فضيلة المسير لطلب العلم. فموسى عليه السلام هو من أولي العزم وبالرغم من ذلك لايتوانى عن طلب الحكمة والعلم بكل تواضع متبّعاً خضر عليه السلام.

ويتضح من قصة موسى والخضر عليهما السلام أنه يجوز أن يفقد الفاضل علماً يكون عند المفضول. كالخضر فهو -إن كان نبياً حسب رواية- ولكنه لم يكن من أولي العزم من الرسل ولكن وهبه الله من لدنه علماً لم يكن عند موسى عليه السلام. فلا حرج أن يتعلّم ذا المقام والوجاهة العلم من صغير المقام، فالعلماء لم تعلوا منازلهم إلا لما طلبوا العلم ممن علا منهم وممن كانوا دونهم وممن كان نظيرهم في العلم، فالمرء لن يصل إلى كمال العلم إلا إذا تلقى ممن فوّقه وممن كان تحته وممن ساواه في العلم.

اسلوب الجدل العلمي المنضبط:

وكذلك يتضح من حديث موسى والخضر جواز الجدل والمناظرة في مسائل العلم بين

الطالب والمدرس ما لم يكن الخلاف أو الجدل وسيلة لتنازع والتخاصم فلا يؤدي الى قسوة في القلب وبغض واحقان بين العالم والمتعلم. فقد تجادل ابن عباس مع الحر بن قيس في مسألة الخضر حول موسى هل كان موسى بني إسرائيل أم موسى آخر؟، وكان رأي الحر أنه لم يكن موسى بني اسرائيل ولم يكن من اتبعه هو الخضر ثانيا، الى أن تدخل أبي بن كعب في النقاش وحسم الموضوع بينهما.

أيضاً يدل حديث الخضر على مشروعية المناظرة. ودليل ذلك أنه كان يشكّل على الصحابة أموراً كثيرة فيسألون عنها ويراجعون ويناقشون. ولا حرج إذا أشكل أو أهدم على المرء أن يسأل من يفيد إفادةً دقيقة في قضيتته. ولكن يمنع السؤال بطريقة العناد واللجاج بهدف إجهاد المرء والضغط عليه وإيقاعه في قياسٍ فاسدٍ، أو السؤال في شيء لم يقع أصلاً، أو السؤال بهدف التسلية والرياء أو السؤال عن شيء يكره المرء الإجابة عنه.

الخروج لطلب العلم وابتغائه من مظانه:

كذلك نستفيد من أحاديث كتاب العلم فضيلة الخروج لطلب العلم. كما روى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه اشترى ناقهً وسافر بها شهراً سالماً طريقاً شاقاً من المدينة إلى الشام طلباً لحديث واحد يدركه من عبد الله بن أنيس. فلما وصل جابر لعبد الله بن أنيس قال له: لقد أخبرت أنك سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً فخفت أن تموت أو أموت ولا أسمع منك. حينها حدثه عبد الله بن أنيس هذا الحديث الذي يتكلم عن المظالم وأنه يجب أن يقتصر المظلوم من الظالم وهذا ما كان عليه الصحابة والسلف الصالح.

اسلوب إلقاء الدرس على المنصّات ووسائل النقل:

روى البخاري في «باب الفتيا وهو واقف على الدابة وغيرها» عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف في حجة الوداع بمي للناس يسألونه، فجاءه رجل فقال: لم أشعر فحلفت قبل أن أذبح؟ فقال: «اذبح ولا حرج» فجاء آخر فقال: لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي؟ قال: «ارم ولا حرج» فما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فديم ولا أجز إلا قال: «افعل ولا حرج»¹⁷.

ولأن من الحجيج من كان جاهلاً بأحكام الحج ولذلك قدم بعض وآخر أعمالاً على أعمالٍ

يقوم بها الحاج بعد القدوم من المزدلفة ومنها أربعة أشياء أولها رمي جمرة العقبة ثم ذبح الهدى وبعدها يخلق رأسه وثم يطوف بالبيت طواف الإفاضة. وقد اسلوب التعليم ضمن الإشارة بالرأس واليد:

روى البخارى فى باب: (مَنْ أَجَابَ الْفُتْيَا بِإِشَارَةِ الْيَدِ وَالرَّأْسِ) عَنْ أَسْمَاءَ، قَالَتْ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ وَهِيَ تُصَلِّي فَفُلْتُ: مَا شَأْنُ النَّاسِ؟ فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا النَّاسُ قِيَامٌ، فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، قُلْتُ: آيَةٌ؟ فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا: أَيْ نَعَمْ، فَفُتُّ حَتَّى تَجَلَّانِي الْعَشِيُّ، فَجَعَلْتُ أَصْبُ عَلَى رَأْسِي الْمَاءَ، فَحَمِدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: " مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ أَرِيْتُهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي، حَتَّى الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَأَوْجِي إِلَيَّ: أَنْكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ - مِثْلَ أَوْ - قَرِيبَ - لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، يُقَالُ مَا عَلِمْتُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أَوْ الْمُؤْمِنِ - لَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، فَأَجَبْنَا وَاتَّبَعْنَا، هُوَ مُحَمَّدٌ ثَلَاثًا، فَيُقَالُ: نَمَّ صَالِحًا قَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُوقِنًا بِهِ. وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوْ الْمُرْتَابُ - لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فُلْتُهُ " ¹⁸.

ففيه جواز الإشارة ولا كراهة فيها إذا كان لحاجة بشرط أن تفهم هذه الإشارة. وبناء على هذا تستعمل الإشارة المفهومة في الفتيا وفي القضاء أيضًا. وتارة تكون الإشارة مع الكلام وتارة من دونها. فمثلًا إذا كان الشخص بعيدًا اكتفى بالإشارة، وإذا كان قريبًا اكتفى بالكلام ولكن الكلام مع الإشارة أفضل للفهم. و يجوز أيضًا الفتيا بإشارة الرأس، كما أشارت عائشة بيدها عندما سألها سائل عن الكسوف وأيدها النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك. وقد كان يحصل هذا مرارا من النبي صلى الله عليه وسلم مما يدل على التنوع فى اساليب التعليم من جانبه.

اسلوب الاستفادة من الرسوم والتصميمات فى التعليم:

روى البخارى عن عبد الله ابن مسعود، قال: خَطَّ النَّبِيُّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسْطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خَطًّا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسْطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسْطِ، وَقَالَ: (هَذَا الْإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ، أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ، وَهَذَا الَّذِي خَارِجٌ أَمْلُهُ، وَهَذِهِ الْخُطُّطُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا).

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خَطًّا، وَقَالَ:

"هَذَا الْإِنْسَانُ، وَحَطَّ إِلَى جَانِبِهِ خَطًّا، وَقَالَ: هَذَا أَجَلُهُ، وَحَطَّ آخَرَ بَعِيداً مِنْهُ وَقَالَ: هَذَا الْأَمَلُ، فَبَيَّنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ الْخَطُّ الْأَقْرَبُ".¹⁹

قال ابن بطال في شرحه على البخاري: «مثل النبي (صلى الله عليه وسلم) في حديث ابن مسعود أمل ابن آدم وأجله وإعراض الدنيا التي لا تفارقه بالخطوط، فجعل أجله الخط المحيط، وجعل أمله وإعراضه خارجة من ذلك الخط، ومعلوم في العقول أن ذلك الخط المحيط به الذي هو أجله؛ أقرب إليه من الخطوط الخارجة منه وفي هذا تنبيه من النبي (صلى الله عليه وسلم) لأمته على تقصير الأمل، واستشعار الأجل خوف بغتة الأجل، ومن غيب عنه أجله فهو حري بتوقعه وانتظاره خشية هجومه عليه في حال غرة وغفلة، ونعوذ بالله من ذلك، فَلْيُرَضِ الْمُؤْمِنُ نَفْسَهُ عَلَى اسْتِشْعَارِ مَا نُبِئَ عَلَيْهِ، وَيَجَاهِدِ أَمَلَهُ وَهُوَ وَيَسْتَعِينُ بِاللَّهِ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ ابْنَ آدَمَ مَجْبُولٌ عَلَى الْأَمَلِ»²⁰

فهذين الحديثين وما يشابههما يدل على التنوع والتفنن في اساليب تعليم النبي صلى الله عليه وسلم مما يدل على التنوع في المنهج العلمي والدعوى له صلى الله عليه وسلم بحيث تشمل انماط التعليم الحديث واساليبه.

شمول التعليم كل الفئات دون النظر الى موقعهم الاجتماعي:

روى البخاري في باب «تَعْلِيمِ الرَّجُلِ أُمَّتَهُ وَأَهْلَهُ» عن ابى موسى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: تَمَّتْ ثَلَاثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَأَمَّنَ بِمُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وسلم)، وَالْعَبْدُ الْمَمْلُوكُ إِذَا أَدَّى حَقَّ اللَّهِ وَحَقَّ مَوْلِيهِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أُمَّةٌ يَطَاهَا فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا، فَلَهُ أَجْرَانِ - . ثُمَّ قَالَ الشَّعْبِيُّ: أَعْطَيْنَاكَهَا بِغَيْرِ شَيْءٍ، وَقَدْ كَانَ يُرَكَّبُ فِيهَا دُونَهَا إِلَى الْمَدِينَةِ»²¹.

معنى ذلك أن من جمع في كل عملٍ معنيين وعمليين كان أجره في كل عملٍ ضعفين.

فنستفيد من هذا لزوم تعميم التعليم في منهج النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يشمل كل الفئات الاجتماعية. ولا يستثنى اى احد من حقه في كسب المعلومة لمركزه الاجتماعي او طبقة او موقعه الاقتصادي.

اسلوب التعليم الخاص للنساء وتجنب الاختلاط في التعليم:

روى البخاري في (باب عِظَةِ الْإِمَامِ النِّسَاءِ وَتَعْلِيمِهِنَّ) عن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَوْ قَالَ عَطَاءٌ: أَشْهَدُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «خَرَجَ وَمَعَهُ بِلَالٌ، فَظَنَّ أَنَّهُ لَمْ يُسْمَعْ فَوَعَّظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ بِالصَّدَقَةِ، فَجَعَلَتِ الْمَرْأَةُ

تُلَقِي الْقُرْطَ وَالْحَاتَمَ وَبِلَالٌ يَأْخُذُ فِي طَرْفِ تَوْبِهِ» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: وَقَالَ: إِسْمَاعِيلُ عَنْ أَبِي يُوْبَ عَنْ عَطَاءٍ وَقَالَ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَشْهَدُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.²²

قَالَ التَّوَوِي: فِيهِ اسْتِحْبَابٌ وَعِظُ النِّسَاءِ وَتَذْكَيرُهُنَّ الْآخِرَةَ وَأَحْكَامُ الْإِسْلَامِ. وَإِذَا كَانَ الْجَمْعُ مِنَ الْكَثْرَةِ وَالتَّنَوُّعِ بِحَيْثُ يَتَعَذَّرُ إِيْصَالُ الصَّوْتِ إِلَى الْكُلِّ فَيَلْزَمُ حِينَئِذٍ اخْتِصَاصُ فِتْنَةٍ بِالتَّعْلِيمِ خُصُوصًا إِذَا كَانَ مِثْلُ هَذِهِ الْفِتْنَةِ مِنَ النِّسَاءِ. لِأَنَّ الْإِسْلَامَ يَمْنَعُ الْإِخْتِلَاطَ بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فِي الْاَوْسَاطِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَخُصُوصًا حَقْلَ التَّعْلِيمِ. وَأَمَّا إِذَا كَانَ صَوْتُ الْمُعَلِّمِ يَصِلُ إِلَى كُلِّ الْحَاضِرِينَ عَنْ طَرِيقِ مَكْبَرَاتِ الصَّوْتِ وَمَوْجَاتِ الْإِفْءِ وَمِنْ خِلَالِ الشَّاشَاتِ فِي الصَّفِّ فَلَا حَاجَةَ حِينَئِذٍ بِتَخْصِيصِ صَفِّ لِلنِّسَاءِ. وَلَكِنْ إِذَا نَفَعْنَا ذَلِكَ تَأْسِيًّا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَذَا لَهُ مَبْرَرٌ شَرْعِيٌّ.

وهذا الحديث أساسٌ لمشروعية خروج النساء في مجالس العلم وسماع الموعدة بشرط أن تأمن على نفسها وغيرها الفتنة.

النهي عن السطحية في امر الرواية والتعليم:

من المعلوم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذّر في أحاديث كثيرة عن خطورة رواية الحديث. ومضى الصحابة وأئمة التابعين على النهج ذاته، ولاسيما أن زمنهم عرف ظهور البدع وانتشار النحل، وفشو الوضع. وفي زمن صغار الأتباع وأتباعهم ألفت الكتب وجمعت السنة كما هو مقرر في غير هذا الموضوع. ولا شك أن كثيراً من الأحاديث قد يتعرّض الراوي فيها للخطأ ظناً منه أنه على الصواب، فالمخاف منه أن الرواة ربما يقعون في الخطأ غفلةً أو سهواً، وإذا أخطأ الراوي الثقة في رواية سيتلقى الناس روايته بالقبول وسوف تعتمد روايته في استنباط الأحكام الشرعية، فتصير الرواية المغلوطة سبباً للعمل بحكم لم يشرع أصلاً. فإذا أخطأ الراوي في الرواية وهو حافظ فلا لوم عليه، إنما اللوم على الذي ساء حفظه أو كان حفظه ضعيفاً ولكنه برغم ذلك يروى عن عمدا مرويات كثر ينتج عنها اللغط والاختلاط ويؤدي الى نتائج غير مضمونة عواقبها اصلاً.

وهنا يطرح سؤال أنه بعد علمنا بخطورة رواية العلم الى هذا الحد فلم تعددت وكثرت روايات الصحابة رضي الله عنهم؟ والجواب أن الصحابة كانوا يزوون وعندهم يقين بقوة حفظهم وضبطهم. وبعضهم ربما قد طال عمرهم والم الناس بهم في حاجاتهم ومناسباتهم وقضايا طارئة عليهم ومن الطبيعي أنه إذا سئل أحدهم فلا بد أن يجيب ولا

يكتّم العلم. فلاجل ذلك اضْطُروا الى الرواية. مثال ذلك أنس ابن مالك فإنه من الصحابة الذين قد طالت اعمارهم وكان لديه أحاديثٌ ليست عند غيره فكان لا بد له من بيان العلم وعدم كتمانها.

ونكتفي هنا ببيان طريقة كبار الصحابة رضی الله عنهم في مدى احتياطهم وتشددهم في رواية الحديث:

قال الذهبي في شرح حال أبو بكرٍ: هو أول من احتاط في رواية الحديث، وفي ترجمة عمر قال: هو من سنّ التحقيق والسؤال والتدقيق في نقل الروايات من الصحابة. ونقل عن عليّ أنه قال: إذا سمعت حديثاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح الله عليّ أن أستفيد وأعمل به، وإذا حدثني غيره لم أصدقه إلا إذا استخلفته فإذا حلف صدقته، عدى الصديق فإذا يحدثني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدقه (لأنني أعرف أنه أمينٌ صادقٌ فلا حاجة لي أن أستخلفه) ثم نقل عليّ حديث أبي بكرٍ.

يقول عبد الرحمن بن أبي ليلى: قلت لزيد بن أرقم حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأجاب قد قدمنا ستاً وساء حفظنا والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعبٌ وثقيلٌ.

فعلمنا أن مبدأ التثبت في قبول الأخبار وطلب المتابع والشاهد ليس بدعاً من القول، بل هو قديم العهد، إذ يبدأ منذ وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقد نقلت إلينا أخبار كثيرة تبين هذه الحقيقة.²³

اسلوب السمر بالعلم والتعليم بالليل:

روى البخارى في (باب السمر في العلم) عن سالم وأبي بكر بن سليمان بن أبي حنمة أن عبد الله بن عمر قال: صلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم العشاء في آخر حياته، فلما سلم قام فقال: «أرأيتكم ليلتكم هذه، فإن رأس مائة سنة منها، لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد».²⁴

وقد أخرج البخاري، فيما انفرد به عن أبي برة الأسلمي: أن رسول الله عليه الصلاة والسلام كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها. قال العلامة بدر الدين العيني في شرحه على البخاري ما ملخصه: «هذا يدل على المنع مطلقاً، والحديث الذي نحن فيه يدل على جواز السمر في العلم والخير، فنخص العموم فيما عداهما. وأما ما عدا ذلك

فَدَهَبَ الْأَكْثَرُ إِلَى كَرَاهَتِهِ، مِنْهُمْ أَبُوهُرَيْرَةَ وَابْنَ عَبَّاسٍ وَكَتَبَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ لَا يَنَامَ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّمَهَا فَمَنْ نَامَ فَلَا نَامَتْ عَيْنُهُ. وَهُوَ قَوْلُ عَطَاءٍ وَطَاوُسٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَقَوْلُ مُجَاهِدٍ وَمَالِكٍ وَالْكَوْفِيِّينَ وَالشَّافِعِيِّ وَرَخَّصَ طَائِفَةٌ فِيهِ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ رُبَّمَا غَفَى قَبْلَ الْعِشَاءِ وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَنَامُ وَيُوكَلُ مِنْ يَوْقِظُهُ وَعَنْ أَبِي مُوسَى مِثْلَهُ وَعَنْ عُرْوَةَ وَابْنِ سِيرِينَ أَنَّهَا كَانَا يَنَامَانِ نَوْمَةَ قَبْلِ الْعِشَاءِ وَاحْتِجَّ لَهُمْ بِأَنَّ الْكَرَاهَةَ إِنَّمَا كَرِهَتْ لِمَنْ خَشِيَ عَلَيْهِ تَفْوِيتَهَا، أَوْ تَفْوِيتِ الْجَمَاعَةِ فِيهَا. وَقَالَ ابْنُ بَطَالٍ: اخْتَلَفَ قَوْلُ مَالِكٍ، فَقَالَ مَرَّةً: الصَّلَاةُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَذَاكِرَةِ الْفُقَهَاءِ. وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: الْعِنَايَةُ بِالْعِلْمِ، إِذَا صَحَّتِ النَّيَّةُ، أَفْضَلُ. وَقَالَ سَخْنُونٌ: يَلْتَزِمُ أَنْفَلُهُمَا عَلَيْهِ»²⁵.

نتائج البحث:

من خلال البحث ومناقشة محاوره الرئيسية نستنتج الآتي:

- إنَّ العِلْمَ يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ أَوْلَاهَا مَعْرِفَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَأَسْمَاءُهُ وَصِفَاتُهُ وَأَفْعَالُهُ وَأَنَّ هَذَا الْعِلْمَ هُوَ أَشْرَفُ الْعُلُومِ وَارْفَعُهَا وَأَنَّهُ مَقْتَطَفٌ مِنَ الرِّسَالَاتِ الْإِلَهِيَّةِ. ثَانِيهَا الْعِلْمُ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْأَمْرِ وَالنَّوَاهِي الَّتِي نَهَايَةُ مَطَافِهَا الْوَصُولُ إِلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى. وَثَالِثُهَا مَعْرِفَةُ حَالِ الْإِنْسَانِ وَمَالِهِ وَحِسَابِهِ عِنْدَ رَبِّهِ تَعَالَى فِي الْآخِرَةِ.
- إِنَّ النَّاسَ يَنْقَسِمُونَ فِي تَحْصِيلِ الْعِلْمِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: أَوْلَاهُمْ عَالِمٌ عَامِلٌ نَافِعٌ غَيْرُهُ. وَثَانِيهِمْ عَالِمٌ لَمْ يَعْمَلْ لِنَفْسِهِ وَيَنْفَعُ غَيْرَهُ. وَثَالِثُهُمْ عَالِمٌ لَمْ يَعْمَلْ لِنَفْسِهِ وَلَمْ يَنْفَعْ غَيْرَهُ.
- الْحِكْمَةُ تَتَفَاوَتُ مَعْنَاهَا مِنَ الْعِلْمِ وَلَهَا مَفَاهِيمُهَا وَصَادِقُهَا الَّتِي نَتَعَرَّفُ عَلَيْهَا خِلَالَ هَذَا الْبَحْثِ.
- تَعَرَّفْنَا عَلَى أَنْوَاعِ الْأَسَالِيبِ وَالْمَنَاهِجِ التَّعْلِيمِيَّةِ الَّتِي اسْتُخْدِمَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتَعْلِيمِ النَّاسِ وَإِرْشَادِهِمْ مِنْهَا
- الْحِكْمَةُ وَمَفْهُومُهَا فِي الْإِصْطِلَاحِ الشَّرْعِيِّ
- مَنَهِجُ اخْتِبَارِ الطَّلِبَةِ وَتَحْفِيزِهِمْ عَلَى الْبَحْثِ
- تَأْجِيلُ الْمُعَلِّمِ الْإِجَابَةَ لِسَبَبٍ أَوْ أُخْرَى
- الْمَرَاجَعَةُ وَاعَادَةُ السُّؤَالِ

- التركيز على الإسماع وترسيخ المعانى
 - استنساخ الكتب والمذكرات لتعميم الإفادة
 - مراعاة التسوية بين التلاميذ فى المكان لا المكانة
 - مراعاة التسوية بين التلاميذ فى المكان لا المكانة
 - ضرورة اىصال العلم من الحاضرين فى مجالس العلم للغائبين
 - تقديم العلم على العمل
 - تنشيط الطالب وتحفيزه للعلم
 - التهي عن الإغترار بالعلم
 - الفرح بتحصيل العلم والاعتباط فيه
 - اختصاص فئات معين من الناس با التعليم
 - التعلّم بالمشاركة
 - الجدل العلمى المنضبط
 - الخروج لطلب العلم وابتغائه من مظانه
 - إلقاء الدرس فى مختلف الظروف وعلى المنصّات و وسائل النقل
 - اسلوب التّعليم ضمن الإشارة بالرأس واليد
 - اسلوب الاستفاده من الرّسوم والتّصميمات فى التعليم
 - شمول التعليم كل الفئات دون النظر الى موقعهم الاجتماعى
 - التعليم الخاص للنساء وتجنّب الاختلاط فى التعليم
 - النهي عن السطحية فى امر الرواية والتعليم
 - السمر بالعلم واسلوب التعليم با الليل
- هذا وكل ما طرحناه فى هذا البحث مستنبط من كتاب العلم من صحيح البخارى.

مأخذ البحث:

- 1- القرآن الكريم.
- 2- ابن بطال مالكي، ابو الحسن، على بن خلف بن عبد الملك. (ب. ت). شرح صحيح البخاري: دار الكتب العلمية.
- 3- ابن منظور، امام محمد بن مكرم المعروف. (1416) هـ. لسان العرب. الطبعة الأولى، بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي.
- 4- أحمدي المصري الشافعي، الشيخ أبي البقاء، محمد بن علي بن خلف. (ب. ت). شرح صحيح البخاري. بيروت، لبنان. دار الكتب العلمية.
- 5- إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي. (ب. ت). الفيض الجارى لشرح صحيح البخاري: تاج كمپنى لاهور پاكستان.
- 6- بخاري، امام أبي عبد الله، محمد بن إسماعيل. (1407) هـ. صحيح البخاري. (مع فتح الباري). الطبعة الأولى، القاهرة، مصر: دار الريان للتراث.
- 7- برنامج المكتبة الشاملة. المكتب التعاوني للدعوة بالروضة. المملكة العربية السعودية.
- 8- بلبيسي، القاضي مجد الدين، اسماعيل بن ابراهيم. (ب. ت). شرح صحيح البخاري: مصر، القاهرة. دار الرسالة.
- 9- ترمذي، امام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة. (ب. ت). سنن الترمذي. مكة المكرمة، السعودية: المكتبة التجارية.
- 10- خطابي، محمد بن محمد. (ب. ت). أعلام السنن. بيروت، لبنان: المكتب الإسلامي.
- 11- دارمي، امام دبي محمد، عبد الله بن عبد الرحمن. (1412) هـ. سنن الدارمي. الطبعة الأولى، دمشق، سورية: دار القلم.
- 12- سجستاني، امام أبي داود، سليمان بن اشعث. (ب. ت). سنن أبي داود. حمص، سورية: دار الحديث.
- 13- شافعي الحنبلي، محمد بن محمد بن محمد بن موسى. (ب. ت). تيسير منهل القارى في تفسير مشكل البخاري. بيروت، لبنان: دار الكتاب العلمية.
- 14- عتر، دكتور نور الدين. (1401) هـ. منهج النقد في علوم الحديث. الطبعة الثالثة، دمشق سورية.

- 15- عسقلاني الشافعي، امام احمد بن على بن حجر. (2003م). فتح الباري بشرح صحيح البخاري. بيروت، لبنان: المكتب الإسلامي .
- 16- عيني الحنفي، امام محمد بن احمد بن موسى. (ب. ت). عمدة القارى شرح صحيح البخاري . بيروت، لبنان: المكتب الإسلامي .
- 17- فيروز ابادي، علامه مجد الدين، محمد بن يعقوب. (1407) هـ. القاموس المحيط. الطبعة الثانية، بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة.
- 18- قزويني، امام أبى عبدالله، محمد بن يزيد . (1414) هـ. سنن ابن ماجة. القاهرة، مصر: دار الحديث.
- 19- قسطلاني المصرى الشافعي، الإمام شهاب الدين، أحمد بن محمد الخطيب. (ب. ت). إرشاد السارى شرح صحيح البخاري. بيروت، لبنان: المكتب الإسلامي .
- 20- محمد بن عبدالله بن مالك. (2001) م. شواهد التواضیح والتصحیح لمشكلات الجامع الصحيح. بيروت، لبنان: المكتب الإسلامي .
- 21- ملقن، عمر بن على بن . (ب. ت). التوضيح شرح الجامع الصحيح. دمشق، سورية: دار الخير.
- 22- نسائي، امام أبى عبدالرحمن، أحمد بن شعيب بن على . (1409) هـ. سنن النسائي. الطبعة الثالثة، بيروت، لبنان: دار البشائر الإسلامية.
- 23- نووي، امام معى الدين، زكريا يحيى بن شرف. (1414) هـ. المنهاج فى شرح صحيح مسلم بن الحجاج. الطبعة الأولى، دمشق، سورية: دار الخير.

الهوامش

1- الفقه الاكبر للامام ابوحنيفة . المكتبة الشاملة/82

1- المكتبة الشاملة: 9/3

³- اخرجه مسلم فى مقدمة صحيحه: 12 والترمذى فى العلل آخر الجامع. وابن حبان فى مطلع كتاب المجروحين: 18، والخطيب البغدادي فى شرف أصحاب الحديث: 41. واللفظ للترمذى.

⁴- منهج النقد فى علوم الحديث المؤلف: الدكتور نور الدين عتر الناشر: دار الفكر، دمشق - سورية الطبعة: الثالثة، 1401 هـ- 1981 م

⁵- فيض الباري على صحيح البخاري المؤلف: (أمالي) محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثم الديوبندي (المتوفى: 1353هـ) المحقق: محمد بدر عالم الميرتهبي، أستاذ الحديث بالجامعة الإسلامية

بداهيل (جمع الأمالي وحررها ووضع حاشية البدر الساري إلى فيض الباري) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م عدد الأجزاء: 6 [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع].

⁶ - صحيح البخارى، باب الفهم في العلم . أطرافه 61، 62، 131، 2209، 4698، 5444، 5448، 6122، 6144.

⁷ - ¹ (51/1) [4655، 6171، 6172]. [أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب إثبات الحساب رقم 2876].

⁸ - [60].

⁹ - (36/1) [أخرجه مسلم في السلام باب من أتى مجلسا فوجد فرجة فجلس فيها رقم 2176].

¹⁰ - (37/1) [105، 1654، 3025، 4144، 4385، 5230، 6667، 7009].

¹ - أخرجه أبوداود - واللفظ له - في كتاب العلم ، باب فضل نشر العلم 3/322 ح 3660 ، والترمذي في كتاب العلم ، باب ماجاء في الحث على تبليغ السماع 5/34 ح 2657 ، وابن ماجه في المقدمة ، باب من بلغ علماً 1/84 ح 230 ، والدارمي في المقدمة ، باب الإقتداء بالعلماء 1/86 ح 229 ، وأحمد 5/183 ح 21630 كلهم عن زيد بن ثابت ، نحوه.

¹² - (39/1) [68]. [أخرجه مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم باب الاقتصاد في الموعظة رقم: 2821].

¹³ - (39/1) [2948، 3442، 6882، 7022]. [أخرجه مسلم في الزكاة باب النبي عن المسألة رقم 1037].

¹⁴ - (39/1) [1343، 6722، 6886]. [أخرجه مسلم في صلاة المسافرين باب من يقوم بالقرآن ويعلمه رقم 816].

¹⁵ - المكتبة الشاملة/ شرح ابن بطال/1-158

¹⁶ - (46/1) [2336، 4629، 4631، 4895، 4920، 5505، 6829، 6835].

¹⁷ - (43/1) [124، 1649 - 1651، 6288]. [أخرجه مسلم في الحج باب من حلق قبل النحر أو نحر قبل الرمي رقم 1306].

¹⁸ - (44/1) [182، 880، 1005، 1006، 1012، 1178، 2383، 2384، 6857، وانظر 712].

[أخرجه مسلم في الكسوف باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف رقم 905].

¹⁹ - أخرجه البخاري في "صحيحه" رقم (6418). والترمذي في "السنن" رقم (2334) وأخرجه ابن ماجه رقم (4232)، وهو حديث صحيح.

²⁰ - كتاب: شرح صحيح البخارى لابن بطال المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: 449هـ)

تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض الطبعة: الثانية،
1423هـ - 2003م

عدد الأجزاء: 10

²¹- المرجع السابق.

²²- (49/1) [825، 921، 932، 936، 945، 1364، 1381، 4613، 4951، 5541، 5542، 5544،

6894]. [أخرجه مسلم في أول العيدين وفي باب ترك الصلاة قبل العيد وبعدها رقم 884].

²³- (3) تذكرة الحفاظ ½- انظرايضاً: كشف اللثام لعبدالموجود بن عبداللطيف 1/142 - أصول

التخريج ص 13.

²⁴- [أخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب قوله ﷺ لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض ... رقم 2537].

[576، 539].

²⁵- فقه صحيح البخارى معتمدا على عمدة القارى. تأليف الباحث. ج/1-ص 91

دعائم الأداء اللوجستي للمحكم وأثره في حكم التحكيم

إعداد:

الدكتور / مصطفى السيد عطية

المحامي بالنقض والدستورية العليا، رئيس مركز البحر المتوسط للتحكيم الدولي سابقاً
مدرس القانون بجامعة مينيسوتا الأمريكية فرع السنغال، المحاضر بجامعة الأمانة بدولة غامبيا
ملخص البحث:

يدور البحث حول المحكم، لما له من أهمية لوجستية في حكم التحكيم، لأنه العنصر
البشري الرئيسي الذي يقوم عليه حكم التحكيم، سواء كان هذا التحكيم فردياً، أو
مؤسسياً.

فالمحكم مُدخل لوجستي رئيسي في حكم التحكيم. ولذلك كان هذا البحث في دعائم
الأداء اللوجستي للمُحكم، ولهيئة التحكيم.

فاشتمل البحث على التأهيل العلمي للمحكم والدعم الفني والنفسي، وبحثنا فيه أيضاً
أهلية المحكم المدنية والجنائية، واستقلاله من أجل إبعاد أية شبهة حول حيده. وأيضاً
تضمن هذا البحث رد المحكم وإجراءاته وأثار طلب الرد على حكم التحكيم. وكل ذلك
يعد بمثابة ضمانات لوجستية لحكم التحكيم.

كلمات افتتاحية:

المحكم، لوجستيات المحكم، رد المحكم.

Research Summary:

The research revolves around the arbitrator, because of his logistical importance in the arbitration award, because he is the main human element in the arbitration decision based, whether this arbitration is individual or institutional.

The arbitrator is a major logistical input in the arbitral award. Therefore, this research was in the pillars of the logistical performance of the arbitrator and the arbitral tribunal.

The research included the academic qualification of the arbitrator and technical and psychological support, and we examined the civil and criminal eligibility of the arbitrator, and his independence in order to remove any suspicion about his impartiality. In addition, research included the arbitrator's response, its procedures, and the effects of the response request on the arbitral award. All of this is a logistical guarantee for the arbitral award.

Introductory words: The arbitrator, the logistics of the arbitrator, the arbitrator's response.

مقدمة**موضوع البحث:**

لا شك أن العدالة يتعين أن تكون كاملة غير منقوصة، كما يتعين أن تكون ناجزة غير بطيئة؛ فيتحقق الغرض منها، وينعم بها الفرد بالحماية القانونية التي يأمن فيها على نفسه وماله، ويتحقق معه الاستقرار للمجتمع، وكم قيل إن العدالة البطيئة مرادفة للظلم. ومن هنا يرى كثير من المتخصصين أن غياب العدالة سبب رئيسي فيما القاضي، فهم يرون أن كثيرًا من القضاة تواجههم صعوبات جمة لمنح الحماية القانونية المطلوبة وسط ازدحام الكم الهائل من القضايا، ويرى آخرون أن هناك أسبابًا أخرى.

وفتح ذلك المجال إلى طريق آخر لإنهاء النزاع لبعض الأنواع من القضايا، ألا وهو التحكيم، لكونه مكنة قررها القانون للأفراد تخول لهم الاتفاق على إحالة ما ينشأ، أو نشأ بينهم بالفعل من نزاع على واحد أو أكثر من الأفراد يسمون محكمين؛ للفصل في النزاع المذكور بدلًا من أن يفصل فيه القضاء.

وأن الغرض من ذلك هو تحقيق التميز اللوجستي، والبعد عن التعقيدات الإجرائية التي تعترى نظم التقاضي أمام المحاكم حتى نصل في النهاية إلى حكم في أقل زمن ممكن، وبأقل تكلفة، ومحققًا لمتطلبات المتقاضين من جودة تحقيق العدالة

إلا أن حكم التحكيم كثيرًا ما يصيبه عور كثير يرجع معظمه إلى عدم تأهيل المحكم، وعدم إلمامه بالقواعد الإجرائية الواجب عليه اتباعها إضافة إلى ميل المحكم لمن اختاره وسدد له أجرته؛ يجعله ينسى أنه قاض بأجر عند نظر القضية التحكيمية، وتم اختياره ليس لكي يحكم لمن اختاره ولكن لكونه على علم وبصيرة يستطيع ان يتتبع مناط الحقيقة، ويظهرها في حكمه.

ويترتب على ذلك أن الكثير من أحكام التحكيم لم تذيّل بالصيغة التنفيذية لأسباب كثيرة أهمها في الواقع عدم الاطمئنان لحكم التحكيم برمته، فيختلق القاضي سببًا لرفضه. وهنا بلا شك ينتفي الغرض اللوجستي من نظام التحكيم وهو اختصار الوقت والإجراءات والنفقات في الحصول على محاكمة عادلة.

هدف البحث:

هو الوصول الى حلول واقعية وقانونية ذات ضمانات لوجستية تضمن سلامة حكم التحكيم والاطمئنان إليه من واقع المدخل اللوجستي البشري الرئيسي في حكم التحكيم ألا وهو المحكم وهيئة التحكيم.

أهمية البحث: لهذا البحث أهميتين، الأولى أهمية نظرية، والثانية أهمية عملية على

التفصيل التالي:

الأهمية النظرية:

تكمن في التوصل إلى الدعائم اللوجستية المساعدة الواجب توافرها في حكم التحكيم، بداية من المحكم وتأهيله، وهيئة التحكيم وتشكيلها، وحتى صدور حكم التحكيم، بما يحافظ على فاعلية التحكيم وتميزه اللوجستي المنشود كبديل للقضاء، ويكفل للأفراد خصومة ميسرة بعيدة عن التعقيدات الإجرائية، وتحقق لهم العدالة المنشودة في الوقت الملائم، وبالتكلفة المناسبة.

الأهمية العملية:

تكمن في العمل على احترام أحكام التحكيم ووضعها موضع التنفيذ، وهذا لا يتأتى إلا إذا اطمأنت جميع الأطراف إلى نزاهة وحيدة وعلم هيئة التحكيم. ولما كان المحكم هو المدخل الرئيسي في حكم التحكيم، وأنه شأن غيره من البشر، عرضة للخطأ والصواب، أو الميل أو السهو؛ مما يجب أن تتوافر له الدعائم اللوجستية اللازمة لضمان سلامة ونزاهة حكم التحكيم.

مشكلة البحث وصعوباته:

تكمن المشكلة في البحث عن دعائم لوجستية في تشكيل هيئة التحكيم ككيان مستقل، ودعائم لوجستية للمحكم كشخص طبيعي تضمن حيده وعلمه وفهمه ونزاهته؛ تؤدي إلى اطمئنان القاضي عندما يأمر بتذيل الحكم بالصيغة التنفيذية.

وتكمن الصعوبات في عشوائية عمل مهنة التحكيم، وقصور النصوص القانونية في تقنين عمل المحكمين، ومراكز التحكيم، وإجراءات الترخيص بمزاولة مهنة التحكيم، وعجزها عن إجازة عمل المحكمين، أو مراكز التحكيم إلى جهة معينة.

منهج البحث:

آثرنا أن نتخذ من المنهج الوصفي التحليلي عمودًا فقريًا في البحث، وإن كانت بعض نقاط البحث غلب عليها المنهج التأصيلي.

خطة البحث:

قسمنا هذا البحث إلى فصلين اثنين يسبقهما فصل تمهيدي، ويعقبهما خاتمة على النحو التالي:

الفصل التمهيدي: التحكيم كنشاط لوجستي مساعد للقضاء:

وسوف نبحت فيه المقصود باللوجستيك في مبحث أول، ثم نبحت في التحكيم كبديل لوجستي للقضاء في مبحث ثان.

الفصل الأول: المحكم كمُدخل لوجستي رئيسي في حكم التحكيم:

وذلك لما له من أهمية لوجستية في حكم التحكيم، لأنه يُبنى على المحكم كفرد وعلى تشكيل هيئة التحكيم كهيئة متعاونة، فكلما أحسن اختيار أعضائها كان ناتجها وهو حكم التحكيم على أفضل ما يكون.

وهنا نجد الضرورة الملحة والحاجة إلى الدعم اللوجستي لهذه الهيئة، وتتمثل صور الدعم اللوجستي للمحكم وهيئة التحكيم في التأهيل العلمي والفني والنفسي، بما يجعل حكم التحكيم ناتج عن خبرة وحيدة وفكر صحيح يعبر عن الحقيقة بحق، ويكون له أثر لوجستي مباشر على حكم التحكيم.

ثم نبحت بعد ذلك في أهلية المحكم واستقلاله كأحد الدعامات اللوجستية في حكم التحكيم، وسوف نبحت فيه إفصاح المحكم عما يثير أي شكوك حول استقلاله أو حيديته كضمانة لوجستية هامة في حكم التحكيم، واستقلال المحكم عن القضاء، وأخيرًا نبحت في أهلية المحكم وأثرها في حكم التحكيم.

الفصل الثاني: رد المحكم كضمانة لوجستية في حكم التحكيم:

ونتناول فيه أسباب الرد وضوابطه وإجراءاته، والجهة المختصة به وأثر طلب الرد على سير الخصومة ثم أثره اللوجستي على حكم التحكيم ثم ننهي الفصل ببيان عما إذا كانت تقبل دعوى الرد إذا ظهرت أحد أسباب الرد بعد صدور حكم التحكيم أم توجد دعوى أخرى.

وأخيرًا الخاتمة:

نوضح فيها أنماط حكم التحكيم من حيث كونه تحكيمًا حرًا أو مؤسسيًا والدعائم اللوجستية لكل نمط من الأنماط وأي النمطين أفضل كداعم لوجستي لحكم التحكيم، وفي كيفية اعتماد المحكم وهيئة التحكيم في الوقت الحالي، وفيما هو مقترح في البحث من طرق ووسائل جديدة للاعتماد تكون بمثابة دعمًا لوجستيا مساعداً لسلامة ونزاهة حكم التحكيم.

وكي لا يقع المحكم فيما وقع فيه القضاء من غياب للعدالة الناجزة ولكي يكون حكم التحكيم هو عنوانًا حقًا للحقيقة لزم الأمر أن يدعم أداء المحكم ببعض الدعائم اللوجستية بما يجعل عمله ذو تميز منشود.

الفصل التمهيدي

التحكيم كمنشأ لوجستي مساعد

تمهيد وتقسيم:

لا شك أن التحكيم أصبح ضرورة عصرية ويلزم لتلك الضرورة توافر خبرة في مجال التحكيم، هذه الضرورة لمجاهاة البطء في التقاضي وعدم فاعلية الأحكام القضائية، فهاتان ظاهرتان خطيرتان تهددان العدالة، بل لا نغالي في القول إذ قلنا إنهما مجردان حق التقاضي الذي يكفله الدستور من كل قيمة له.

ولذلك أصبح التحكيم هو أهم البدائل اللوجستية لمشكلة تكديس القضايا وبطء التقاضي وعدم فاعلية الأحكام، وقصورها عن الاستجابة لمتطلبات التجارة الداخلية والخارجية على السواء.

ومن أجل ذلك حرصت التشريعات المختلفة ومن بينها قانون التحكيم المصري، وكذلك لوائح ومراكز ومؤسسات وغرف التحكيم على تنظيم العديد من الضمانات للخصوم في مواجهة محكمهم في محاولة لضمان توفير حد أدنى من حيادهم واستقلالهم عن طرفي النزاع الذين اختاروهم ودفَعوا رواتبهم، حتى يثمر التحكيم ويكشف عن الحقيقة المجردة من أي ميل أو هوى لصالح هذا الخصم أو ذاك.

بل أن من الضمانات اللوجستية ما لا يحتاج إلى نص يقررها أو اتفاق الخصوم على إلزام محكمهم بها أو عدم اتفاقهم على ذلك، أيًا كان نوع التحكيم؛ لأنها تفرض نفسها بحكم

البديهية، باعتبارها مفترض ضروري لإقامة العدالة، يؤدي إغفالها وعدم مراعاتها إلى بطلان حكم التحكيم كعدم المساواة بين الخصوم، وعدم احترام حقوق الدفاع.⁽¹⁾ وكذلك لا بأس من اقتباس مصطلح "لوجستي" من مجال الحرب والاقتصاد إلى مجال العلوم الاجتماعية، ومن هذه العلوم علم القانون بما فيه من تقاضي وتحكيم، للوقوف على العملية اللوجستية في حسن تنظيم إداريات التقاضي وتذليل العقبات التي تحول دون سرعة الفصل في الدعاوى، ومنح المتقاضي الصورة المثلى في محاكمة عادلة وبأقل تكلفة.⁽²⁾ وسوف نتناول هذا الفصل التمهيدي بإيجاز غير مخل في مبحثين هما:

المبحث الأول: المقصود باللوجستيك.

المبحث الثاني: التحكيم كبديل لوجستي في التقاضي.

المبحث الأول

المقصود باللوجستيك

اللوجستيك -اصطلاحًا- هو لفظ ذو دلالة شاملة حيث كان يقصد به " فن نقل الجنود وإيوائهم، وتموينهم"، أي إدارة تدفقات الأفراد والموارد لدعم المجهود الحربي عن طريق نقل الجنود والعتاد والمؤن والذخائر من المعسكرات والمستودعات - في مناطق عسكرية معينة إلى ميادين القتال في مواقع أخرى بعيدة - وذلك في أقصر وقت ممكن، وبأقل تكلفة ممكنة.⁽³⁾

ولقد رأى علماء الاقتصاد وإدارة الأعمال تطوير هذا المصطلح على المجالات الاقتصادية المتعددة، واعتباره فنًا من فنون إدارة الأعمال ذات الأثر الاقتصادي البالغ، ثم انتشر اصطلاح اللوجستيات في مجالات مختلفة. ومن ثم فلا بأس من اقتباس الاصطلاح في مجال التقاضي إذا كان المقصود منه بيان مُدخلات ومُخرجات العملية اللوجستية في مجال التقاضي بقصد الوقوف على تلك العناصر التي تؤدي إلى تيسير التقاضي على أعلى مستوى أداء، وبأقل تكلفة، وفي الوقت المناسب، والمكان المناسب.

فالاقتباس هنا هو من قبيل الاقتباس المحمود الغرض منه حسن تنظيم إداريات التقاضي وتذليل العقبات التي تحول دون سرعة الفصل في الدعاوى، ومنح المتقاضي الصورة المثلى في محاكمة عادلة، وقد بات الفصل في المنازعات في العصر الحديث على صورتين في الأغلب الأعم هما:

الصورة الأولى:

هي التقاضي عن طريق قضاء الحكم بالدولة. وحل المنازعة عن طريق قضاء الحكم بالدولة مميز لوجستي في التقاضي لما للفرد من حق في الحصول على محاكمة عادلة تحفظ له كرامته.

الصورة الثانية:

هي اللجوء إلى التحكيم كبديل يمكن القول بأنه بديل لوجستي عن التقاضي الرئيسي بالمحاكم. ففي التحكيم مُكنة قررها القانون للأفراد تخول لهم الاتفاق على ما ينشأ بينهم من نزاع بخصوص تنفيذ عقد معين أو على إحالة أي نزاع نشأ بينهم بالفعل على واحد أو أكثر يسمون محكمين بهدف المرونة في الحصول على الحق.

إلا أن هذه المرونة ليست على إطلاقها، بل هي محاطة بحد أدنى من الضمانات يعبر عنها بالضمانات اللوجستية في حكم التحكيم.

ومن هنا إذا كان القضاء مميزاً لوجستياً رئيسياً في منظومة العدالة؛ فالتحكيم هو مميزاً لوجستياً مساعداً للقضاء في هذه المنظومة. ولكي نحقق التميز اللوجستي لنتاج التحكيم - وهو حكم التحكيم - يلزم بنا أن نضع في بؤرة الاهتمام كافة الدعائم اللوجستية المساعدة لحكم التحكيم وجاء على رأس هذه الدعائم المُحكم وهيئة التحكيم كمدخل لوجستي رئيسي في حكم التحكيم.

المبحث الثاني

التحكيم كبديل لوجستي عن التقاضي

سوف نتناول هذا المبحث في مطلبين، نخصص المطلب الأول في التعريف بالتحكيم كبديل لوجستي عن التقاضي وفي المطلب الثاني نخصصه للأهمية اللوجستية للتحكيم على التفصيل الآتي:

المطلب الأول

التعريف بالتحكيم كبديل لوجستي

التحكيم مُكنة قررها القانون للأفراد تخول لهم الاتفاق على إحالة ما ينشأ بينهم من نزاع بخصوص تنفيذ عقد معين أو على إحالة أي نزاع نشأ بينهم بالفعل على واحد أو أكثر من الأفراد يسمون مُحكمين للفصل في النزاع المذكور بدلاً من أن يفصل فيه القضاء. فقوام التحكيم هو اتفاق الأطراف، وهذا الاتفاق قد يرد كبند من بنود العقد المبرم بين

الأطراف أو في ورقة ملحقة به، واحتدم الخلاف بين الفقه حول الطبيعة القانونية للتحكيم، فأضفي عليه البعض الطبيعة القضائية انطلاقاً من طبيعة عمل المحكم التي تتماثل مع عمل القاضي، وما يصدر عنه من حكم ملزم، بينما تبنى البعض الآخر الطبيعة العقدية لكونه اتفاق بين طرفي التحكيم.

إلا أننا نشاطر الرأي الذي يرى أن التحكيم يبدأ بعقد تنطبق عليه أحكام النظرية العامة للعقود، وينتهي بحكم قضائي يخضع لقواعد الإجراءات المدنية من حيث آثاره ونفاذه وإجراءاته، التحكيم كعقد يمكن الطعن فيه بالبطلان، وكحكم لا يطعن فيه بطرق الطعن المعروفة في الأحكام القضائية، وينفذ بطرق التنفيذ القضائية.⁽⁴⁾

ودون الخوض في أوجه الاتفاق والاختلاف بين القضاء والتحكيم حيث أنه ليس موضوع البحث إلا أننا يجب أن نسلم بأن القضاء والتحكيم نظامان مختلفان، وكلاهما وسيلة معترف بها من قبل الأفراد والمشرع لفض المنازعات بين الخصوم بحكم أو قرار يحوز الحجية، وملزم لأطرافه، ويسعى كل منهما إلى هدف واحد هو تقديم حكم له عناصر الصحة بما يكفل تنفيذه. وقد أدى ذلك كله إلى تزايد إقبال الأفراد والمؤسسات والشركات إلى التحكيم كأسلوب لحل منازعاتهم، خاصة في مجال المعاملات ذات الطابع الدولي، حيث يكون القاضي أجنبي عن كل أو بعض الأطراف، وكذلك شأن القانون الذي يحكم النزاع سواء كان يحكم موضوعه أو إجراءاته. ورغم أن التحكيم ينشأ عن إرادة الخصوم، وأن هذه الإرادة هي التي تخلق التحكيم وهي قوام وجوده، إلا أنها تعتبر غير كافية، إذ يتعين على المشرع أيضاً أن يُقر اتفاق الخصوم، وبعبارة أخرى، إذا لم ينص المشرع على جواز التحكيم وجواز تنفيذ أحكام المحكمين فإن التحكيم يكون لا قيمة قانونية له في البلد الذي لم يشرع قانون يقبل أحكام التحكيم وأغلب التشريعات التي تقر أحكام التحكيم تفرض رقابة شديدة على تلك الأحكام. وفرض الرقابة على التحكيم ليس الهدف منها إفساد نظام التحكيم، بل تأكيد وجوده وضمان فاعليته، واستبعادها ينطوي على مخاطر بحقوق الأطراف خاصة عند تدليس المحكم أو إهمال مؤسسات التحكيم أو عدم تأهيل المحكم.

المطلب الثاني

الأهمية اللوجستية للتحكيم

وللتحكيم أهمية لوجستية تتمثل في يسر لجوء المتخاصمين إليه باعتباره نظامًا خاصًا للتقاضي فيما بينهم يحقق بغيتهم بفض النزاع وبطريقة مشروعة يقرها القانون،⁽⁵⁾ ومن ثم فهو يتمتع بأهمية لوجستية هي:

1. التخفيف عن كاهل الجهات القضائية: إزاء زيادة عدد وتنوع الخصومات يلعب التحكيم دورًا هامًا في الفصل في بعض المنازعات ليخفف من العبء عن كاهل السلطة القضائية في بعض المنازعات ليتفرغ القضاة لحل المنازعات التي لا يجوز فيها التحكيم بما يزيد من سرعة الفصل في الدعاوى.

2. قرارات التحكيم قطعية ونهائية: تنسم قرارات التحكيم بصفة الإلزام والنفاد بنفس درجة النهائية والإلزام التي تتمتع بها الأحكام الصادرة عن المحاكم.

3. الإسراع في فض المنازعات: يحقق التحكيم ميزة السرعة في حسم النزاع لأنهم يكونوا غالبًا في حالة تفرغ للفصل في موضوع الخصومة، وعلى قدر من التخصص.

4. الاقتصاد في المصروفات: التحكيم بطبيعته لا يستلزم مبالغ باهظة مثل المحاكم أو أتعاب محاماة أو خبرة وغير ذلك من مصروفات تزيد بطول فترة التقاضي؛ لذلك فمصروفات اللجوء إلى التحكيم تعد أقل مقارنة لها أمام المحاكم خاصة إذا وضعنا في الاعتبار قيمة الوقت الطويل الذي تستغرقه المنازعة أمام القضاء.

5. الحيادية: في غياب محكمة دولية لتسوية النزاعات التجارية؛ قد يضطر أطراف التقاضي للجوء إلى المحاكم المحلية في موطن المدعي أو المدعى مما يعني محدودية الخيارات المتوفرة مقارنة بالتحكيم الذي يتيح إمكانية إيجاد هيئة محكمين محايدة تمامًا، مما يبعد تمامًا احتمال التحيز الفعلي أو الضمني لأحد أطراف النزاع، إذ أن للأطراف حق تحديد مسار إجراءات، ولغة التحكيم، وتعيين المحكمين من أي جنسية شاءوا.

6. السرية: يضمن التحكيم السرية المطلوبة من قبل أطراف النزاع، وتفادي الآثار السلبية المصاحبة غالبًا لعلائية إجراءات التقاضي، حيث تنعقد جلسات التحكيم في إطار من السرية ما لم يتفق الأطراف على خلاف ذلك، ولا يجوز لموظفي المركز أو المحكمين المعينين للفصل بالنزاع أن يفشوا تفاصيل دعاوى التحكيم.

7. تلافي الحقد بين المتخاصمين: أن حسم النزاع في حالة التحكيم بين المتخاصمين سيكون بعد التراضي بينهما وسيتم بوساطة محكمين، لهم من الخبرة والكفاءة، وفي مناخ بعيد نوعاً ما عن مناخ التقاضي وما يعتره من ضغينة ونفور، فالتحكيم بلا ريب فيه بعد عن اللدد في الخصومة.

ولا شك أن هذه المميزات اللوجستية لحكم التحكيم لا تتأتى إلا إذا تم الاعتراف بحكم التحكيم على أرض الواقع واطمأن إليه بأنه عنوان الحقيقة، ويُسرت الإجراءات لضمان تنفيذه

الفصل الأول

المُحكّم كمدخل لوجستي رئيسي في حكم التحكيم

تمهيد وتقسيم:

سبق القول إن تشكيل هيئة التحكيم يتم أساساً باتفاق الخصوم، ووفق إرادتهم، فمن حقهم اختيار محكميهم، كما أنهم يتمتعون إزاء ذلك بسلطة واسعة، على أنه تجدر ملاحظة أن سلطتهم في ذلك ليست سلطة مطلقة، وإنما تخضع لبعض الضوابط والشروط التي تفرضها القواعد أو القانون الذي يخضع له التحكيم.

إضافة إلى تأهيل المحكم الفني والنفسي، وأثره اللوجستي في حكم التحكيم، وإضافة إلى ذلك أيضاً أهلية المحكم المدنية والجنائية كضمانة لوجستية مع علمه وخبرته واستقلاله، تعتبر كلها دعائم لوجستية.

فالمحكّم إذن عبارة عن مجموعة من العوامل الفنية والنفسية تساهم في بناء تكوينه، وتؤثر بصورة مباشرة على التميز اللوجستي لحكم التحكيم.

لذلك فإن الاهتمام بالمحكّم كأحد المدخلات الرئيسية في العملية اللوجستية في التحكيم يقتضي النهوض بعملية تأهيله من الناحية الفنية والنفسية، ويجب أن يؤخذ في الاعتبار أهلية المحكم واستقلاله وحيدته، وسوف نوضح ذلك تفصيلاً في مبحثين:

المبحث الأول: التأهيل الفني والنفسي للمحكّم وأثره اللوجستي في حكم التحكيم.

المبحث الثاني: أهلية المحكم واستقلاله، وأثرهما في حكم التحكيم.

وذلك على التفصيل التالي:

المبحث الأول

التأهيل الفني والنفسي للمحكم وأثره اللوجستي في حكم التحكيم

يقوم المحكم بمهمة كبيرة وأثارها خطيرة على منظومة العدالة حيث يناط له مهمة الفصل في النزاع، وأحياناً كثيرة تكون قيمة النزاعات التي يفصل فيها المحكم كبيرة على المستوى المادي، أو على المستوى الاقتصادي والسياسي، مما يجعل بحث التأهيل الفني والنفسي للمحكم ذو أهمية خاصة.

ولكي لا يكون عمل التحكيم عشوائياً - أي دون تأهيل بطريقة واضحة - ولكي تضبط الكيفية التي يعمل بها المحكم، سواء على المستوى الشخصي للمحكم أو على المستوى المؤسسي لمراكز التحكيم، يجب علينا أن نتعرض لمجموعة العوامل التي تساهم في الارتقاء بالمحكم من الناحية اللوجستية والتي تجعله أكثر قدرة على الفصل في الدعاوى التي تطرح عليه للفصل فيها، وتجعل حكمه أكثر قبولاً عند تنفيذه.

كما أن التميز اللوجستي في التحكيم يلعب فيه المحكم دوراً جوهرياً باعتباره أحد مدخلات العملية اللوجستية، بل هو المدخل الرئيسي، لذلك لابد من التركيز على تأهيل المحكم فنياً ونفسياً كمُدخل رئيسي في عملية التحكيم وسوف نتناول ذلك في مطلبين على الوجه الآتي:

المطلب الأول

التأهيل الفني للمحكم، وأثره اللوجستي في حكم التحكيم

تنبثق فلسفة التأهيل الفني للمحكم كي تستثمر طاقته لإكمال أهليته القانونية والتحكيمية وزيادة معرفته للقيام بمسؤولية التحكيم وفض المنازعات التجارية والمالية والاستثمارية بواسطة التحكيم لاستدامة التنمية الاستثمارية وسوف نتناول هذا المطلب في فرعين:

الفرع الأول: نبحث فيه عن العوار اللوجستي وعلاجه.

والفرع الثاني: نخصصه للأثر اللوجستي للتأهيل الفني للمحكم، وخبرته على حكم التحكيم.

الفرع الأول

العوار اللوجستي للمحكم وعلاجه

العوار اللوجستي للمحكم:

لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، ومن هنا نبدأ هذا المطلب بسؤال هام ألا وهو هل يجوز أن يكون المحكم أمياً؟ قد يبدو هذا التساؤل غير واقعي خاصة حينما يلجأ الأفراد إلى التحكيم المؤسسي، حيث تضم مراكز التحكيم، ومؤسساته، وهيئاته، وغرف التجارة، قوائم منتقاة من خيرة رجال القانون والاقتصاد من ذوي الخبرة والكفاءة.

فلا يتصور أن تضم هذه القوائم محكماً أمياً أو يقع اختيار الأطراف على محكم أمي خاصة وأن المنازعات التجارية الدولية تحتاج إلى قدرة علمية لحسم ما يثار من مشكلات متنوعة فضلاً عما يثور من عقبات ومشاكل أمام هيئة التحكيم، كالفصل في اختصاص هيئة التحكيم والقانون الواجب التطبيق وكل ذلك لا يصلح له المحكم الأمي، بل إذا أجز ذلك تبذرت معه كافة الضمانات اللوجستية لحكم التحكيم.

وإنما قد تبدو وجهة هذا التساؤل بالنسبة للتحكيم الحر، وفي المنازعات البسيطة التي تحتاج إلى ذوي الخبرة الحرفية أو المهنية. مثال ذلك: اختيار أحد العاملين في مجال ذوي الخبرة الحرفية أو المهنية من الصناع أو التجار كاختيار أحد العاملين في مجال صناعة الأثاث أو أحد تجار الفاكهة أو الحبوب أو القطن محكماً، رغم أنه لا يعرف القراءة والكتابة ولكنه على علم ودراية بأصول الحرفة أو المهنة التي ينتسب، والأعراف التي تحكمها، فهل تحول نصوص القانون دون ذلك؟

الواقع أنه لا يوجد نص تشريعي في القانون المصري يحول دون ذلك، رغم أن ظاهر النصوص قد يوحي بعكس ذلك حيث تشترط قبول المحكم لمهمته كتابة المادة 3/16 من قانون التحكيم المصري، وأن يصدر حكم التحكيم كتابة ويوقعه المحكمون المادة 1/34 تحكيم مصري.

لذا يتعين صرف هذه النصوص إلى أنها تنظيم لعملية التحكيم، وليس لبيان الشروط التي يتعين توافرها في المحكم، فضلاً عن أنه يغني عن توقيع المحكم عند قبوله التحكيم بصمة اليد أو بصمة الختم مع الاستعانة بسكرتارية التحكيم في كتابة ما يدور بالجلسات، وكذلك كتابة الحكم.

وهنا نجد أنه وإن كان هذا الفرض الجدلي الذي لا يحدث بصورة غالبية إلا أنه رغم ذلك يلزم أن يكون هذا المحكم على علم ودراية بموضوع التحكيم، وإلا ما اختاره المحكمتين. إلا أنه بالنظر إلى مناهج الدراسة بكليات الحقوق نجد أنها تخلوا تماماً من الدراسة

السطحية أو المتعمقة في مجال التحكيم، كما وأن المراكز الخاصة التي تعقد دورات لإعداد المحكمين وتأهيلهم؛ جل اهتمامهم هو تحقيق الربح، دون النظر إلى تحقيق المردود العلمي للمتدرب، ورفع مهارته من عدمه، ولا ينطبق ذلك على المراكز الخاصة فحسب، ولكن ينطبق أيضًا على مراكز الجامعات الحكومية.

وهنا تظهر أولى بوادر العوار اللوجستي للمحكم؛ وهو عدم كفاية المستوى العلمي له، وقلة مهاراته التدريبية، بما لا يتناسب مع جلال رسالته، وهي التحكيم بين المتخاصمين، وعدم الوقوف على معرفة مدى خبرة المحكم.

علاج العوار اللوجستي للمحكم:

1. يلزم أن يؤهل المحكم تأهيلاً مقنناً، وتجري له إجازة في ذاك التأهيل سواء كان هذا التأهيل من مراكز خاصة أو مراكز حكومية. وأن تتابع هذه المراكز بصفة دورية من الجهات الرقابية، للتأكد أن هذه الإجازات لا تعطى إلا بعد استحقاق المتدرب لها.

2. يجب وضع معادلات للذين تأهلوا خارج البلاد لاعتمادهم محكمين داخل البلاد أو رفض اعتمادهم.

3. لا تكفي الكفاية العلمية والمهارية لعلاج ذلك العوار، ولكن يلزم كذلك الممارسة العملية، ومواكبة السوابق التحكيمية. ولذلك يلزم لكل محكم تم تأهيله فنياً، واعتمد كمحكم أن يقدم كل فترة معينة تحدد سلفاً قدرًا معينًا من القضايا التحكيمية يكون شارك فيها، وإذا ثبت أنه لم يشارك في أي من القضايا التحكيمية خلال تلك الفترة، فإما أن يرفع اسمه من المحكمين المعتمدين، أو أن تعاد رفع كفاءته بدورة مقننة سلفاً كشرط لاستمرار اعتماده محكمًا، ويلزم في هذه الدورة أن يكون فيها الجديد في مجال التحكيم، وأن تعرض فيها قضايا تحكيمية يشارك فيها المتدربون.

4. يجب أن نطرح التعميم في مجال التحكيم، وأن يكون لدينا محكمين متخصصين، وغرف تحكيم متخصصة، وذلك يستلزم أن نؤهل محكمين متخصصين في عقود الفيديك، وآخرين في عقود البترول، وغيرهم في الملكية الفكرية، وهكذا حتى عندنا غرف متخصصة في مجالات التحكيم المختلفة، عاشوا سوابقها التحكيمية، بما يجعلهم يبدعون فيما يصدر عنهم من أحكام تعكس الوجه الحقيقي للعدالة.

الفرع الثاني

الأثر اللوجستي للتأهيل الفني للمحكم، وخبرته على حكم التحكيم

الأثر اللوجستي للتأهيل الفني للمحكم على حكم التحكيم:

1. التأهيل الفني للمحكم يوفر له القدرة الكاملة على تفسير القانون، وتطبيقه تطبيقًا سليمًا، ويجعل المحكم يفهم طبيعة المنازعة، ويدرك السوابق التحكيمية فيها، ويعطي هذا التأهيل للمحكم الثقة بذاته، بما يجعله متجردًا، وعاملاً على تحقيق العدالة في حكمه.
2. تأهيل المحكم فنيًا والارتقاء بمهاراته الشخصية والموضوعية تجعل له استقلال فكري، وحياد موضوعي، وهذه من المستلزمات اللوجستية لممارسة عمل التحكيم.
3. التأهيل الفني التخصصي يجعل المحكم متخصصًا في مجالات محددة وتلك من أكثر العوامل التي تؤدي إلى تبسيط إجراءات التحكيم، لأنها تمكن المحكم من إنجاز عمله في أسرع وقت، وبكفاءة عالية، محيطًا علمًا وخبرة بكل جوانب القضية التحكيمية المعروضة عليه، متخطيًا كل الصعاب والعقبات التي تصادفه نظرًا لتخصصه، وطول خبرته، وتمرسه في القضايا التحكيمية.
4. التأهيل الفني الجيد، والتخصص يمكن المحكم من حسن صياغة حكم التحكيم، وتسببه بسهولة ويسر.
5. وإلى جانب التأهيل الفني، يجب أن يصنف المحكمون من حيث الخبرة وطول فترة ممارسة التحكيم؛ رغم أن خبرة المحكم ليست شرطًا في تعيينه، وإنما هي مسألة يحرص الأطراف على توافرها في شخص المحكم الذي سيتولى الفصل في نزاعهم، فهذه الخبرة – فضلًا عن غيرها من الشروط – هي التي تطمئن أطراف النزاع إلى حسن فطنة المحكم وتقديره لما يثيره النزاع من مشكلات، والإلمام بجوانبه المختلفة، والإحاطة بالأعراف التجارية السائدة، وعدم الوقوع في أخطاء تؤدي إلى بطلان حكم التحكيم، والقدرة على إدارة خصومة التحكيم، والتغلب على ما قد يعترض سيرها من عقبات.
6. ومن الأمور المفروغ منها هي التمرس على التحكيم، لكونه مفترض أساسي في اختيار قوائم المحكمين، وهو ما تحرص عليه هيئات التحكيم، ومؤسساته عند انتقاء قوائم محكميها، كأهم الضمانات اللوجستية، لسلامة حكم التحكيم، واعتباره عنوانًا للحقيقة.

الخبرة والتخصص للمحكم:

تجدر الإشارة إلى أن الخبرة ليست مرادفة للتخصص، فالتخصص وإن وفر للمحكم القدرة على حسن الفصل فيما يعرض عليه من منازعات تدخل في إطار تخصصه، إلا أن ترجمة ذلك عملياً لا يتأتى إلا بالممارسة. كما لا يكفي أن يختار المحكم من نفس المهنة أو من بين الأشخاص الذين يباشرون نفس النشاط، وإنما يتعين دائماً أن يزكي هذا الاختيار سبق تمرسه على التحكيم، فممارسته لذات المهنة، أو اشتغاله بنفس النشاط لا يكفي لنجاحه كمحكم.⁽⁶⁾

مما سبق يتبين لنا وجوب دعم المحكم لوجستياً بتدريبه تدريباً فنياً مقنناً يترتب عليه إجازة عمله في مجال التحكيم من عدمه وأنه يفضل أن يتخصص المحكم في مجال محدد من مجالات التحكيم، وأن يصنف المحكمون طبقاً لخبرتهم وتخصصاتهم. فهذه الآثار اللوجستية للتأهيل الفني للمحكم تعتبر من أولى الضمانات لضبط حكم التحكيم وتؤدي إلى مزيد من الشفافية تزيد معها ثقة المحكّمين في تلك الأحكام ويطمئن معها القاضي عندما يأمر بتذييل الحكم بالصيغة التنفيذية.

المطلب الثاني

التأهيل النفسي للمحكم وأثره اللوجستي في حكم التحكيم

سوف نتناول هذا المطلب في فرعين نخصص الأول في التأهيل النفسي للمحكم والثاني لمستلزمات التأهيل النفسي على التفصيل التالي:

الفرع الأول

التأهيل النفسي وأثره اللوجستي

أن طبيعة عمل المحكم تفرض عليه أن يتصف بصفات كثيرة تجعله أهلاً لتلك المهمة معطيًا لكل ذي حق حقه بحياد واستقلال ونزاهة. وهذا يستوجب الارتقاء بالمحكم نفسيًا وهذا غير متوافر طبقًا لأحكام القانون المصري، حيث لازال عمل المحكّمين عشوائيًا أي لا يقننه قانون، ولا يوجد تجمع نقابي للمحكّمين ينسق عملهم وينهض بهمتهم، كما أنه لا توجد جهة اعتماد وتصديق إجازة عمل المحكّمين ولا على تخصصهم وبالمثل مراكز التحكيم المؤسسي لا توجد جهة معينة تمنحها ترخيصًا بعملها.

ولا ريب أن كل هذا العوار اللوجستي يؤثر تأثيرًا سلبيًا على نفسيات المحكم، ومعنويات القائمين على مراكز التحكيم المؤسسي، وتكون بمثابة عوار لوجستي، ينعكس أثره بالضرورة على حكم التحكيم.

وهنا يثور التساؤل عن وسائل التأهيل النفسي للمحكم لكي يكون عمله نظامي وغير عشوائي؟ وبمعنى آخر ما هي الإجراءات التي يجب أن يدعم المحكم بها نفسيًا كي يكون لها تأثيرًا لوجستيا على حكم التحكيم؟

وهنا يجب القول إنه يجب أن تختص جهة معينة ولتكن تلك الجهة هي المحكمة الاقتصادية، بناءً على قانون يصدر باعتماد المحكمين بعد تأهيلهم، وتصنيفهم طبقًا لتخصصاتهم، وخبرتهم، طبقًا للأسس ثابتة وواضحة ومعلومة وعامة ومجردة.

وتكون تلك هي البداية المعنوية والنفسية للمحكم عندما يباشر عمله، ولا نترك المجال لما هو موجود الآن من أحقية كل فرد في أن يمنح تصنيف نفسه لنفسه، وتخصيص ذاته لذاته، دون رقابة، أو مراجعة من أحد، فذاك اعطى لنفسه لقب مستشار في التحكيم، وذاك اعطى لنفسه لقب محكم دولي، وثالث اعطى لنفسه لقب محكم إقليمي، وهكذا، فأين الحقيقة؟ نجدها تائهة! لأنه لا يوجد قانون يحكم ويقنن كل هذه الأمور بما يشكل عوار لوجستي يؤثر بصورة مباشرة على المحكم ويتأثر به تبعًا لذلك حكم التحكيم.

إضافة إلى ذلك، نظرًا لتزايد عدد المحكمين فالأمر يستلزم أن تنشأ لهم نقابة مهنية، تجمع المحكمين وترتقي بشأنهم، وتعلي من قدرهم، وتزودهم بالأسس الأخلاقية الرفيعة للمحكم.

وأيضًا يجب أن تحدد جهة بعينها يناط بها أن تمنح الترخيص اللازم لمراكز التحكيم، وأن توضح لها الشروط الواضحة لممارسة عملها، وأن تنشر لائحتها، وأن يعمل للأجود منها الاتفاقيات، والمعاهدات، لتسويقها عالميًا.

الفرع الثاني

مستلزمات التأهيل النفسي للمحكم

1. يتمثل في المقترح السابق ذكره ألا وهو التدخل التشريعي بما يقنن عمل المحكمين ويبين تخصصاتهم وخبراتهم، وأن تضمهم نقابة مهنية تعمل على صون كرامتهم ومسؤولياتهم، وحيادهم لكي يتمتعوا بحرية التفكير الهادئ لما يطرح عليهم من قضايا،

وأن تحدد جهة معينة تمنح من خلالها التراخيص اللازمة لمراكز التحكيم المؤسسي، وتعلن من خلالها لوائحها المالية والإجرائية.

2. يتمثل في تعظيم أخلاقيات العمل المهني بالدورات ورفع المهارات ووضع أسس اختيار الكفاءات حتى نصل إلى المحكم النزيه المستقل المتحرر من أي قيود أو نفوذ أو إغراءات أو ضغوط أو تهديدات أو تدخلات مباشرة أو غير مباشرة، بما يُكسب المحكم الصفات الواجب توافرها فيه من ورع ووعي وتوازن وشجاعة ووضوح وتسامح وإنسانية ومعرفة لأنها صفات لازمة للمحكم العادل، وهي كذلك لازمة للأحكام لكي تنال ثقة المتقاضين.

3. تعتبر الأخلاق المعيار الأساسي الذي يتم من خلاله التمييز بين ما هو فضيلة، وما هو رذيلة، أي ما هو العمل الذي يعتبر فضيلة وما هو العمل الذي يعتبر رذيلة، وهي مسألة نسبية حول ما يفضله المجتمع وبين ما ينبذه من تصرفات وأفعال وظروف وأوقات معينة، وهي غالبًا ما تتأثر بثقافته.

وتشير فكرة الأخلاق المهنية أو القانونية إلى مجموع القواعد والمعايير السلوكية المقبولة في المهن القانونية التي ترتبط بالواجبات المتعينة على المرء الالتزام بها، وهذه الأخلاق في التحكيم أوضحها الكثير من القوانين ولوائح مراكز التحكيم خاصة المراكز الدولية.

ولهذا كان للتأهيل النفسي والخلقي للمحكم آثارًا لوجستية على المحكم، وعلى حكم التحكيم تتمثل في شعور المحكم عند مباشرة عمله بالثقة في النفس الواجب توافرها فيه عند نظر القضية التحكيمية، والفصل فيها بما يجعل حكمه ذو تميز لوجستي ويجعل القاضي عند نظره لا يمانع في إصدار الأمر بالصيغة التنفيذية عليه.

المبحث الثاني

أهلية المحكم واستقلاله وأثرهما اللوجستي في حكم التحكيم

سوف نتناول هذا المبحث في مطلبين:

المطلب الأول: سوف نخصه لأهلية المحكم وأثرها في حكم التحكيم.

والمطلب الثاني: سيكون في استقلال المحكم وأثره في حكم التحكيم:

وذلك على النحو التالي:

المطلب الأول

أهلية المحكم وأثرها في حكم التحكيم

والأهلية لغة: تستعمل بمعنى الجدارة والكفاية لأمر من الأمور. والأهلية في الاصطلاح: صفة يقدرها المشرع في الشخص، تجعله محلاً صالحاً لتكليف المشرع وهي نوعان: أهلية وجوب وأهلية أداء،⁽⁷⁾ وما يعنينا في مجال هذا البحث هو أهلية الأداء، وسوف نتناول هذا المطلب في فرعين هما:

الأول: عن أهلية المحكم المدنية كضمانة لوجستية،

والثاني: عن أهلية المحكم الجنائية كضمانة لوجستية، وذلك على التفصيل التالي:

الفرع الأول

أهلية المحكم المدنية كضمانة لوجستية

قد اجملت المادة 16 من قانون التحكيم المصري هذه الشروط فنصت على أنه: "لا يجوز أن يكون المحكم قاصراً أو محجوراً عليه أو محروماً من حقوقه المدنية؛ بسبب الحكم عليه في جنابة، أو جنحة مخلة بالشرف، أو بسبب شهر إفلاسه، ما لم يرد إليه اعتباره." "ولا يشترط أن يكون المحكم من جنس أو جنسية معينة إلا إذا اتفق طرفا التحكيم أو نص القانون على غير ذلك" وعليه؛ فإنه يتعين أولاً أن يكون المحكم شخصاً طبيعياً فلا يجوز أن يعهد بالتحكيم لشخص اعتباري، وأن يتمتع بكامل الأهلية لمباشرة كافة حقوقه المدنية. هذا ما أجملته في عبارة وجيزة المادة 1451 من قانون المرافعات الفرنسي الجديد فنصت على: أنه لا يجوز أن يعهد بالتحكيم إلا لشخص طبيعي يتمتع بالأهلية الكاملة لمباشرة كافة حقوقه المدنية.⁽⁸⁾

ومن ثم؛ فإنه لا يجوز على ضوء قانون التحكيم المصري وقانون المرافعات الفرنسي أن يكون المحكم مركزاً أو غرفة تجارية أو هيئة، كما لا يجوز أن يكون المحكم قاصراً ولو كان مأذوناً له بالإدارة أو محجوراً عليه لسفه أو عته أو غفلة، لأن مثل هذا الشخص ناقص الأهلية لا يلي أمر نفسه، فكيف يعهد إليه بأمر غيره والفصل فيما شجر بينهم من أوجه خلاف.

وهذه ميزة لوجستية قررها المشرع من أجل الاطمئنان لسلامة الأهلية المدنية للمحكم الي يصدر حكم التحكيم.

الفرع الثاني

أهلية المحكم الجنائية كضمانة لوجستية

لا يجوز أن يكون المحكم محكومًا عليه في جناية أو جنحة مخلة بالشرف، أو بسبب شهر إفلاسه، لأن ذلك يجعله غير أهل للثقة فيما يصدر عنه، خاصة وأن حكم التحكيم يحوز شأن الأحكام القضائية من حيث حجية الشيء المحكوم فيه، بل يمتاز عن الحكم القضائي بأنه لا يقبل الطعن فيه بأي طريق من طرق الطعن المنصوص عليها في قانون المرافعات (م/52 تحكيم) على أنه يجدر بنا أن نؤكد على عدة ملاحظات وهي:

1. أن الحظر يتعلق فقط بالمحكوم عليه في جناية أو جنحة مخلة بالشرف، ومن أشهر إفلاسه، فلا يكفي أن يكون الشخص متهمًا لم يحكم عليه بعد، أو محكومًا عليه في جناية أو جنحة غير مخلة بالشرف كما إذا قضى عقوبة عن قتل خطأ، أو متوقفًا عن دفع ديونه ولم يشهر إفلاسه بعد.⁽⁹⁾

2. أن المحظور تعيينه محكمًا هو المحروم من حقوقه المدنية وليس المحروم من مباشرة حقوقه السياسية، لأن حرمان الشخص من مباشرة حقوقه السياسية لدوافع سياسية لا ينتقص من إدراكه، ولا ينال من كمال أهليته المدنية، ولا ينزل به منزلة ناقص الأهلية، لذا اقتصر نص المادة 16 من قانون التحكيم على حقوقه المدنية فقط، وقرنت ذلك بسبب الحكم عليه في جناية مخلة بالشرف فأفصحت بما لا يدع مجالاً للشك على أنه لا يدخل في ذلك المحروم من مباشرة حقوقه السياسية. وقد حرص القانون المدني الفرنسي على إزالة هذا اللبس بالنص في المادة السابقة منه على أن الحقوق المدنية مستقلة عن الحقوق السياسية.⁽¹⁰⁾

3. أن من سبق الحكم عليه على النحو المتقدم يجوز تعيينه فيما بعد محكمًا؛ إذا كان قد رد إليه اعتباره، غير أنه من الناحية الواقعية، فإن سبق الحكم على شخص في جريمة مخلة بالشرف أو إشهار إفلاسه، يخل بالثقة الواجبة فيه، ويؤدي إلى العزوف عن اختياره، إذ يتعين أن تتوافر له مقومات الشخصية التي تفرض على طرفي النزاع احترامه، وينزل حكمه أمام الجهات المختصة منزلة الاحترام.

4. أنه طبقاً لصريح نص المادة 2/16 من قانون التحكيم المصري لا يشترط أن يكون المحكم من جنس معين ومن ثم؛ فإنه يجوز أن يكون المحكم رجلاً أو امرأة ما لم يتفق طرفا التحكيم، أو ينص القانون على غير ذلك، وقد قطع المشرع المصري بذلك الخلاف

حول جواز تعيين المرأة محكمًا، في حين أن الخلاف ما زال محتدمًا في فرنسا حول جواز تولي المرأة مسألة التحكيم، بينما يحظر القانون اليوناني على المرأة أن تكون محكمًا. 5. كذلك لم يشترط قانون التحكيم المصري ان يكون المحكم من جنسية معينة؛ ما لم يتفق طرفا التحكيم أو ينص القانون على غير ذلك (م2/16م تحكيم)، وعليه؛ فإنه يجوز طبقا لقانون التحكيم المصري أن يكون المحكم أجنبيًا، وهو ما أكدته محكمة النقض المصرية قبل صدور قانون التحكيم في العديد من أحكامها، ولم تجد في ذلك ما يمس النظام العام.⁽¹¹⁾ ويذهب الرأي الراجح فقهاً في فرنسا إلى أن صمت المشرع الفرنسي عن اشتراط جنسية معينة فيمن يعين محكمًا تعني جواز تحكيم الأجنبي، بينما ظل القانون الإيطالي حتى سنة 1983م ينص صراحة على عدم جواز تعيين الاجنبي محكمًا إلى أن تم تعديل المادة 1/812 من قانون المرافعات بالقانون رقم 28 في 9 فبراير 1983م فأجازت أن يكون المحكم أجنبيًا.⁽¹²⁾

على أنه تجدر ملاحظة ما تنص عليه لائحة مركز القاهرة الإقليمي للتحكيم التجاري الدولي: أنه من المستحسن أن تأخذ سلطة تعيين المحكم، أو الرئيس بعين الاعتبار بحيث يكون المحكم من جنسية غير جنسية أحد أطراف النزاع المادة 4/6، 3/7. وهو ما تنص عليه أيضًا قواعد اليونسترال بالمادتين 6، 7، وكذلك القانون النموذجي للتحكيم، وهو ما تنص عليه اتفاقية واشنطن بشأن تسوية المنازعات الناشئة عن الاستثمار مادة 38، ولائحة محكمة لندن للتحكيم الدولي، ولائحة الجمعية الأمريكية للتحكيم، ولائحة غرفة التجارة الدولية بباريس المادة 5/9، ضمانًا لحياد المحكم واستقلاله.

المطلب الثاني

استقلال المحكم وأثره اللوجستي على حكم التحكيم

وسوف نتناول هذا الطلب في فرعين: الفرع الأول: نخصه في استقلال المحكم عن القضاء كضمانة لوجستية، والفرع الثاني نخصه لإفصاح المحكم عما يثير أي شكوك حول حيده وذلك على النحو التالي:

الفرع الأول

استقلال المحكم عن القضاء كضمانة لوجستية

حسم المشرع المصري هذه المسألة في قانون السلطة القضائية رقم 46 لسنة 1972 بنصه على أنه: "لا يجوز بغير موافقة المجلس الأعلى للهيئات القضائية أن يكون القاضي

محكمًا ولو بغير أجر ولو كان النزاع غير مطروح أمام القضاء، إلا إذا كان أحد أطراف النزاع من أقاربه أو أصهاره لغاية الدرجة الرابعة" (م2/63). فالأصل هو عدم جواز تعيين القاضي محكمًا إلا في الحالة التي يأذن فيها بذلك المجلس الأعلى للقضاء، أو إذا كان أحد أطراف النزاع من أقاربه أو أصهاره لغاية الدرجة الرابعة، وفي هذه الحالة لا يشترط إذن المجلس الأعلى. ومرجع هذا الحظر هو حرص المشرع على ضمانة لوجستية تتمثل في عدم إغراء القضاة بميدان التحكيم ومغرياته المادية، حتى يتفرغوا لواجبهم الأساسي ومهمتهم السامية وهي إقامة العدل بين المواطنين الذين يؤرقهم بطأ التقاضي وتراكم قضاياهم أمام المحاكم أمدًا طويلًا بغير حسم لذا، نجد بعض التشريعات كالشريع الإيطالي والنمساوي تحظر على القاضي حظرًا مطلقًا العمل كمحكم. بينما اتخذت وزارة العدل الفرنسية موقفًا حذرًا أمام صمت المشرع الفرنسي فأجازت بمنشورها الصادر في 26 أكتوبر 1986م، لرئيس كل محكمة أن يبحث في كل حالة على حدة ما إذا كان من المناسب على ضوء ظروف العمل، ودون المساس بهيبة القاضي لكي تمنح الإذن له بتولي مهمة التحكيم.⁽¹³⁾

الفرع الثاني

إفصاح المحكم عما يثير أي شكوك حول استقلاله أو حيده

تنص الفقرة الثالثة من المادة م 16 من قانون التحكيم المصري على أنه: "يكون قبول المحكم القيام بمهمته كتابة، ويجب عليه أن يفصح عند قبوله عن أية ظروف من شأنها إثارة شكوك حول استقلاله أو حيده"، وقد أكدت هذا المعنى المادة 9 من لائحة مركز القاهرة الإقليمي للتحكيم، وهو ما نصت عليه أيضاً المادة 9 من قواعد اليونسترال والمادة 19 من لائحة جمعية المحكمين الأمريكية، وأكدت المادة 5/11 من القانون النموذجي للتحكيم التجاري الدولي بنصها على ضرورة أن تراعى سلطة تعيين المحكم أن يكون المحكم الذي تعينه مستقلاً ومحايداً، والمادة 10 من لائحة محكمة لندن للتحكيم، بل تخول هذه اللائحة للمحكمة الحق في رفض تعيين المحكمين الذين اختارهم أطراف النزاع إذا قدرت أنه لا يتوافر فيهم الحيادة والاستقلال، وذلك كأحد الدعائم اللوجستية لحكم التحكيم.

وهو ما يبرز أهمية حياد المحكمين واستقلالهم عن أطراف النزاع الذين قاموا باختيارهم، وعدم اعتبار المحكم الذي اختاره الخصم ملتزماً أدبيًا بتبني وجهة نظره، والدفاع عنها، إذ يتعين بعد

اختياره إلزام نفسه بالاستقلال عن اختاره ويحمل نفسه على الحياد فلا ينتصر إلا لما تسفر عنه المستندات.

ويتعين التحرز من الخلط بين استقلال المحكم وبين حياده، فالاستقلال يعنى بالمعنى الواسع عدم تبعية المحكم لأي من طرفي النزاع حتى لا يتوجه في عمله بتوجيهات أي منهما، أما الحياد فيعنى عدم الميل أو الحكم بالهوى لصالح أيهما. وهذا يختلف عن مبدأ حياد القاضي، والذي يفترض أن يقف القاضي موقفًا سلبياً بين الخصوم.⁽¹⁴⁾

وعليه؛ فإنه لا يكفي في هذا الصدد استقلال المحكم عن اختاره، وإنما يتعين أيضا استقلاله عن الطرف الآخر في النزاع الذي لم يختره، وعدم وجود أي صلة سابقة، أو حالية بأي منهما من شأنها أن تؤثر على استقلاله أو حياده، وكذا؛ عدم وجود صلة بينه وبين أقارب أيهما أو ممثلي الطرفين، وعدم سبق اتصاله بموضوع النزاع المطروح على التحكيم؛ كما إذا سبق له أن قدم استشارة أو فتوى متعلقة به، وعدم وجود مصلحة له مالية أو أدبية تتعلق بالنزاع المطروح على التحكيم؛ لأن من شأن أي صلة من هذا النوع إثارة الشكوك حول استقلال المحكم، وحياده الأمر الذي يعصف بالثقة في حكم التحكيم، ويفقده مصداقيته كأداة ميسرة ناجحة لحسم المنازعات التجارية خاصة الدولية منها.⁽¹⁵⁾

ولذلك قامت مؤسسات ومراكز التحكيم بمحاولات عديدة كي تصنع إطاراً من العدالة والحياد للتحكيم وإجراءاته؛ وفي سبيل ذلك تتبنى معايير خلقية لسلوك المحكمين؛ ومن أمثلة ذلك ميثاق السلوك في التحكيم التجاري الذي وضعه اتحاد التحكيم الأمريكي (AAA) بالتعاون مع نقابة المحامين الأمريكية الفيدرالية (ABA)، وهو يتضمن قواعد إرشادية للمحكمين ورؤساء هيئات التحكيم عن السلوك المقبول في إدارتهم لما يعرض عليهم من قضايا تحكيمية، ولا سيما حول مدى ضرورة حياد المحكم، والالتزام بعدم إفشاء أسرار ما ينظره من تحكيمات، ومسوغات رد المحكم، والتصرف في حالة استشعار الحرج، وتمثل نصوص هذا الميثاق قواعد المستوى المقبول من السلوك في التحكيم التجاري في الولايات المتحدة الأمريكية.⁽¹⁶⁾

ومسألة الالتزام بالمحافظة على الأسرار المهنية التي تصل إلى المحكمين بحكم عملهم مسألة بالغة الأهمية في سلوك المحكم، وفي سلوك الأطراف الذين يتعين عليهم أيضاً عدم إفشاء أسرار التحكيم الذي دارت وقائعه بينهم، ولذلك تمنع قوانين التحكيم الحديثة نشر الأحكام دون موافقة أطرافها كقانون التحكيم المصري المادة 44، وعلة هذا المنع واضحة، لأن القضايا

التحكيمية تتضمن أسرارًا لا يجوز أن يطلع الغير عليها، خاصة في المجالات التنافسية تجارية كانت أو صناعية.

وتأكيدًا لحيداد المحكم بالمعنى الواسع تتطلب لائحة غرفة التجارة الدولية بباريس أن يراعى عند تعيين المحكم المنفرد أو رئيس هيئة التحكيم أن يكون من جنسية مختلفة عن جنسيات الأطراف (م5/9)، وكذلك أيضًا لائحة محكمة لندن للتحكيم والجمعية الأمريكية للتحكيم واتفاقية واشنطن بشأن تسوية المنازعات الناشئة عن الاستثمار (م38) وقواعد اليونسترال (م4/6) وقواعد القانون النموذجي للتحكيم (م5/11).

وذلك حتى لا ينتصر المحكم لبني جنسه، أو يميل إليه دون أن يعتمد ذلك بحكم الانتماء، ولمركز القاهرة الإقليمي للتحكيم التجاري الدولي تميزًا لوجستيا تمثل فيما أصدره من ميثاق لسلوك المحكمين، أصدره باللغتين العربية والإنجليزية تحت عنوان سلوكيات المحكم، وهو يتضمن معظم القواعد المتعارف عليها دوليًا في الوثائق المماثلة.

ومخالفة هذه القواعد تجعل حكم التحكيم عرضة للبطلان إذا ترتب على المخالفة وقوع حكم التحكيم حوزة أحد الأسباب المنصوص عليها في القانون بما يؤدي لبطلان الحكم طبقًا لأحكام المادة 53. وقد تجعل المحكم نفسه عرضة لمطالبته بالتعويض إذا ترتب على المخالفة وقوع ضرر على أحد أطراف الخصومة التحكيمية.

والجامع بين هذه القواعد جميعها أنها تؤدي عند الالتزام بها إلى أكبر قدر مستطاع من التميز اللوجستي من النزاهة والحيداد والاستقلال للمحكمين وهو أمر يوفر للخصوم ميزة لوجستية تتمثل في الثقة في كفاءة المحكمين والاطمئنان إلى الحكم الذي يصدرونه لأنه سيكون مبني على حقائق الواقع كما استظهروها، وعلى حكم القانون كما تبينوه، لا على هوى جامع ولا على مصلحة، ينحرف بها قرارهم عن الحق والعدل.

بعض بنود ميثاق سلوك المحكمين لمركز القاهرة الإقليمي للتحكيم مع بيان أثرها اللوجستي على المحكم:

المادة الأولى: "لا يجوز للمحكم الاتصال بأطراف التحكيم للسعي نحو التعيين أو الاختيار كمحكم" وذلك لأن السعي إلى التعيين أو الاختيار لمهمة التحكيم يثير رغبة ظاهرة في رغبة المحكم في تحقيق مصلحة ذاتية له، يترتب عليها سعيه لا إلى الحكم وفقًا لأحكام القانون وقواعد العدالة، وإنما وفق ما يمليه عليه الطرف الذي قام بتعيينه، أو وفقًا لمصلحته، سواء وافقت وجه الحق في الدعوى أم خالفته. وهذا مطعن في سلوك المحكم، يفقده الثقة، والاعتبار

ويحيط حكمه وإجراءات التحكيم نفسها بالشبهات التي تمثل عور لوجستي يصب مباشرة في عدم سلامة حكم التحكيم.

وتذكرنا هذه القاعدة المانعة من طلب التعيين محكمًا، بإحدى القواعد الذهبية في الإدارة الإسلامية وهي قاعدة "طالب الولاية لا يولى" ومصدرها الأصلي حديث رسول الله ﷺ: أن رجلاً طلب عملاً أي: ولاية فقال له رسول الله ﷺ: "إنا لا نولي عملنا هذا من طلبه".

المادة الثانية: "لا يجوز للمحكم قبول التعيين أو الاختيار كمحكم إلا بعد التأكد من القدرة والصلاحية لأداء هذه المهمة دون ما تحيز، ومن إمكان تخصيص الوقت والاهتمام للزمين لذلك". والشروط الواردة في هذا النص بديهية، لأنه لو تولى التحكيم من لا تتوافر فيه لتعذر وصول التحكيم إلى الغاية التي انعقد من أجلها، وهي الفصل في النزاع بطريقة تحقق العدالة وتتفق مع القانون. فالذي لا تتوافر له الكفاية الفنية، والذي لا يستطيع أن يمارس التحكيم بغير انحياز لأحد الخصمين، والذي لا يجد الوقت الكافي لإنجاز التحكيم في المواعيد المناسبة، كل أولئك يسيئون إلى العدالة التحكيمية، ويلحقون الضرر بالخصوم، ويفسدون معنى قضاء التحكيم الذي يتميز بالسرعة والكفاءة الناتجتين عن التفرغ والخبرة.

المادة الثالثة: "على من يرشح ليكون محكمًا، أن يصرح لمن يتصل به في أمر هذا الترشيح، بكل الظروف التي من شأنها احتمال إثارة شكوك لها ما يبررها حول حياده أو استقلاله، وعلى المحكم بمجرد تعيينه أو اختياره التصريح بهذه الظروف لأطراف النزاع إلا إذا كان قد سبق إحاطتهم علمًا بذلك. وعليه على الأخص التصريح بما يلي:

أ. علاقات الأعمال، والعلاقات الاجتماعية المباشرة السابقة والحالية، مع أي من أطراف التحكيم، أو الشهود، أو المحكمين الآخرين.

ب. علاقة القرابة، والمصاهرة مع أي من أطراف التحكيم أو الشهود، أو المحكمين الآخرين

ج. الارتباطات السابقة على موضوع التحكيم، ويسري هذا الالتزام بالتصريح بالنسبة لتلك الظروف التي تجد بعد بدء إجراءات التحكيم".

المادة الرابعة: "على المحكم أن يوفر للأطراف وللباقى المشتركين في التحكيم الظروف الملائمة للفصل في التحكيم بعدل، ودون تحيز أو تأثير بظغوط خارجية، أو خوف من الانتقاد، أو مصلحة شخصية، وعلى المحكم تخصيص الوقت والجهد اللازمين لسرعة الفصل في التحكيم، مع الأخذ في الاعتبار مختلف الظروف المحيطة بالموضوع"

المادة الخامسة: "تجنب إجراء اتصالات من جانب واحد مع أحد الأطراف، بشأن أي موضوع يتعلق بالتحكيم، وفي حالة حدوث ذلك يتعين على المحكم التصريح لباقي الأطراف والمحكمين بما تم" وذلك تحقيقًا لحياد المحكمين.

المادة السادسة: "لا يجوز للمحكم قبول هدايا أو مزايا بطريق مباشر أو غير مباشر من أي من أطراف التحكيم، وينطبق ذلك على الهدايا أو المزايا اللاحقة على الفصل في الحكيم مادامت مرتبطة به".⁽¹⁷⁾

على أنه تجدر ملاحظة: أنه وإن سهل إقامة الدليل المادي على عدم استقلال المحكم وتقدير ذلك موضوعيًا، فإنه من الصعب بمكان إقامة الدليل على عدم حياد المحكم، لأنها مسألة نفسية أخلاقية، على أن صعوبة إقامة الدليل على عدم حياد المحكم، لا تعني استحالتة، لأنه يمكن من خلال مسلك المحكم إقامة الدليل على انحيازه لطرف دون آخر، كأن يفسح له مجال الدفاع، بينما يقاطع الآخر ويعترض دفاعه، أو يبدي تحمسًا لسماع شهود أحد الأطراف دون الآخر، أو يظهر اقتناعه بشهادتهم، بينما يقاطع شهود الطرف الآخر، ويبدي استنكاره لأقوالهم. المادة السابعة: "لا يجوز للمحكم الاستفادة من المعلومات السرية التي يحصل عليها أثناء إجراءات التحكيم لتحقيق أي مغنم لنفسه أو للغير أو للمساس بمصالح الآخرين".

المادة الثامنة: "يجب أن يلتزم المحكم بالمحافظة على سرية كافة المسائل المتعلقة بإجراءات التحكيم بما فيها المداولات وقرار التحكيم" وهنا نلاحظ أن المادتين 7، 8 تتعلقان بالمحافظة على سرية التحكيم لكونها من أهم الاعتبارات في مجال التحكيم، والأصل أن التحكيم الدولي يوفر احتمالاً للسرية أكثر مما يوفره التحكيم المحلي، ولكنه لا يوجد ضمان نهائي بتحقيق إجراءات معينة لسرية مطلقة للمعلومات التي توضع بين أيدي المحكمين.

التميز اللوجستي لقواعد السلوك و أثرها اللوجستي:

يتبن لنا بجلاء، مدى التميز اللوجستي لقواعد السلوك الذي يجب على المحكم مراعاته، وكل إساءة يرتكبها المحكم في إدارة التحكيم تعد انحرافًا بالعدالة ترتب عوارًا لوجستيا يؤثر سلبًا على حكم التحكيم، وجدير بالذكر أن عدم إفصاح المحكم على النحو السابق بما قد يؤثر على استقلاله أو حياده من شأنه أن يكون سببًا للرد فيما بعد أو رفع دعوى ببطالان الحكم مع مراعاة أن الالتزام بالإفصاح أوسع مدلولًا وأوسع نطاقًا من الرد كأحد الدعامات اللوجستية، فهو يشمل كل ما من شأنه أن يخل بحياد المحكم أو استقلاله ولو لم يُرقى إلى أن يكون سببًا للرد طبقًا للحالات التي تحددها قوانين المرافعات على سبيل الحصر.

ويلاحظ أن الأثر اللوجستي للالتزام بقواعد السلوك في جانبها الخلفي، ليس أقل أهمية من التزام المحكم بقواعد التحكيم، وشروط اتفائه في جانبها القانوني، بل إن الخطأ في الأولى أخطر من الخطأ في الثانية.

ففي الأولى: يرد الخطأ إلى سوء النية أو سوء القصد، أو تعمد الإضرار بالخصوم، وهي أمور لو صحت لأذهبت الثقة بالمحكم، وأسأت إلى سمعته المهنية إساءة بالغة، قد يفقد بسببها مهنته كلها.

أما الثانية: لا يعدو الأمر أن يكون خطأ إن لم يقبل الإصلاح أو التدارك بالوسائل القانونية، فإنه يقبل قطعاً تجاوز وإغضاء تقديراً لحسن النية وسلامة القصد.

ولا شك أن استقلال المحكم وحيده سوف تكون داعماً لوجستياً لسلامة حكم التحكيم، لأنها سبب رئيسي بالغ الأثر في منح المحتكمين الاطمئنان الكافي للحكم الذي سيصدره المحكمون؛ لأن نظر المحكمون للقضية بحياد واستقلال حسب تقييمهم للوقائع وفهمهم للقانون دون أية قيود، أو مؤثرات، أو علاقات، سوف يمنح حكم التحكيم مصداقية وقوة تؤدي إلى احترامه من كل الخصوم، وتشق له الطريق لكي يعمل أثره في التنفيذ بإضفاء الصيغة التنفيذية عليه، دون شعور بالقلق من جانب القاضي الأمر بتذيل الحكم بالصيغة التنفيذية.

الفصل الثاني

رد المحكم كضمانة لوجستية في حكم التحكيم

تمهيد وتقسيم:

المقصود برد المحكم، هو إقصاؤه عن النظر بعد أن تم تعيينه، سواء بدأت إجراءات التحكيم أم لم تبدأ، وأثناء نظر التحكيم، وقبل صدور الحكم، أما إذا ظهر سبباً بعد صدور حكم التحكيم، فإن الرد غير متصور، ولقد أجازت معظم قوانين التحكيم العربية والدولية رد المحكم، وسوف نتناول هذا الفصل في مبحثين:

المبحث الأول: سوف نخصه عن أسباب الرد، وضوابطه، وإجراءاته والجهة المختصة به. والمبحث الثاني: سيكون عن الآثار اللوجستية لتقديم طلب الرد على سير خصومة التحكيم، وحجية حكم الرد وأثره اللوجستي على حكم التحكيم. وذلك على التفصيل التالي:

المبحث الأول

أسباب الرد وضوابطه وإجراءاته والجهة المختصة به

وسوف نتناول هذا المبحث في مطلبين:

المطلب الأول: أسباب الرد وضوابطه

المطلب الثاني: إجراءات الرد والجهة المختصة به

المطلب الأول

أسباب الرد وضوابطه

سوف نبحث هذا المطلب في فرعين:

الفرع الأول: في أسباب الرد

والفرع الثاني: في ضوابط الرد

الفرع الأول

أسباب الرد

نصت المادة 18 من قانون التحكيم المصري 27 لسنة 1994م المعدل بالقانون رقم 8 لسنة 2000م، على تقرير سبب عام مجمل لرد المحكم حيث جاء نصها كالآتي: "لا يجوز رد المحكم إلا إذا قامت ظروف تثير شكوكاً جدية حول حيده أو استقلاله، ولا يجوز لأي من طرفي التحكيم رد المحكم الذي عينه أو اشترك في تعيينه إلا لسبب تبينه بعد أن تم هذا التعيين"، وهو عين ما تنص عليه المادة 10 من قواعد اليونسترال.

وبهذا أثر المشرع - بحق - العدول عما كانت تقرره المادة (503) من قانون المرافعات رقم 13 لسنة 1969 (ملغاة) حيث كانت تجيز رد المحكم لذات الأسباب التي يُرد بها القاضي. ورغم دخول أسباب رد القضاة والتي نص عليها قانون المرافعات في عموم السبب العام الذي أورده قانون التحكيم لرد المحكم، فإن النص الوارد في قانون التحكيم أكثر شمولاً لكل ما يخل بحياد المحكم واستقلاله أو يجعله غير صالح للتحكيم دون حصر، وهي مسألة تقديرية تتوقف على ظروف كل دعوى وملابساتها بما يحقق الضمان اللوجستي لحيدة حكم التحكيم.⁽¹⁸⁾ بينما يضيف القانون السويسري للتحكيم (م.4/4) سبباً آخر للرد وهو سبق إبطال حكم المحكم أو مساهمته في إجراءات، حُكم ببطلانها. والواقع أن هذا السبب لا يتعلق باستقلال المحكم وحياده وإنما يتعلق بكفاءة المحكم ومدى صلاحيته.

ويلاحظ أن الرد إذا توافرت أسبابه، وقضي فيه بقبول طلب الرد، اعتبرت بمثابة تنحي وجوبي للمحكم. وهنا يثور السؤال: هل يجوز للمحكم أن يتنحي تنحيًا جوازياً أي برغبته الشخصية مثله مثل القاضي؟

وللإجابة على هذا التساؤل يجب الوقوف أولاً على حالة القاضي الذي لم يقم به سبب من أسباب الرد مما يوجب عليه التنحي، أن يعرض على المحكمة في غرفة المشورة أو على رئيس المحكمة رغبته في التنحي عن نظر قضية معينة؛ وذلك لما يستشعر به من حرج في نظر القضية، مما يجعل من المناسب أن يتنحي عنها، والتنحي في هذه الحالة جوازي للقاضي ومترك أمره لضميره، فإن لم يقم به فليس لأي من الخصوم رده.⁽¹⁹⁾ كما أن الحكم الصادر منه يعتبر حكماً صحيحاً.⁽²⁰⁾

والأمر يختلف بالنسبة للتحكيم، نظراً للطبيعة المختلفة للمحكم كونه مختاراً أن يكون محكماً بأجر، مما تتوافر معه الطبيعة التعاقدية، إضافة لما فرضه عليه القانون من إفصاح عما يثير أي شكوك، وهذه الطبيعة القانونية لعقد التحكيم، تلقي على المحكم التزاماً بالاستمرار في عمله وإن لم ينص عليها قانون التحكيم المصري. ولكن قانون المرافعات الليبي نص عليها صراحة في المادة 748 حيث نصت على: "لا يجوز للمحكم بعد قبوله التحكيم أن يتنحى بغير سبب مشروع، وإلا جاز الحكم عليه بالتضمينات للخصوم". وعلى ذلك يجب على المحكم بعد قبوله القيام بمهمة التحكيم الاستمرار في عمله حتى نهايته، فليس عليه أن يعتزل التحكيم طالما بدأت إجراءاته.

ولم ينص على ذلك الالتزام صراحة في قانون التحكيم المصري باعتبار أن عقد التحكيم المبرم بين المحكم والأطراف المحتكمة تفرض على المحكم إصدار حكم في النزاع محل التحكيم، ولا شك أن القيام بهذا الالتزام يقتضي الاستمرار في عمله حتى نهايته، وذلك بإصدار حكم في المنازعة محل التحكيم.

وبالتالي يعد الإخلال بهذا الالتزام خطأ يستوجب مسؤولية المحكم، لأن اعتزال المحكم أي تنحيه وانقطاعه عن الاستمرار في عمله دون عذر مقبول يعد تضييع لوقت الخصوم، إذ يدفعهم للجوء للقضاء لتعيين محكماً بدلاً من المعتزل وذلك في حالة عدم اتفاق الخصوم على تعيين غيره، ومن ثم فإنه يحق للخصوم مطالبة المحكم بالتعويض إذا كان اعتزاله غير مبرر، أي دون سبب جدي.⁽²¹⁾

الفرع الثاني

ضوابط رد المحكم

حرص قانون التحكيم المصري على وضع عدة ضوابط لرد المحكم، حتى لا يتخذ الخصوم من الرد وسيلة لتعطيل التحكيم، فنص في المادة 2/18 على أنه: "لا يجوز لأي من طرفي التحكيم رد المحكم الذي عينه أو اشترك في تعيينه إلا لسبب تبين بعد أن تم هذا التعيين" كما نصت المادة 2/19 على أنه: "لا يقبل طلب الرد ممن سبق له تقديم طلب رد المحكم نفسه في ذات التحكيم". وذلك حرصاً على إبداء كافة الأسباب جملة واحدة تجنباً لتكرار عملية الرد، وقد تأثر المشرع بذلك بما أدخله قانون المرافعات رقم 23 لسنة 1992م.⁽²²⁾ من تعديلات على أحكام الرد.

وما ذهب إليه قانون التحكيم المصري من إيراد سبب عام مجمل لرد المحكم يتفق مع ما تنص عليه المادة 10 من قواعد اليونسترال، ولكننا نجد أن القانون النموذجي أضاف سبباً آخر لرد المحكم في المادة 2/12 وهو، إذا لم يكن حائزاً المؤهلات التي أتفق عليها الطرفين. ويضيف القانون السويسري للتحكيم في المادة 4/4 سبباً آخر للرد وهو، سبق إبطال حكم المحكم، أو مساهمته في إجراءات حكم قد حُكم ببطلانه، والواقع أن هذا السبب لا يتعلق باستقلال المحكم وحياده، وإنما يتعلق بكفاءة المحكم، ومدى صلاحيته، ونحن نرى أن هذا السبب لا يتعلق باستقلال المحكم وحياده ولا بعدم صلاحيته لأن الحكم الذي قُضي ببطلانه من قبل قد يكون المحكم وقت آنذاك الحكم قليل الخبرة والآن أصبح ذو خبرة جيدة وكما نعلم أن الخبرة ماهي إلا مجموعة إخفاقات أكسبت صاحبها خبرة جيدة.

وقواعد رد المحكمين من النظام العام، وبالتالي فلا يجوز الاتفاق على ما يخالفها لأنها تتعلق بضمانتين لوجستيتين هما الحيادة والاستقلال اللتين لا غنى عنهما لمباشرة القضاء، أيًا كانت طبيعته ومصدره. ولا يعيب المحكم أن يكون قريباً لأحد الأطراف، أو أن تكون له علاقة أو صلة بأحد أطراف القضية، لأن لأطراف التحكيم اختيار أي شخص كمحكم طالما وثقوا به، فاتفاقهم هو الأساس في ذلك، ولكن في كل الأحوال ألا تكون لأحد المحكمين مصلحة في النزاع، حتى يكون التحكيم محايداً.

المطلب الثاني

إجراءات الرد والجهة المختصة بالفصل فيه

طبقاً للمادة 1/19 من قانون التحكيم المصري يقدم طلب الرد كتابة إلى هيئة التحكيم مبيناً فيه أسباب الرد وذلك خلال خمسة عشر يوماً من تاريخ علم طالب الرد بتشكيل هذه الهيئة أو بالظروف المبررة للرد.

فإذا لم يتنح المحكم المطلوب رده خلال خمسة عشر يوماً من تاريخ تقديم طلب الرد، يحال الطلب بغير رسوم إلى المحكمة المختصة أصلاً بنظر النزاع، أما إذا كان التحكيم تجارياً دولياً سواء جرى في مصر أو في الخارج فيكون الاختصاص لمحكمة استئناف القاهرة ما لم يتفق الطرفان على اختصاص محكمة استئناف أخرى في مصر.

وجدير بالذكر أن طلب الرد يقدم إلى هيئة التحكيم سواء كان المحكم إليهم متعددين أو كان المحكم فرداً واحداً اختاره طرفا النزاع أي اشتراكاً في اختياره ثم علم أحدهما أنه اتصل بالطرف الآخر.

وهذه المادة عدلت بالقانون رقم 8 لسنة 2000م، بعد أن قضت المحكمة الدستورية بعدم دستورية ما كانت تنص عليه المادة 19 قبل تعديلها من جعل الاختصاص بالفصل في طلب الرد لهيئة التحكيم ذاتها الأمر الذي يجعل منها خصماً وحكماً، في مواجهة محكميهم، وهذا التعديل يعد عودة لما كانت تنص عليه نصوص التحكيم الملغاة التي كان يتضمنها قانون المرافعات حيث كانت تجعل الفصل في طلب رد المحكم من اختصاص القضاء لتتحقق بذلك الحيادة في الفصل في طلب الرد.

وهو ما حرص القانون الفرنسي على تأكيده بالمادة 1457 من قانون المرافعات، ولعل ما دفع المشرع المصري إلى ما كان يقرره من جعل الاختصاص بالفصل في طلب الرد لهيئة التحكيم ذاتها رغبته في سرعة اتخاذ القرار تجنباً لتعطيل عملية التحكيم، مكثفياً بتحويل طالب الرد الحق في الطعن في الحكم الصادر في طلب الرد أمام القضاء.

إلا أن المشرع أثر نزولاً على حكم المحكمة الدستورية العليا ترجيح اعتبارات العدالة على اعتبارات السرعة التي يمكن تحقيقها بالنص كما فعل المشرع الفرنسي حيث خول بالمادة 1463

مرافعات رئيس المحكمة سلطة الفصل في طلب الرد على وجه الاستعجال باعتباره قاضيًا للأمر المستعجلة، وهو ما لم يفعله المشرع المصري، ونأمل عند تعديل نصوص التحكيم مستقبلاً تحقيقه.

كما أن المادة 19 من قانون المرافعات المصري تنص على أنه لا يقبل ممن سبق له تقديم طلب برد المحكم نفسه في ذات التحكيم، ومعنى ذلك أن المحكم الذي رفض طلب رده سيكسب حصانة ضد أي طلب رد آخر أيًا كانت أسبابه، ويتصرف وهو على يقين من أنه في مأمن من الرد وهذا أمر غير منطقي،⁽²³⁾ وكان الأولى بالمشرع أن يقصر عدم قبول طلب الرد الجديد على تماثل أسبابه مع أسباب طلب الرد السابق، أما لو اختلفت أسباب كل منهما فيقبل طلب الرد الجديد، خاصة وأن قبول طلب الرد في التحكيم لا يترتب عليه وقف السير في القضية التحكيمية، كما هو الحال في القضاء، والنص بصياغته الحالية بمثابة عوار لوجستي في النص يؤثر سلبًا على حكم التحكيم.⁽²⁴⁾

ووفقاً لاتفاقية واشنطن يكون الاختصاص بالفصل في طلب الرد لباقي هيئة التحكيم بشرط عدم تساوى الأصوات. وفي حالة رد محكم وحيد أو أغلبية هيئة التحكيم يتولى إصدار القرار رئيس البنك. (م58).

بينما تنص المادة 12 من قواعد غرفة التجارة الدولية بباريس بعد تعديلها من أول يناير 1998 على أن الهيئة المنبثقة عن غرفة التجارة الدولية وليس محكمة التحكيم هي التي تتولى الفصل في طلب الرد، ويجوز لها أن تقرر متابعة محكمة التحكيم بالغرفة لعملها بباقي المحكمين إذا كانت المداوات قد تمت قبل الرد (م5/12).

وأخيراً يجب توضيح الفارق بين عدم قبول أحد الخصوم لتعيين محكم وبين الرد، فعدم موافقة الخصم على تعيين المحكم لسبب يعود إلى نقص في استقلاليتها، أو حياده لا يعتبر رداً، لأن الرد لا يتصور إلا بعد تعيين المحكم. فلا يقوم الرد إلا لسبب، أو ظرف، أو حقيقة ظهرت بعد التعيين من شأنها لأن تثير الشكوك في استقلاليتها أو حيده المحكم، أم عدم قبول المحكم فلا يشترط فيها أي شروط.

المبحث الثاني

الأثار اللوجستية لتقديم طلب الرد

سوف نتناول هذا المبحث في مطلبين هما:

المطلب الأول: في الأثر اللوجستي لتقديم طلب الرد على سير خصومة التحكيم.

المطلب الثاني: في الأثر اللوجستي لحكم رد المحكم على إجراءات وحكم التحكيم.

وذلك على التفصيل التالي:

المطلب الأول

الأثر اللوجستي لتقديم طلب الرد على سير خصومة التحكيم

يمكن القول أن هنالك مبدأً جديداً قد تبلور واستقر في التحكيم التجاري الدولي وهو مبدأ استمرارية سير الخصومة التحكيمية رغم تقديم طلب رد المحكم وذلك على عكس رد القاضي، إذ يترتب على مجرد تقديم طلب رد القاضي وقف السير في الدعوى إلى أن يفصل في طلب الرد (م162 مرافعات) وقد نص على مبدأ الاستمرارية العديد من القوانين منها المادة 13 من القانون النموذجي الصادر عن لجنة الأمم المتحدة، وكذلك الفقرة الأخيرة من المادة 19 من قانون التحكيم المصري رقم 27 لسنة 1994م، والمعدلة بالقانون رقم 8 لسنة 2000م وذات المبدأ كرسته الفقرة ج من المادة 18 من قانون التحكيم الأردني رقم 31 لسنة 2001م.

وقد استهدف المشرع بذلك عدم تعطيل إجراءات خصومة التحكيم خشية أن يسيء الخصوم استخدام هذا الحق، خاصة وأن المحكم قد تم اختياره برغبة الخصوم بشكل مباشر أو غير مباشر (المحكم الثالث) مما يجعل رغبة الخصم في رده وتعطيل الخصومة كأثر لذلك يجرى التحكيم من كل قيمة له.

ورغم أن ذلك يعتبر تمييزاً لوجستياً لما له من أثر مباشر على إنجاز صدور حكم في خصومة التحكيم، دون تعطيل بسبب ميول بعض الخصوم في تعطيل الفصل نكايه في الخصم الآخر. إلا أن ذلك له عوار لوجستي آخر يظهر بوضوح في حالة ما إذا قُبل طلب الرد، وقضي فيه برد

المحكم، فيصبح حكم التحكيم إذا كان صدر، كأن لم يكن، وتكون الإجراءات التي تمت كأن لم تكن، وهذا يمثل إهدار لوقت الخصوم وأموالهم.

ولكن بالمقارنة بين هذه الميزة اللوجستية، وبين هذا العوار اللوجستي لتبين لنا أن هذا التميز اللوجستي يفوق أي عوار لوجستي، لأنه يتمشى مع طبيعة وغاية التحكيم، فهو يمنع تعطيل إجراءات الخصومة، ويحول بين إساءة الخصوم لهذا الحق أو التعسف في استخدامه.

المطلب الثاني

الأثر اللوجستي لحكم رد المحكم على إجراءات وحكم التحكيم

وهذا الأثر اللوجستي يتمثل في عنصريين: أولهما عدم جواز الطعن في الحكم الصادر في طلب الرد. والثاني في الأثر اللوجستي لحكم رد المحكم على حكم التحكيم وإجراءاته. وذلك على التفصيل التالي.

أولاً: عدم جواز الطعن في الحكم الصادر في طلب الرد:

بعد أن أناط المشرع في قانون التحكيم للمحكمة المختصة الفصل في طلب الرد، نص في المادة 1/19 على أن الحكم الصادر في طلب الرد لا يقبل الطعن فيه. وحسباً فعل المشرع تجنباً لإطالة أمد النزاع في هذا الشأن الأمر الذي يتفق وما يقتضيه التحكيم من سرعة حسم كل ما يثور بشأنه من مشكلات، خاصة وأن المشرع لم يرتب على تقديم طلب الرد - كما أسلفنا - وقف إجراءات التحكيم، ومن ثم؛ يتعين سرعة الفصل في طلب الرد حتى لا تستمر إجراءات التحكيم، ويصدر الحكم ثم يعتبر ذلك كله كأن لم يكن بالحكم برد المحكم، وهذا نوع من التميز اللوجستي خاصاً بالتحكيم تجنباً لإطالة أمد النزاع ويتمشى مع طبيعة التحكيم.

ثانياً: الأثر اللوجستي لحكم رد المحكم على حكم التحكيم وإجراءاته:

إذا قضي برد المحكم ترتب على ذلك اعتبار ما يكون قد تم من إجراءات التحكيم بما في ذلك حكم المحكمين نفسه كأن لم يكن (م3/19 من قانون التحكيم المصري) وهو ما يقتضي نظراً لأن الرد لا يوقف التحكيم - كما أشرنا - سرعة الفصل في طلب الرد. ولا يعنى ذلك تحلل الأطراف من التحكيم وإنما يظل التزامهم بالتحكيم قائماً ويتعين تعيين محكماً آخر بديل طبقاً للإجراءات التي اتبعت في اختيار المحكم الذي تم رده (م21 تحكيم مصري).⁽²⁵⁾

بينما تنص المادة 14 من قواعد اليونسترال على أنه إذا رد المحكم الواحد أو رئيس التحكيم واستبدل به غيره وجب إعادة سماع المرافعات الشفوية التي سبق تقديمها، أما إذا تعلق الأمر بتبديل أي محكم آخر فإن قرار إعادة سماع المرافعة السابقة يترك لتقدير هيئة التحكيم. وتجدر الإشارة إلى أن دعوى الرد هذه تظل قائمة مادامت إجراءات التحكيم سارية، ولم يصدر في خصومة التحكيم حكماً. وهنا يثور التساؤل عن حكم اكتشاف سبب للرد بعد صدور حكم التحكيم؟ وبمعنى آخر هل يجوز إقامة دعوى الرد في هذه الحالة؟ وللإجابة على هذا التساؤل نبين أنه لا يجوز إقامة دعوى الرد بعد صدور حكم التحكيم، وذلك لأن عدم تنفيذ المحكم لالتزاماته المنصوص عليها في المادة 3/16 من قانون التحكيم المصري، وهو الإفصاح عن أية ظروف من شأنها إثارة أية شكوك حول استقلاله أو حيده، يعد ذلك بمثابة اعتداء من قبل المحكم على حقوق الدفاع لأحد الخصوم، لأن من شأن ذلك حرمان أحد الأفراد من حق الرد، ولذلك تعد المحكمة التحكيمية مشكلة تشكياً غير صحيح، ومن ثم يجب إبطال حكم التحكيم لمخالفته حقوق الدفاع ويكون ذلك عن طريق الطعن بالبطلان في هذا الحكم،⁽²⁶⁾ وليس عن طريق طلب الرد، ولا شك أن حقوق الدفاع تكون قد انتهكت من اللحظة الأولى، التي تم فيها الإخلال بمبدأ المساواة بين الخصوم أمام المحكم⁽²⁷⁾ وهذه الدعوى تعد من أهم الضمانات اللوجستية لضمان سلامة حكم التحكيم.

الخاتمة والتوصيات

مما سبق يتبين لنا هدف البحث ألا وهو الوصول إلى حلول واقعية وقانونية ذات ضمانات لوجستية تضمن سلامة حكم التحكيم والاطمئنان إليه من واقع المدخل اللوجستي البشري الرئيسي في حكم التحكيم وهو المحكم سواء كان محكماً فرداً أو هيئة تحكيم. وقد أوضحنا المشاكل وطرق حلها في هذا الشأن وتناولناها في فصلين: خصصنا الأول للمحكم وتأهيله وأهليته واستقلاله، والثاني لرد المحكم وأثاره على سير الخصومة وإجراءاتها والحكم الصادر فيها.

إلا أننا قبل أن نختم البحث يلزم بنا أن نوضح ونوصي بأن نمط التحكيم له دور كبير في دعم حكم التحكيم لوجستياً من حيث العنصر البشري الرئيسي فيه وهو المحكم، وأقصد بنمط التحكيم من حيث كونه تحكيمياً حراً أو تحكيمياً مؤسسياً.

ويقصد بالتحكيم الحر - وهو الأصل - حرية الخصوم في اختيار من يشاءون من المحكمين ومكان التحكيم وهوية المحكم إلى غير ذلك من مسائل التحكيم فهو تحكيم ينظمه الأطراف بمناسبة نزاعهم أي أنه تحكيم طليق حر من أي قالب تحكيمي جاهز سلفاً فهو تحكيم خاص بحالتهم دون غيرهم، أما التحكيم المؤسسي فيقصد به التحكيم المنظم عن طريق هيئات أو مؤسسات أو مراكز وطنية أو دولية دائمة تضطلع بالتحكيم وفق قواعد وإجراءات تتضمنها لوائحها، معروفة سلفاً وتعد قوائم بأسماء المحكمين المعتمدين لديها من ذوي الخبرات والكفاءات والسمعة الدولية يختار الأطراف محكمهم من بينهم.

ورغم أن التحكيم الحر هو الأصل إلا أننا نرى أن التحكيم المؤسسي أكثر تميزاً لوجستياً من التحكيم الفردي لأسباب عديدة أهمها: أنه يحسن اختيار قوائم التحكيم لديه ذوي التأهيل الفني والنفسي المناسب، كما أنه يعمل دائماً على استقلالية وحياد المحكمين الذين ينظرون النزاع، كما أنه يتمتع بما له من سوابق تحكيمية، تُعين هيئة التحكيم عند إصدار الحكم، وغير ذلك كثير. وهذا غير متوافر في التحكيم الحر، أو قد يكون متوافر بدرجة أقل، خاصة إذا عدلت القوانين بما ينظم عمل المحكمين، ومراكز التحكيم، على النحو الذي سبق وأن بيناه في صدر البحث

وإن جاز لنا في خاتمة هذا البحث أن نؤكد على بعض التوصيات لكي يدعم بها المحكم لوجستياً بما يؤدي إلى سلامة حكم التحكيم فنوجزها في الآتي:

1. الاهتمام بتدريس التحكيم والعقود الدولية لطلبة كلية الحقوق.
2. يجب تقنين إجازات علمية للمحكمين لكيلا يكون عملهم عشوائياً.
3. يجب تقنين مهنة التحكيم، وتقسيم تخصصاتهم واعتمادهم من جهة محددة.
4. يجب تحديد شروط الترخيص لمراكز التحكيم وشهر لوائحهم في جريدة رسمية.
5. يجب العمل على تعظيم أخلاقيات عمل المحكم وتقنيها وتدريبه عليها.
6. يجب العمل على إنشاء نقابة خاصة للمحكمين، أو إلحاقها بنقابة المحامين بجدول خاص.
7. يجب التشديد قانوناً على مسؤولية المحكم المدنية والجنائية، في حالة تعمد إخفاء استقلاله وحيده.
8. يلاحظ أن النصوص القانونية التي تحكم رد المحكم ذو تميز لوجستي حقيقي تساير طبيعة التحكيم.

9. يجب العمل على اتساع مراكز التحكيم وتشجيع التحكيم المؤسسي على التحكيم الحر، لما له من ضمانات لوجستية عديدة في حكم التحكيم.

مراجع البحث

1. د. أبو العلا النمر، تكوين هيئات التحكيم، دار النهضة العربية، س 2000م.
2. د. أحمد السيد الصاوي، التحكيم طبقاً للقانون 27 لسنة 1994م وأنظمة التحكيم الدولية، س 2002م.
3. د. أحمد السعيد الزقرد، مجلة نادي القضاة، مصر، س 31، العدد ديسمبر ويناير 1999م.
4. د. أسامة أحمد شوقي المليجي، نظم الإثبات المقارنة، دار النهضة، مصر، س 2010م.
5. د. أسامة عبد العزيز، لوجستيات التقاضي، دار الثقافة للنشر، الإسكندرية، مصر، 2006م.
6. د. السيد عيد نايل، التزامات المحكم.
7. د. أكثم الخولي، خلفيات التحكيم وأدابه، ج 1، كتاب اتحاد المحامين العرب عن التحكيم بين التشريعات.
8. د. رضا السيد، التحكيم في الميزان، دار النهضة العربية، مصر، 2004م.
9. د. صالح محمد الحسن، الضوابط الشرعية للتحكيم، ط 1471هـ.
10. د. علي رمضان بركات، خصومة التحكيم في القانون المصري والمقارن، رسالة جامعة القاهرة.
11. د. عيد القصاص، نطاق رد المحكم في قانون التحكيم الجديد، 1998م.
12. د. فتحي والي، الوسيط في قانون القضاء المدني، س 1981م.
13. د. محمد نور عبد الهادي، النشأة الاتفاقية.
14. د. محمود سلامة، موسوعة التحكيم والمحكم، الناشر المتحدون، مصر/ ج 1، ط 2، 2009م.
15. د. مصطفى الجمال، د. عكاشة عبد العال، التحكيم في العلاقات الخاصة الدولية والداخلية، ج 1، ط 1، 1998م.
16. د. نصر فريد واصل، السلطة القضائية، ونظام القضاء في الإسلام، 1977م.
17. د. هدى مجدي، دور المحكم في خصومة التحكيم، دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة.
18. المستشار يحيى الرفاعي، تشريعات السلطة القضائية.
19. مجموعة أحكام النقض المدنية.

فهرس البحث

الموضوع	
ملخص البحث	
مقدمة	
الفصل التمهيدي: التحكيم كنشاط لوجستي مساعد للقضاء	
المبحث الأول: المقصود باللوجستيك	
المبحث الثاني: التحكيم كبديل لوجستي عن التقاضي	
المطلب الأول: تعريف بالتحكيم كبديل لوجستي	
المطلب الثاني: الأهمية اللوجستية للتحكيم	
الفصل الأول: المحكم كمدخل لوجستي رئيسي في حكم التحكيم.	
المبحث الأول: التأهيل الفني والنفسي للمحكم، وأثره اللوجستي في حكم التحكيم.	
المطلب الأول: التأهيل الفني للمحكم وأثره اللوجستي في حكم التحكيم	
الفرع الأول: العوار اللوجستي للمحكم وعلاجه	
الفرع الثاني: الأثر اللوجستي للتأهيل الفني للمحكم وخبرته على حكم التحكيم	
المطلب الثاني: التأهيل النفسي للمحكم وأثره اللوجستي في حكم التحكيم	
الفرع الأول: التأهيل النفسي وأثره اللوجستي في حكم التحكيم.	
الفرع الثاني مستلزمات التأهيل النفسي	
المبحث الثاني: أهلية المحكم واستقلاله وأثرهما اللوجستي في حكم التحكيم	
المطلب الأول: أهلية المحكم وأثرها في حكم التحكيم	
الفرع الأول: أهلية المحكم المدنية كضمانة لوجستية في حكم التحكيم	
الفرع الثاني: أهلية المحكم الجنائية كضمانة لوجستية في حكم التحكيم	
المطلب الثاني: استقلال المحكم وأثره اللوجستي على حكم التحكيم	
الفرع الأول: استقلال المحكم عن القضاء كضمانة لوجستية	
الفرع الثاني: إفصاح المحكم عما يثير أية شكوك حول استقلاله أو حيده	
الفصل الثاني: رد المحكم كضمانة لوجستية في حكم التحكيم	
المبحث الأول: أسباب الرد وضوابطه وإجراءاته والجهة المختصة به	

المطلب الأول: أسباب الرد وضوابطه
الفرع الأول: أسباب الرد
الفرع الثاني ضوابط الرد
المطلب الثاني: إجراءات الرد والجهة المختصة بالفصل فيه
المبحث الأول: الآثار اللوجستية لتقديم طلب الرد
المطلب الأول: الأثر اللوجستي لتقديم طلب الرد على سير خصومة التحكيم
المطلب الثاني: الأثر اللوجستي لحكم رد المحكم على إجراءات وحكم التحكيم
الخاتمة ومراجع البحث

الهوامش

- (حكم استئناف القاهرة، دائرة 7 تجاري، القضية رقم 49 لسنة 117 قضائية، تحكيم تجاري. ¹)
 (د. أسامة عبد العزيز، لوجستيات التقاضي، ط 1، دار الثقافة للنشر بالإسكندرية، مصر، 2006م، ص 4، 5. ²)
 (د. أسامة عبد العزيز، مرجع سابق، ص 9. ³)
 (د. أحمد السعيد الزقرد، عقد التحكيم، منشور بمجلة نادي القضاة، بمصر، س 31، العدد 1، 2، يناير وديسمبر ⁴ 1999م، ص 43.
 (د. أسامة عبد العزيز، مرجع سابق، ص 180 وما بعدها. ⁵)
 (د. هدى مجدي، دور المحكم في خصومة التحكيم، دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، ص 108، 109. ⁶)
 (د. صالح محمد الحسن، الضوابط الشرعية للتحكيم، ط 1471 هـ، ص 41 وما بعدها. ⁷)
 (د. علي رمضان بركات، خصومة التحكيم في القانون المصري والمقارن، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، ص 187. ⁸)
 (تجدر ملاحظة أنه طبقاً لأحكام القانون الفرنسي، لا يجوز تعيين المدين الذي صدر ضده حكم بتصفية أمواله محكماً ⁹)
 لأن هذا يغفل عنه التصرف في أمواله أو إدارتها، وبالتالي فإنه يعتبر غير كامل الأهلية " المادة 148 من القانون رقم 98/85 الصادر في 25 يناير سنة 1985م بشأن التصفية القضائية والإفلاس" كذلك الأمر بالنسبة للمدين المفلس حتى ولو لم يصدر حكماً بتصفية أمواله لأنه طبقاً للمادة 186 من القانون المشار إليه سلفاً، لا يجوز تعيين المفلس مديراً أو مشرفاً أو مراقباً لأي مؤسسة تجارية أو أي منشأة ذات نشاط اقتصادي، وبالتالي لا يجوز أن يكون محكماً، يشار إليه في د. علي رمضان بركات، رسالة سابقة، ص 179.
 (د. علي رمضان بركات، رسالة سابقة، ص 180. ¹⁰)
 (نقض مدني في 12 إبريل 1956م، مجموعة أحكام النقض السنة 7 ص 522، ونقض مدني في فبراير 1985م، ¹¹)
 مجموعة أحكام النقض س 36، ص 25، ونقض مدني في 10 فبراير 1992م الطعن 4032 لسنة 60 ق.
 (د. أحمد السيد الصاوي، التحكيم طبقاً للقانون 27 لسنة 1994م، وأنظمة التحكيم الدولية، ط 2002 م، القاهرة، ص ¹² 90.
 (د. علي رمضان بركات، رسالة سابقة، ص 198. ¹³)
 (د. أسامة أحمد شوقي المليجي، نظم الإثبات المقارنة، دار النهضة العربية، القاهرة 2013م، ص 38. ¹⁴)
¹⁵ (د. أكرم الخولي، خلفيات التحكيم وأدابه، إصدار اتحاد المحامين العرب، عن التحكيم بين التشريعات والمواثيق الدولية، دراسات ووثائق، ج 1 ص 19، وفي هذه الصفحة ذكر الدكتور الخولي، أن سبق تقديم المحكم لبعض خدمات قانونية في الماضي لأحد الطرفين في أمور لا صلة لها بموضوع التحكيم أمر ينبغي أن يكشف عنه قبل قبول تعيينه محكماً، وكذلك عند سبق اختياره من جانب أحد الطرفين في قضايا تحكيمية، فقد يشهر الطرف الآخر أن ذلك يؤثر على استقلاله، وإن كان الدكتور الخولي يرى أنها مسألة متروكة لتقدير المحكم ذاته، كذلك يتعين على المحكم أن يفصح عن رابطة العمل التي كانت تربطه بأحد الطرفين، وإن كان ذلك في رأي الدكتور الخولي لا أثر له على استقلال المحكم، طالما أن رابطة العمل انتهت، وإلا ترتب على ذلك حرج ومشقة، وإنما على المحكم الإفصاح عن ذلك حتى لا يتخذ كتمانته لهذه العلاقة القديمة قرينة ضده.
 (د. أكرم الخولي، خلفيات التحكيم وأدابه، مرجع سابق، ص 19. ¹⁶)

- (والفقه الإسلامي مجمع على عدم جواز قبول القاضي للهدية ممن لم تكن عادته الإهداء له (كأهله وأصدقائه قبل توليه¹⁷) القضاء) فإن قبلها فهي رشوة في صورة هدية، ويكون حكم الرشوة من حيث الحرمة والامتناع عن أخذها وجوباً وقبول الهدية إلى القاضي حرام والواجب ردها فإن تعذر عليه ردها لأي سبب لمن أهدها إياها وجب عليه ردها في بيت المال فإن لم يفعل صادرها ولأمر منه، كما فعل رسول الله ﷺ مع ابن اللثبية، وقد قيل أن الهدية تطفئ عند القاضي نور الحكمة. د. نصر فريد واصل، السلطة القضائية، ونظام الحكم في الإسلام، القاهرة س1977م، ص 219، 220.
- (نقض مدني 16 ديسمبر 1976م، مجموعة أحكام النقض السنة 27 ق، ص 1769، الطعن رقم 177 لسنة 40ق،¹⁸)
 وأيضاً: د. مصطفى الجمال، ود. عكاشة عبد العال، التحكيم في العلاقات الخاصة الدولية والداخلية، ج 1، ط 1، س 1998م، ص 767، بند 521، وأيضاً: د. عيد القصاص، نطاق رد المحكم في قانون التحكيم الجديد، س 1998م، ص 13.
- (من الأسباب التي تجعل القاضي يشعر بخرج من نظر الدعوى أن يكون قد أبدى رأياً علمياً في مؤلف، أو بحث¹⁹)
 قانوني يخدم أحد طرفي الدعوى، أو أن يكون أحد الخصوم صديقاً لقریب له.
 (د. فتحي والي، الوسيط في قانون القضاء المدني، ط 1981م، ص 221.²⁰)
 (د. السيد عيد نايل، التزامات المحكم، ص 94.²¹)
 (نقض مدني 23 إبريل 1985م، مجموعة أحكام النقض، الطعن 1736 لسنة 51 ق، ص 653.²²)
 (د. محمود سلامة، موسوعة التحكيم والمحكم، الناشر: المتحدون، س 2009م، ط 2، ج 1، ص 241.²³)
 (د. رضا السيد، التحكيم في الميزان، دار النهضة العربية القاهرة، س 2004م، ص 151 وما يليها.²⁴)
 (د. أحمد السيد الصاوي، مرجع سابق، ص 101.²⁵)
 (د. أبو العلا النمر، تكوين هيئات التحكيم، دار النهضة العربية، القاهرة، سنة 2000م، ص 121.²⁶)
 (د. محمد نور عبد الهادي شحاتة، النشأة الاتفاقية، ص 272.²⁷)

Foreign Support in the Development of Arabic in Northern Nigeria: The Case of the Kingdom of Saudi Arabia

By

Sadiya Shehu

Arabic Unit, Department of Art, State College of Basic and Remedial Studies
Sokoto, Sokoto State
sdiyashuhu@gmail.com

Abstract

Arabic is the language of the Qur'an and the language of Islam. It is, therefore, one of the world's most widely spoken languages across the Middle East and North Africa. Arabic is the official language of twenty-five sovereign states. It is widely used as a lingua franca for a variety of communicative interactions between various communities in Asia and Africa. Given the long historical relations and interactions between the Kingdom of Saudi Arabia (KSA) and Northern Nigeria and Nigeria generally, it could be argued that there has been a deliberate effort to promote the development of Arabic language in the region. In this respect, this study examines the role of KSA in the promotion of Arabic language in Northern Nigeria. Through various development intervention programmes and inter-agency collaborations, including building of Islamic learning centres and *Masjid, Da'awah* programmes, provisions of educational scholarships, *Daurah* schools, the KSA has greatly influenced the promotion of Arabic language in Northern Nigeria and Nigeria generally. However, these efforts are being limited by some challenges, such as people socio-cultural attitudes to Arabic, their preference to English over Arabic language, opposition to non-Muslims studying Arabic, institutional bias by Governments, etc. Nevertheless, despite these challenge, tremendous potentials exist not only to mitigate these challenges but to also continue to drive benefits from exploiting Nigeria-KSA relations to strengthen the development of Arabic language in Northern Nigeria.

Key Words: Arabic Language, Northern Nigeria, KSA, Role, Challenges, Potentials.

1. Introduction

Until the third decade of the 7th century, Arabic was confined to the Arabian Peninsula, but with the introduction of Islam, the language began to have extensive influence far beyond Arabia; and with the Arabic Qur'an, the linguistic landscape of the world was set to change, at any new community that accepted the faith had a priori, to learn some Arabic. Since the Qur'an is inimitable and untranslatable. It has to be learnt in the original Arabic by every faithful, regardless of his mother tongue (Sanni, 2009).

For centuries, scholars have recognised that Arabic as a language and Islam as a religion have made significant contributions to global civilization, culture, and education. It was Islam that rekindled the human pursuit of science, and it was the Arabs, not the Romans, who brought light and power to the modern world through science (Adeyemi, 2016). In the ninth and tenth centuries, the Muslims compiled great lexicons and developed philological learning in Islam. At least a century before the Western world considered establishing higher learning institutions, the Muslims established such institutions in cities such as Basra, Kufa, Baghdad, Cairo, and Cordova. These began as religious schools in Mosques and later evolved into universities, and Arabic as a language contributed to a better understanding of West Africa's early history and civilization (Fafunwa, 1995 as cited in Adeyemi, 2016).

The facts that make Arabic a must-study language is compelling. Apart from being the world's fifth most commonly spoken native language, with over 300 million speakers, it is also the official language of 20 countries, as well as the United Nations, Arab League, Organization of Islamic Conference, and African Union. The growing demand for bilingual Arabic speakers in fields such as journalism, business and industry, education, finance, banking, translation and interpretation, consulting, Foreign Service, and intelligence has emphasised the language's strategic importance. With the Arab region's combined annual GDP of 600 billion dollars, and the increase in population, commerce, trade, and economic activities, Arabic will undoubtedly play a more significant role in world affairs (Sirajudeen & Adebisi, 2012).

Historically, the position of the Arabic language in multicultural societies, particularly Nigeria (the largest African population), which has predominant ethnic groups, cultures, and more than 400 ethnic dialects, with a population of over 185,000,000, has been warmly recognised and applauded. The reason for this is that it entered the country in the seventh century of the Hijrah era and the tenth century of the Christian era. Arabic had been used for religious, social, and cultural purposes in Nigeria for centuries before the arrival of Europeans (Adetunji, 2014).

The spread of Arabic language education to Nigeria cannot be completely divorced from the introduction of Islamic education to Nigeria. This is because, while Islam is a religion and its education involves learning about the religion, the religion came with Arabic as its language, so the religion was followed with Arabic. Just as Christianity was practised in the country with English as its official language (at the initial stage). The Arabic language got to the Savannah region of West Africa as early as the eighth Century A.D. through trading activities with the Berbers of North Africa who had already accepted Islam from the Arabs that had conquered the coastal strips of North Africa and installed Arab rulers there (Taiwo, 1999).

Based on the foregoing background, the focus of this paper is to examine the foreign support for the development of Arabic in Northern Nigeria using

Saudi Arabia as a case study. To accomplish this purpose, the paper in addition to this introductory background is sectionalised into: Arabic as a language of development, Arabic language in Nigeria, Saudi Arabia's support to promoting Arabic in Northern Nigeria, conclusion, challenges and potentials.

2. Arabic as a Language of Development

Arabic is one of the world's most widely spoken languages, with around 350 million native speakers spread across the Middle East and North Africa. Arabic is the official language of twenty-five sovereign states. Furthermore, Arabic is widely used as a lingua franca (i.e., vehicular language) for a variety of communicative interactions between various linguistic communities in Asia and Africa (Lucas and Manfredi, 2020). Arabic is characterized by diglossia, a linguistic situation in which two varieties of the same language have a functional distribution, with the spoken variety used in informal and intimate contexts and Modern Standard Arabic (MSA), the written variety, acquired through literacy and used in written and formal discourse. Each Arab state has its dialectal variety while MSA is the official language of 20 Arab states. All Arabic-speaking children first acquire the dialectal variety as their mother tongue and are only later introduced to MSA through literacy (Badry, 2009).

The earliest known example of Arabic is an inscription found in the Syrian desert dating back to the fourth century A.D. The pre-Islamic Arab tribes who lived in the Arabian-peninsula and neighbouring regions had a thriving oral poetic tradition. But it was not systematically collected and recorded in written form until the eighth century A.D. This poetic language, probably the result of the fusion of various dialects, came to be regarded as a literary or elevated style, which represented a cultural bond among different tribes (Abu-Absi, 2022).

The modern Arabic-speaking world can be divided into three geographical zones: Zone I include the Arabian Peninsula regions where Arabic was spoken before the beginning of the Islamic expansion in the seventh century; Zone II includes the Middle Eastern and North African areas where Arabic penetrated during the Islamic expansion and where it is now spoken as a majority language, and Zone III includes isolated regions where Arabic is spoken (Watson, 2011). Further to this, as a result of successive waves of mass emigration in recent centuries, Arabic is now spoken as a heritage language by diasporic communities worldwide.

Throughout its history, Arabic has not only been subject to contact influence from other languages, but has also induced profound changes in the languages with which it has come into contact, thanks to its religious function as the language of Islam, the linguistic influence of (Classical) Arabic has, of course, travelled well beyond the traditional borders of the Arabic-speaking world, and has affected linguistic communities that have never acquired Arabic as a second language. Such is the case, for example, of Indonesian and Swahili,

whose lexica are characterized by a high proportion of Arabic-derived loanwords. (Lucas and Manfredi, 2020). The influence of Arabic has been most important in Islamic countries because it is the language of the Islamic sacred book, the Quran. Arabic is also an important source of vocabulary for languages such as Amharic, Azerbaijani, Baluchi, Bengali, Berber, Bosnian, Chaldean, Chechen, Chittagonian, Croatian, Dagestani, Dhivehi, English, German, Gujarati, Hausa, Hindi, Kazakh, Kurdish, Kutchi, Kyrgyz, Malay (Malaysian and Indonesian), Pashto, Persian, Punjabi, Rohingya, Romance languages (French, Catalan, Italian, Portuguese, Sicilian, Spanish, etc.) Saraiki, Sindhi, Somali, Sylheti, Swahili, Tagalog, Tigrinya, Turkish, Turkmen, Urdu, Uyghur, Uzbek, Visayan and Wolof, as well as other languages in countries where these languages are spoken (Lucas and Manfredi, 2020).

Over a twenty-three-year period, 610-632 A.D., Prophet Muhammad received messages from Allah in Arabic through the Angel Jibril. The Holy Quran, which contains these messages, was originally memorised by professional reciters. Different accents for the pronunciation of the Quran were used as Islam spread until a standardised version (with notations for different accents) was completed in the mid-seventh century A.D. under the third Caliph, Uthman Ibn 'Affan. As more non-Arabic speakers were drawn to Islam, the Quran became the most important bond between Muslims, Arabs and non-Arabs alike, revered for its content and admired for its language beauty. Arabs, regardless of religion, and Muslims, regardless of ethnic origin, hold the Arabic language in high regard and regard it as a conduit for a rich cultural heritage. This close relationship between the Quran and Arabic gave the language its unique status and contributed to the Arabization of diverse populations (Abu-Absi, 2022).

3. Arabic Language in Nigeria

Arabic is the language in which Salat (Muslim prayer) is performed five times daily in all parts of the world. Hence, the history of Arabic literacy in all Muslim communities is always traceable to the advent of Islam in such communities (Fafunwa, 1974 as cited in Adetunji, 2014). Because of its religious cosmos, Arabic has a huge influence among Muslims all over the world.

Arabic whose original abode was the Arabian Peninsula expanded to North Africa in the seventh century AD. It is an undisputable fact that there was a commercial link between North Africa and West African kingdoms like Ghana, Gao, and Timbuktu. Others were Kanem-Borno, Kano and Katsina, which altogether with some other areas in the region, later got demarcated away from Biladu-Sudan (now West Africa) under the name Nigeria (Niger area). After the Islamic conquest of North Africa, the Arabs were at the forefront of the merchants that traded with the people of West Africa. This commercial link between the Arabs and the people of West Africa is the

foundation stone of the Arabic language in West Africa in general and in Nigeria in particular (Lateju, 2006).

The beginning of Arabic literacy in Nigeria is traceable to when Islam reached the country in the 11th century through the merchant routes and regular contact of the Arab scholars from Sudan, Turkey, and Morocco etc with the Nigerians (scholars), and with traders during that period. This made the influence of the Arabic language more effective in the intellectual and cultural heritage of the people of Shuwa Arab in the Old Kanem-Bornu empire-Nigeria at the end of 11th century C.E. (Fafunwa, 1992 as cited in Adetunji, 2014). Thus, Islam empowered the Arabic language to be protected because Islam travels to any location with its form of education. It is recorded that the first Arabic school and the first Quranic school were established in Nigeria when Kanem Ummu Julmi of the old Borno empire accepted Islam. His passion for education prompted him to establish the first Quranic school in his palace as a way of promulgating the teaching of Islam, which was attended by all and sundry Muslim children but in an informal setting in which the students would sit in front of the teacher on the floor. Ummul Julmi's efforts in establishing Qur'anic schools were lauded by his contemporaries, leading to the establishment of many Quranic schools later by many reputable leaders, scholars, and jurists, including Jubril bn Umar, Muhammad Sambo, Uthman bn Fodio, his brother Abdullahi bn Fodio, and many scholars who contributed immensely to the development of Arabic literacy in Nigeria. Thus, the teaching of Arabic literacy in Nigeria began in an informal setting in the Mallam's house (local teacher), under the tree, or in the mosque, where Qur'an verses were only learned by rote. Mallam reads the Qur'an to the students, who then repeat it after him, memorising it. There was no standard regulation or quality back then because everything was dependent on the availability of space, the quality of the individual teacher, and his or her personality (Adetunji, 2014).

The Sokoto Caliphate of Uthman bn Fodio in the 18th century recruited teachers, educational advisors, and planners from Egypt, Tripoli, and Ottoman Turkey to assist in teaching and reforming the Islamic educational system. This enduring legacy of Arabo-Islamic education from the Sokoto Caliphate persisted both before and after the arrival of colonialism. Scholars established Quranic schools, and for many centuries, up until the colonial period, Islamic schooling was the formal educational system in northern Nigeria (Lemu, 2002). When Lord Lugard arrived in the Northern Protectorates to take over as Governor of Northern Nigeria in 1914, he discovered over 25,000 Quranic schools with a total enrolment of 218,618 students. (Alfa and Abubakar, 2013). These Qur'anic schools, known as *Tsangaya*, and their students, known as *Almajirai* from the Arabic word *Almuhjir*, or an immigrant, later enrolled in more advanced theological schools, or madrasahs, where they studied Islamic

Jurisprudence, Theology, History, Philosophy, Arabic Grammar, and the Sciences. (Umar, 2012).

Thus, it is important to note that the modernization of Arabic literacy in Nigeria began during the era of Uthman bn Fodio, who worked tirelessly to modernise the standard learning of Arabic in the 18th century. Since then, Arabic literacy has made its way as a full discipline worthy of study in the Nigerian educational system at all levels of learning (Adetunji, 2014). It later gained complete acceptance as a result of fundamental steps taken by Nigerian Muslims in Nigerian education, which taught from primary to higher degree levels. Although a variety of factors have contributed to the survival and use of Arabic in multilingual societies, not least of which is the Arab world's political and economic importance over the last century as a result of vast petroleum and other mineral resources. It was designated as one of the six working languages of the United Nations and its affiliates in 1973, following the Saudi oil embargo against the United States. It is the third language of the Organization of African Unity and the first of the Muslim World League (MWL) and the Organization of Islamic Cooperation (OIC) (Sanni, 2009).

4. Saudi Arabia's Support in Promoting Arabic in Northern Nigeria

The Kingdom of Saudi Arabia is the birthplace of Islam, the location of the two holy mosques, and the Centre of Islamic devotion and prayer. Saudi Arabia is a global leader in the pursuit of Islamic unity. It is home to the Muslim World League and the Organization of the Islamic Conference, both of which work to protect Islamic interests. Saudi Arabia's commitment to Islam is demonstrated by its excellent upkeep and expansion of holy sites, allowing a greater number of Muslim pilgrims to perform the Hajj. This has always been an essential priority for the Kingdom. Every year funds from the annual budget are allocated exclusively for this purpose. In collaboration with other government agencies, the Ministry of Pilgrimage oversees the annual logistical challenge of preparing for the Hajj and supports projects in the Kingdom and abroad that promote Islam's role in the community (The Embassy of the Kingdom of Saudi Arabia, 2022).

The Kingdom has been responsive to the needs of the Islamic world in many ways. Saudi Arabia makes significant contributions to the Islamic Development Fund, which assists with community infrastructure projects; to the Islamic Development Bank, which is headquartered in Jeddah; and to the Islamic Organization for Science, Technology, and Development. Saudi leaders also work tirelessly to promote peace and stability in Muslim and Arab countries, as well as globally.

Saudi Arabia is the centre of the Arab and Islamic worlds, as well as the centre of Islam. Islam was and continues to be the most influential factor in the process of prioritising Saudi foreign policy. Saudi Arabia has worked since its inception to mobilise and devote its resources to the causes of the Islamic world. To achieve Islamic solidarity, the Kingdom sought out and

established a network of governmental and non-governmental Islamic institutions, including the Association of the Islamic World in 1962 and the Organization of the Islamic Conference (OIC) in 1969, with the Kingdom serving as their headquarters. (Liu and Fan, 2018). This initiative arose from an integrated vision of the meaning of Islamic solidarity. The most important efforts include collective security for Islamic countries, peaceful resolution of disputes between them, economic aid to Islamic countries and communities with limited resources, and emergency assistance and relief to affected Muslim countries, advocating for Muslims, defending their causes, and providing material and moral support to Islamic communities through generous contributions to the construction of Mosques and the establishment of Islamic cultural centres (Alammash et.al, 2021).

Saudi Arabia's third king, Faisal, established the University of Medina in 1961 with the explicit mission of training foreign students as Wahhabi missionaries. The university's bylaws required that 75 per cent of the student body be from outside the country, which contributed to an increase in the foreign share of enrolment in Saudi universities from 18.6 per cent in 1970 to 23.9 per cent in 1980. Many of these students concentrated their studies on Islam. Throughout the 1970s and 1980s, the House of Saud established a complex of NGOs, programmes, and educational centres to promote its brand of Salafism and preach a call for global Islamic solidarity, establishing Saudi Arabia as the ideological centre of the Sunni Muslim world and giving rise to a form of fundamentalist Pan-Islamism (Meservey, 2021). The resources poured into these efforts to propagate Salafism by countries such as Kuwait, Qatar, and Saudi Arabia are staggering. The latter has been the most prolific. A former U.S. official estimated in 2004 that the Kingdom had spent more than \$75 billion proselytizing Wahhabism; in 2005, former CIA director James Woolsey estimated the number to be \$80 to \$90 billion. If those funding trends have continued until today, a safe estimate of how much Saudi Arabia has spent spreading its version of Salafism would be well over \$100 billion (Alexiev, 2003).

Saudi Arabia's King Fahd claimed that he financed the building of nearly 2,500 Islamic learning centres and 1,500 mosques in Muslim-minority countries alone. The King Fahd Complex for the Printing of the Holy Quran, based in Medina, had by 2000 distributed 138 million copies globally (Ottaway, 2008 as cited in Meservey, 2021). Additionally, some estimate that the Saudis have built thousands of mosques and Islamic centres in sub-Saharan Africa. Further to this, the Saudis have built over 1500 mosques, 210 Islamic centres, 202 Islamic colleges, and 2000 schools for educating Muslims in non-Muslim countries through charities such as Al Haramain Foundation, the World Muslim League (WML), the World Assembly of Muslim Youth (WAMY), and the International Islamic Relief Organization (IIRO). Most of

these institutions continue to be on the Saudi payroll for substantial yearly donations (Alexiev, 2003).

According to Mandaville and Hamid (2018), the many and varied actors involved in global Saudi da'wa efforts constitute a sort of "ecosystem," which includes the following key components:

Ministry of Islamic Affairs, Da'wa, and Guidance: The governmental body primarily responsible for the management of religious affairs and a major provider of resources (money, books, personnel) for international proselytization activities including mosque building, the development of religious schools, and the organization of lecture tours by religious scholars and da'is (preachers). Ministry officials sometimes serve as "religious attachés" at Saudi diplomatic posts around the world, acting as liaisons with local Muslim communities and religious leaders.

Muslim World League (MWL): A parastatal organisation founded in 1962 under royal patronage to promote Muslim solidarity and the spread of Islam worldwide. While formally independent of the Saudi government, the MWL is traditionally led by a Saudi, is headquartered in Mecca, and is financially dependent on the Kingdom. Although representatives from various regions and Islamic trends have served on the League's governing council over the years (including the Muslim Brotherhood and its South Asian counterpart, the Jamaat-e-Islami, both of which were highly influential during the League's early days), the growing centrality of Saudi figures in the League's executive functions has led most observers to regard the MWL as a vehicle for securing and promoting Saudi religious influence. (Schulze, 1990 as cited in Mandaville and Hamid, 2018).

World Assembly of Muslim Youth (WAMY): An organization established in 1972, originally for the primary purpose of preparing young Saudis and other Muslims planning to study in non-Muslim settings—mainly in Europe and North America—to protect and preserve their religious beliefs. Over time, its activities began to cross-pollinate with those of Muslim Brotherhood-linked networks, particularly in Europe, and, given WAMY's close ties to the Saudi religious establishment, it became more directly involved in activities aimed at spreading Wahhabi doctrine (an austere and uncompromising interpretation of Islam that is vehemently opposed to anything which might encourage Muslims towards idol worship). (Pew Research Centre, 2010).

Islamic University of Medina (IUM): An institution of higher education established in 1961 and closely tied to the Kingdom's religious establishment with a primary mission of providing training in the classical Islamic sciences to Muslims from around the world. IUM's provision of generous scholarships for international students has made it an attractive destination for higher religious study. Frequently viewed as a direct conduit for exporting Wahhabism via the training of religious scholars, recent scholarship has

Painted a more complex picture regarding the transnational circulation of religious ideas within and through this institution.

There are also numerous Saudi and Saudi-funded charitable organisations that incorporate elements of proselytization into their worldwide provision of aid, relief, and social services. Some of the main players are the International Organization for Relief, Welfare and Development (formerly known as the International Islamic Relief Organization, an affiliate of the MWL), the al-Haramain Foundation, and al-Waqf al-Islami (Madaville and Hamid, 2018).

Concerning Nigeria and Saudi Arabia, Islam, which arrived in the area now known as Northern Nigeria through Borno in the 11th century, aided the spread of Arab cultures in Nigeria, such that there are many cultural similarities between Nigeria and Saudi Arabia today (Oluwatoki, 2010), from dress code (the thobe for men and the use of hijab by women) to language (Arabic language) and transportation system (the use of horses and donkeys).

As part of Saudi Arabia's support to promoting Arabic and Islam in Nigeria, particularly Northern Nigeria. It has helped Nigeria tremendously with scholarships. Nigeria has several Islamic scholars who studied in Saudi Arabia. These students took Arabic and Islamic Studies classes. When they return to Nigeria, they primarily teach in primary and secondary schools, with fewer still going on to teach at various tertiary institutions after years of teaching at the secondary school level and with additional qualifications, while the majority of them open their Islamic schools and occasionally lead prayers in mosques (Williams, 2022). Many Nigerian students studying in Saudi Arabia on Saudi scholarships. The majority of them studied Shari'ah (Islamic Law), Arabic, Islamic History, or other Islamic Sciences. Even in cases where scholarships allow for the pursuit of other courses, the condition (for the award of the scholarship) has been that the awardees read Shari'ah for some years, three years in most cases, before pursuing other disciplines (Williams and Egemba, 2022).

Similarly, its funded non-governmental organisations (NGOs), particularly the World Assembly of Muslim Youths, mirror Saudi Arabia's role in promoting Islam and Arabic in North, and Nigeria in general. The World Assembly of Muslim Youth (WAMY) is a Saudi-based non-governmental organisation that has helped to strengthen cultural and educational ties in Nigeria. The organisation is an Islamic institution primarily concerned with the global spread of Islam. However, their activities are not limited to preaching Islamic tenets; the organisation also runs numerous programmes across the country in areas such as education, humanitarian assistance, scholarship, media, project, and social activities. The World Assembly of Muslim Youths has made significant contributions to the advancement of education in Nigeria.

WAMY built schools ranging from nursery to secondary to university level, including Al-Amana International School in Lagos, WAMY International School in Kano, Al-Faruk International School in Maiduguri, Al-Falah

International School in Edo State, and Al-Amir Abdul Karim School in Zaria. Aside from primary and secondary schools, WAMY founded Al-Hikmah University in Ilorin, Kwara State, in 2005 (Williams and Egemba, 2002). Their activities have strengthened and promoted Arabic literacy and Islam in Nigeria, benefiting thousands of Nigerian youths through educational and cultural programmes.

Saudi Arabia has also recruited thousands of Nigerian professionals to work in its hospitals and companies. The Saudis recruited the best hands and these Nigerians follow them because of better pay. Some of the medical professionals are doctors, nurses, and laboratory scientists, including professors and medical directors. The King Fahd University of Petroleum and Mineral Resources has a postgraduate scholarship scheme in the natural and physical sciences, geosciences, and different areas of engineering and management sciences. Posters announcing the Scholarship can be found in public places in Nigeria, especially in Mosques (Williams, 2022).

5. Conclusion: Challenges and Potentials

The Arabic language has been used as a vehicle of enlightenment before, during and after Nigerian independence. It was also used to record history. It also served as a foundation for development as well as a tool for the spread of education (Ayuba, 2012). The relevance of the Arabic language extends beyond those who speak it as their first language. As a result, it is universally praised for its effectiveness and relevance in other cultures and all human strata. History demonstrates that the place of Arabic in a multicultural society is very applause, particularly after the emergence of Islam, when Islam spread beyond its domain to other continents such as Asia, Europe, Africa, America, and so on. People are eager to learn Arabic for a variety of reasons, including religion, trade, diplomacy, and so on. Saudi Arabia's significance as a country for Islamic education and propagation provides another network for spreading Arabic. The resources and prestige of Mecca and Medina universities explain why many religious leaders (imams) have studied there and thus contributed to the globalisation of this Islamic offer.

Despite all of these claims about Arabic's global influence, many obstacles remain because of its association with religion (Islam) by some people or religious bodies, ignoring its value as a common heritage of Africa and Nigeria in particular. The most serious constraint to learning Arabic in the country is people's social and cultural attitudes toward the language. To many Nigerians, Arabic is synonymous with Islam, and no one except Muslims would be interested in learning it. Not realizing the other non-religious uses of the language, even many Muslim children in formal schools refuse to choose Arabic as one of their subjects, and if they are persuaded to learn it in their subjects, and if they are persuaded to learn it in their first and second years, they soon drop it due to their absence of proper motivation and the scorn and derision of their mates who often ask them derisively, Do you want to become

an Imam?" (Ogunbiyi, 1987 as cited in Adetunji, 2014). In other words, the religious stigma attached to Arabic - as an Islamic language - has created significant difficulties in the process of learning Arabic, denying it the extra-religious value that would have been beneficial to Nigerian development (Ayuba, 2012).

There are several non-Muslim adult students who for various personal reasons have studied the Arabic language at their post-secondary school level. The irony of their situation is that the opposition they face comes from some conservative Muslim scholars who believe the language is solely for Muslims. These scholars are always suspicious of the motivations of any non-Muslim studying Arabic because they are unaware (or perhaps choose not to be aware) of any other uses of the language (Ogunbiyi, 1987 cited in Adetunji, 2014). These scholars failed to recognise that Arabic is not only a language of Muslims, but it is also a universally recognised language that ranks alongside other international languages.

Furthermore, Arabic has not received the same level of government or institutional respect as English or even French. There is a shortage of teachers in primary, secondary, and tertiary institutions throughout the country, particularly in the south, because governments did not hire Arabic-speaking teachers. Some schools have no teachers, while others have only one. For a long time, this has been a pity. This has been a lamentable one for a long time (Ayuba, 2012).

In spite of all these challenges, still great potentials are evident. For example, Arabic is a language of universal civilisation, as evidenced by its ability to meet historical scientific and cultural requirements while also developing new concepts for all arts. Judgements that Arabic is a dead language or that it is not flexible enough to replace foreign languages as a medium for scientific and technical discourse are based on impressionistic, possibly hostile, attitudes rather than real evidence. These and many other judgments are meaningless because they contradict objective scientific analysis. Arabic, contrary to popular belief, has all of the necessary predispositions to incorporate as many concepts and ideas as possible (Benkharafa, 2013).

In the area of religion, as a complete way of life, Islam affirms God's sovereignty over all aspects of man's life. Its teachings encompass all aspects of human activity, both spiritual and material, individual and social, educational and cultural, economic and political, and national and international. In other words, religion, as perfected by Islam, provided the foundation for human unity. As a result, when approached from an Islamic perspective, religion has the potential to bring true happiness to the human race (Ayuba, 2006). Because Arabic is the religious language of Islam, early exposure to Arabic education helps Muslim children understand the tenets of Islam and the words of the Qur'an as exemplified by Prophet Muhammad. In a

nutshell, Arabic, in conjunction with Islam, has effectively played this moral role in the past and can do so again if given the necessary encouragement.

As a medium of historical documentation Arabic language has been playing a positive impact on historical data of Northern Nigeria's heritage. One thing to be inked out is that since the conversance of Northern Nigerians with the Arabic language as far back as the 11th century, it has been used for record-keeping and documentation. In authenticating the literary utility of Arabic to Nigeria before the introduction of English, are the Arabic documents that detailed the history of Kanem-Borno empire. One Muhammad Ibn Mani from Fezzan (North Africa) is reported to have settled in Kanem and taught Islamic texts to not less than three Kanem Mais (king) before Hume al Julmi. (Hiskett, 1984, cited in Adetunji, 2014). The latter is widely regarded as the first Mai to embrace Islam and promote the use of Arabic in court proceedings. The documentary significance of Arabic as a primary, if not the primary, source of Sub-Saharan African history cannot be overstated.

Broadly speaking, on educational development even before the introduction of English, Arabic served as an effective medium of formal education in Northern Nigeria. Though Arabic scholars have emphasised the need for an improved method of teaching Arabic, it can still be argued that if Northern Nigeria had been allowed to continue with Arabic medium in her educational pursuit, it would have attained what Arabized North African countries attained in their educational development. Even today, average Nigerian Muslims in both the South and the North prefer to learn Arabic over English. This is why Arabic schools have continued to spring up and compete favourably with English schools in terms of parental support and pupil enrolment (Ayuba, 2012).

It must be emphasised that Socio-psychologically, Arabic, as a language, has a highly developed literature that can be found in Arab life from the pre-Islamic era to the present day. Students learn many Arabic poetic verses at all levels of Arabic education that teach social norms such as self-reliance, sincerity, bravery, and generosity, among others. As a result, Arabic students cannot avoid being influenced by the culture, sociology, and psychology depicted in such literature. Many works in Arabic have been written, ranging from Acts of Worship, Islamic Jurisprudence, Health Education, and Ethics to Sociology, Economics, Public Administration, and Political Science. Such works were also taught in schools and debated at public gatherings organised specifically for the enlightenment of the masses, both male and female (Abubakre et.al, 1993 as cited in Ayuba, 2012).

Overall, in the domain of economic development, Arabic as a foreign language has been beneficial to the global economy. Firstly, it is the lingua franca of approximately one hundred million Middle Eastern residents, as well as the union of three separate continents (Africa, Asia, and Europe). Some African countries speak it as their first language, including Algeria, Egypt,

Libya, Morocco, Tunisia, Mauritania, Western Sahara, and Sudan. In Nigeria, Arabic has almost always assumed the status of a mother tongue. The Shuwa Arabs, Nigeria ethnic group in the North–Eastern Part of Borno state speak it (Adetunji, 2014). It is not hyperbole to state that Arabic is the vehicle for the global exchange and cross-fertilization of sciences and civilization. Indeed, without the laudable service of Arabic language, which preserved their origins and engineered their improvement and standardisation, modern civilization and modern sciences might not have existed, at least to the extent that we have them today. The introduction of Arabic in Nigeria also creates a positive economic situation because it ensures a good source of income. Furthermore, Nigeria is a strong member of the Organization of Petroleum Exporting Countries (OPEC), an organisation established to ensure the price stability of petroleum in the international market. Because many of the most influential member countries are Arab, learning Arabic will allow us to reach agreements with them and interact more effectively (Abubakre et.al, 1993). In conclusion, given all of these potentials, Northern Nigeria stands to benefit greatly from Saudi Arabia's continued engagement in the development of Arabic Language and Islam in the region and Nigeria generally.

REFERENCES

- Abu-Absi, S. (2022). The Arabic Language. Retrieved from <https://www.google.com/amp/s/historyofislam.com/contents/themodern-age/the-arabic-language/%3famp>. 9-12-22.
- Abubakre, R.D., Akanmidu, R.A & Alana, O.E. (1993). *Religion and Politics in Nigeria*. Nsukka - Nigeria: NASR - Nigerian Association for the Study of Religions.
- Adetunji, I. (2014). *Arabic Language in Multi-cultural Dynamism: A Chronological Effects on Nigeria's Heritage*. Proceedings of SOCIO INTI4 - International Conference on Social Sciences and Humanities.
- Adeyemi, K.A. (2016). The Trend of Arabic and Islamic Education in Nigeria: Progress and Prospects. *Open Journal of Modern Linguistics*, 6, 197-201. Retrieved from <https://dx.doi.org/10.4236/ojml/2016.63020>. 8-12-22.
- Alammash, S.A., Guo, P.S & Vinnikova, A. (2021). Saudi Arabic and the Heart of Islam in Vision 2030: Impact on International Relations. *Arab Journal for Scientific Publishing (AJSP)*.
- Alexiev, A. (2003). *Wahhabism: State - sponsored Extremism Worldwide*. Testimony before the U.S Senate Subcommittee on Terrorism, Technology and Homeland Security. Retrieved from <https://www.judiciary.senate.gov/imo/media/doc/Alexiev%20Testimony%20062603.pdf>. 9-12-22.
- Alfa, M.S & Abubakar, S.A. (2012). The Impact of Colonial Languages (English & French) on the Teaching of Arabic Language in Nigeria. *Anyigba Journal of Arts and Humanities*, Kogi State University, Anyigba, Nigeria.
- Alfa, M.S & Dollah, H. (2015). Language Planning and Policy in Nigeria: The Prospects of Arabic Language. *Journal of Education and Social Sciences*, Vol.1.
- Ayuba, M.A. (2006). Islamic Ideology and the Global Village: Opportunities and Challenges In D. Stinton (eds). *The Arts, Man and Globalization: Trend, Issues and Problems*. Accra-Ghana : Deocraft Publisher.
- Ayuba, M.A. (2012). The Arabic Language: Its Relevance to Nigerian Development. *European Scientific Journal*, Vol.8, No.26.
- Badry, F. (2009). Milestones in Arabic Language Development. *Encyclopedia of Language and Literacy Development*, pp.1-7.

- Benkharafa, M. (2013). The Present Situation of the Arabic Language and the Arab World Commitment to Arabization. *Theory and Practice in Language Studies*, Vol.3, No.2, pp. 201-208.
- Fafunwa, A.B. (1974). *History of Education in Nigeria*. London: Gallen and Unwin.
- Hiskett, M. (1984). *The Development of Islam in West Africa*. New York: Longman.
- Lateju, F.T. (2006). The History and Effect of Madrasah Education in Northern Nigeria. *Jorac : Journal of Religion and Africa Culture*. 2(1&2).
- Lemu, B.A. (2002). *Religious Education in Nigeria - A Case Study*. Teaching for Tolerance and Freedom of Religion or Belief. Report from the Preparatory Seminar held in Oslo, December 7-9. Oslo : The Oslo Coalition on Freedom of Religion or Belief.
- Liu, Z & Fan, P. (2018). Islamic Factors in Interstate Cooperation of the OIC Members. *Asian Journal of Middle Eastern and Islamic Studies*. 12:1-15.
- Lucas, C & Manfredi, S. (eds). (2020). *Arabic and Contact-induced Change (Contact and Multilingualism)*. Berlin: Language Science Press.
- Mandaville, P & Hamid, S. (2018). Islam As Statecraft: How Government use Religion in Foreign Policy. Retrieved from <https://www.google.com/amp/s/www.bookings.edu/research/islam-as-statecraft-how-governments-use-religion-in-foreign-policy/%3famp>. 9-12-22.
- Meservey, J. (2021). Salafis, Sufis, and the Contest for the Future of African Islam. The Heritage Foundation. Retrieved from <https://www.heritage.org/africa/commentary/salafis-sufis-and-the-contest-the-future-african-islam>. 8-12-22.
- Ogunbiyi, I. (1987). *Of Non-Muslim Cultivates and Propagators of the Arabic Language*. Inaugural Lecture, Lagos State University.
- Oluwatoki, J.A. (2010). *Hajj in Nigeria - Saudi Arabia Relations, 1960-2007*. Unpublished. M.A Dissertation: University of Jos.
- Ottaway, D.B. (2008). *The King's Messenger: Prince Bander Bin Sultan and America's Tangled Relationship with Saudi Arabia*. New York: Walker & Company.
- Pew Research Centre. (2010). Muslim Network and Movements in Western Europe. Retrieved from <https://www.pewforum.org/2010/09/15/muslim-networks-and-movements-in-western-europe>.
- Sanni, A. (2009). Arabic in Multilingual Society: A Synchronic and Diachronic Analysis. *Al-Lisan Journal of the Nigeria Association of Teachers of Arabic Language and Literature (Natal)*, vol.11, No.4.
- Schulze, R. (1990). *Islamischer Internationalismus. Jahrhundert: Untersuchungen zur Geschichte der Islamischen Weltliga*. Berlin : Verlag.
- Sirajudeen, A.A. (2008). Background to Arabo-Islamic Culture in Nigeria. *AL-FIKR : Journal of Arabic and Islamic Studies*. 21(1), 47.
- Sirajudeen, A.A. & Adebisi, A. (2012). Teaching Arabic as a Second Language in Nigeria. *Procedia - Social and Behavioural Sciences*, 66, 126-135.
- Taiwo, B.M. (1999). *Arabic Education in Nigeria: A Historical Overview*. A paper presented at the first Annual National Conference organized by Nigeria Association of Teachers of Arabic in Colleges of Education and Allied Institutions. (NATACEDA). 28th April - 1st May, 1999.
- The Embassy of the Kingdom of Saudi Arabia.(Washington, DC). (2022). About Saudi Arabia. Retrieved from <https://www.saudiembassy.net/islam>. 8-12-22.
- Umar, A. (2012). Religion and Language in the Transformation of Education in Northern Nigeria during British Colonial Rule, 1900-1960. *Intellectual Discourse*, Vol.20, No.2.
- Watson, J.C.E. (2011). South Arabian and Yemeni Dialects. *Salford Working Papers in Linguistics and Applied Linguistics*. 27-40.
- Williams, A.M & Egemba, E.K. (2022). Culture and Bilateral Diplomacy: A Study of Nigeria-Saudi Relations. *Ibom Journal of Social Issues*, Vol.11, No.1.

Williams, A.M. (2022). Prognosis of Nigeria's Relations with the Arab World. Retrieved from <https://www.academia.edu/33/86557/prognosis-of-Nigeria's-Relations-with-the-Arab-World-docx>. 7-12-2022.